

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الرسالة من تأليف الطالب سفيان بن عيينة

للمعتمد

على



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١١٩٠

وخصي

المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١ - د

مكتبة المكتبة

قسم الدراسات العليا

فوق الكتاب والرسالة

للمعتمد

٣ - السيد

توقيع الطالب

يوسف أحمد بن يوسف

البَيِّنَاتُ فِي

وَمَنْهَجُهُ فِي التَّحْقِيقِ

رسالة

مقدمة لنيل درجة الدكتوراة

٣٢٦٦
٢٢٦٦

إعداد
يوسف أحمد بن يوسف



إشراف

١١٩٠

الأستاذ الدكتور: محمد شوقي خضر السيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ليخرج الناس من الظلمات الى
النور ، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه لا من خلفه ، قرآنا عربيا غير ذى
عوج ، وأشهد ألا إله إلا الله جعل القرآن هدايةً ونوراً ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله علّم به بعد الجاهلية وهدى به بعد الضلالة صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه ومن هدى بهديه الى يوم الدين وبعد .

فإن دراسة أى كتاب من كتب التفسير تلزم الانسان الوقوف على تفسير
الآيات القرآنية ومزايا القرآن الكريم ، وما أشارت اليه الآيات من أمر ونهى وقصص
فيها من العبر ما يشحن الهم ويدعو الى التمسك بالمنهج السوى ، وإقتضاء
الصراط المستقيم . ومن الشواهد على وحدانية الله تعالى ومعرفة صفاته وعزته
وجبروته وبطوّته ورحمته وفضله وكرمه . وفيه من المواعظ والأمثال ما يذد جريسه
من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . بالاضافة الى ما فيه من البلاغة
والفصاحة التى تنمى العقول وتقوّم اللسان .

ولما كان من الواجب القيام ببحث لنيل درجة الدكتوراة صممت على دراسة
تفسير أقف على منهجه وأتعلم من تحقیقاته للمسائل ما أخذه زاداً وعدّه للمستقبل
فاخترت موضوع : (البيضاوى ومنهجه فى التفسير) ليكون موضوع البحث .

وقد دفعنى لاختيار تفسير البيضاوى من بين كتب التفسير المختلفة دافع

يمكن تلخيصها فى الآتى : -

١ - إن شهرة البيضاوى العلمية ومكانته عند علماء أصول الفقه وثناءهم عليه فى

دقة عبارته وإختصارها مع جمعها للحقائق العلمية دفعتنى إلى معرفة منهجه

فى التفسير وطريقة تناوله للمسائل فى تفسيره للآيات .

٢ - إشتهر عن كتب التفسير بالرأى دخول أشياء غريبة على التفسير كالأسرائيليات،

وتأويلات أهل الكلام ، والأحاديث الموضوعة ، فكان من الواجب تنقيتها من

الدخيل عليها فأردت أن أدلى بدلى مع الدلاء وإختيار واحد منها ودرسته

واستخراج الحقائق العلمية المفيدة منه وتنقيته من الدخيل فاخترت تفسير

البيضاوى .

٣ - دراسة تفسير البيضاوى ومقارنته مع كتب التفسير بالرأى الأخرى . نتوصل من

خلالها الى مناهج المفسرين التى بمعرفتها يمكن الوصول الى إختيار التفسير

المناسب فى التعلم والتعليم .

خطة البحث ومنهجه : -

يتألف هذا البحث من ثلاثة أبواب تسبقها مقدمة وتمهيد وتلونها خاتمة .

ذكرت فى المقدمة دوافع إختيار الموضوع . وخطته ومنهجه ومصادره . وذكرت فى

التمهيد نبذة موجزة عن العصر الذى عاش فيه البيضاوى من الناحية السياسية

والاجتماعية والثقافية .

وكان الباب الأول عبارة عن ترجمة للبيضاوى وقد تألف من ثلاثة فصول كان

الفصل الأول عن حياته ونشأته ذكرت فيه نسبه ونسبته وعقيدته ومذهبه ونشأته

ورحلاته ووفاته .

وكان الفصل الثانى عن شيوخه وتلاميذه . فترجمت بإيجاز لشيوخه

وتلاميذه الذين وقفت عليهم .

وأما الفصل الثالث فقد كان عن آثاره ومؤلفاته فتحدثت بإيجاز عن

الكتب التى ألفها البيضاوى ثم الكتب التى قام بها بشرحها ثم ذكرت الكتب

التي نسبت خطأ له مثل كتاب تاريخ الصين وكتاب الارشاد فى الفقه وكتاب

التبصرة فى الفقه وكتاب الذكرة فى الفروع .

وبالباب الثانى عن تفسير البيضاوى قسمته الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عن مصادره فى التفسير حيث كانت مصادره القرآن الكريم

والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين كما نقل عن كتب التفسير التى سبقته

وكتب الفقه وأصوله وكتب اللغة . فتحدثت عن كل مصدر من هذه المصادر فى

مبحث مستقل وأوردت أمثلة عن كل مصدر من مصادره فكتكت اكتفى بمثال أو

مثالين خشية التطويل مع مناقشة بعض المسائل التى أرى فيها وجها للمناقشة .

والفصل الثانى : عن منهجه فى التفسير - قسمته الى مباحث :

كان المبحث الأول : عن موقفه من آيات الصفات تحدثت فيها عن خوضه فى آيات

الصفات وإتباعه لأهل الكلام فى القول بالتأويل والرد عليه ، كما تحدثت فى

المبحث الثانى عن تناوله لآيات الأحكام وطريقة استدلاله بها وموقفه من أقوال

علماء المذاهب مع مناقشته فى بعض الآراء وترجيح الذى أراه راجحا مع ذكر

الدليل . وتحدثت فى المبحث الثالث عن موقفه من القراءات مهدت له بنبرة

وأما الناسخ والمنسوخ فقد ذكرت معناها في اللغة والشرع وذكرت أقسامها وأوردت منهج البيضاوي في الناسخ والمنسوخ فقسمه إلى ثلاثة أقسام قسم قال بالنسخ فيه وقسم يعترض على نسخه وقسم سكت عنه مع اختلاف العلماء فيه وأوردت لكل ذلك أمثلة .

وفي الإعجاز البياني ذكرت أمثلة للتشبيه والاستعارة والمجاز وذكرت أسلوب البيضاوي في تناوله لما أشارت إليه الآيات .

وفي العام والخاص ذكرت أقسامه مع مقارنة قول البيضاوي مع أقوال بعض المفسرين مع ترجيح ما آراه راجحاً مع ذكر الدليل .

أما الباب الثالث فقد كان عن البيضاوي وتفسيره في الميزان -

وهو يتألف من ثلاثة فصول : الفصل الأول في آراء العلماء فيه والمآخذ التي أخذت عليه ، ذكرت فيه أمثلة من ثناء العلماء عليه وعلى تفسيره ثم عرجت على ذكر المآخذ بدأت بأهمها وهي الأحاديث الموضوعة في أواخر السور فذكرت نبذة عن أسباب الوضع في التفسير ثم ذكرت أمثلة لما أورده البيضاوي من الأحاديث الموضوعة معتمداً في ذلك على كتاب إتحاف الراوي في تخريج أحاديث البيضاوي والمخطوط بمكتبة جامعة أم القرى . ثم ذكرت من المآخذ عليه متابعتة للزمخشري ومخالفته لقول الجمهور وذكرت لذلك أمثلة مع تأييد قول الجمهور بالدليل ثم ذكرت من المآخذ إستطراده في النحو والصرف في بعض المواضع .

وأما الفصل الثانى فقد كان فى منزلته بين كتب التفسير بالرأى وهو يتألف من مباحث . مبحث ذكرت فيه نبذة عن معنى التفسير بالرأى وحكمه ومبحث عن جمع البيضاوى لغنون تفرقت فى كتب التفسير بالرأى ومبحث عن تأثير البيضاوى بمن قبله من المفسرين ومبحث عن من تأثر به بعده من المفسرين كل ذلك أكتفى فيه بذكر مثال أو مثالين مراعاة لعدم التطويل .

أما الفصل الثالث فقد كان فى ميزة تفسيره وقيمه العلمية وهو يتألف من مبحثين : مبحث فى نصره للسنة وردة على الفرق الضالة ومبحث فى الحواشى والتعليقات عليه ، ذكرت فى نصره للسنة رد على المعتزلة فى قولهم بالمنزلة بين المنزلتين وقولهم بإنكار الشفاعة وقولهم بالوجوب على الله وقولهم يخلق الأفعال وقولهم بإنكار رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة .

ثم ذكرت رد على الحشوية فى قولهم بعدم عصمة الأنبياء وردة على الخوارج فى قولهم بخلود صاحب الكبيرة فى النار وردة على الشيعة فى قولهم بولاية على كرم الله وجهه ، وقولهم بعصمة الأئمة من آل البيت ذكرت لذلك أمثلة مع تأييد قول البيضاوى .

وأما المبحث الأخير فى الحواشى والتعليقات عليه سردت قائمة بأسماء الحواشى والتعليقات على البيضاوى معتمداً فى ذلك على كتاب كشف الظنون ونزيله وأضفت إليه ما وقفت عليه من فهارس المخطوطات بجامعة أم القرى ثم اخترت

ثلاثة حواشي لتكون موضع دراسة ونموذجاً عن الفوائد التي جاءت من الحواشي على تفسير البيضاوي وهي حاشية الشهاب الخفاجي وحاشية القونوي وحاشية محي الدين شيخ زاده .

وختمت هذا البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها في البحث . ثم نيلته بفهارس للآيات القرآنية وفهارس للأحاديث النبوية وفهارس للموضوعات وفهارس للمراجع والمصادر .

مصادر البحث :

مصادر هذا البحث كثيرة ومتنوعة كما يراها القارئ في الفهرس الخاص بها . رجعت فيه الى أمهات الكتب مبتدئاً بالقرآن الكريم ثم كتب الحديث ثم كتب التفسير وكان جل إعمادي فيها على تفسير البيضاوي وحواشيه وتفسير الزمخشري وتفسير الفخر الرازي . هذا بالإضافة الى كتب الفقه وأصوله وكتب اللغة والنحو وكتب القراءات وكتب التراجم وغيرها .

وأما المخطوطات فقد كان من أهمها تفسير الراغب الأصفهاني الذي كلّفني في الحصول عليه العناء الكثير إذ هو موجود بمكتبة أيا صوفيا بتركيا .

ومن المخطوطات التي عثرت عليها بجامعة أم القرى : إتحاف الراوي في تخريج أحاديث البيضاوي . وكتاب الانصاف في ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف وغيرها .

وفى الختام لا يفوتنى أن أتقدم بالشكر والعرفان للقائمين على
إدارة جامعة أم درمان الإسلامية لما هياؤوه لى ولاخوانى المبتعثين من
فرصة الالتحاق بالدراسات العليا بهذا البلد الأمين . كما أتقدم بالشكر
الجزيل للقائمين على إدارة جامعة أم القرى وعلى رؤسهم معالى مدير الجامعة
وسعادة عميد كلية الشريعة لما بذلوه من جهد لتهيئة الجو المناسب للبحث
فلهم من الله حسن الجزاء .

وإعترافا بالفضل وردًا للجميل أتقدم بشكرى الجزيل لسعادة
الدكتور محمد أبو النور الحديدي الذى رعى هذا البحث فى أطواره الأولى
وأخص بالشكر سعادة الدكتور الأستاذ محمد شوقي الخضر الذى منحنى
من وقته الكثير وأفاض على من علمه الجم فتتبع الرسالة من أولها الى آخرها
دون ملل وضجر فكان توجيهاته وارشاده أن خرجت الرسالة بهذا الشكل
فجزاه الله خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر لكل من أعاننى فى هذا البحث من أساتذة

وزملاء ...

.....

تمهيد

عصر البيضاوى

الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية

كان القرن السابع الهجرى مسرح أحداث هامة فى تاريخ العالم الاسلامى ، حدثت فيه أحداث سياسية خطيرة كانت نقطة تحول فى تاريخ العالم الاسلامى ، وتغيرت فيه نظم الحضارة، وتبدلت فيه الحياة العلمية والثقافية وغير ذلك . ولما كان للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية دور فى تكوين شخصية الإنسان وعلمه وثقافته ودوره فى الحياة كان لابد أن نلقى الضوء على الأحداث التى مرت فى عصر البيضاوى بشىء من الإيجاز فنذكر .

أولاً : الناحية السياسية :

ضعفت الخلافة العباسية فى القرن السابع ضعفاً شديداً . وكان الخليفة العباسى ببغداد لا يتعدى نفوذه ببغداد وما حولها من القرى ، وكانت القوة السياسية موزعة بين الأتراك السلاجقة ، والأيوبيين الأكراد فى مصر والشام والحجاز واليمن، ثم جاء بعدهم الماليك فى آخر النصف الأول من القرن السابع وسيطر البربر على المغرب والأندلس وتبعوا اسماً للخليفة العباسى ببغداد ، ثم ظهرت دول إسلامية مستقلة ، كالدولة الغورية فى بلاد الأفغان والهند ، والدولة الفاطمية فى مصر جاءت بعدها الدولة الأيوبية ، والدولة الصلاحية فى اليمن ، والدولة الموحدية فى المغرب والأندلس ، والدولة الخوارزمية والأتابكية فى خوارزم وغيرها . وكان بين هذه الدول من التناحر والتزاع ما أدى إلى ضعفها وطمع الأعداء فيها . أما فى داخل هذه الدول لم يكن هنالك استقرار ولا أمن بل كان هنالك اضطرابات وفتن بين الفرق . فقد حدثت فتنة عظيمة بين أهل السنة والشيعة فى

بغداد وراح ضحيتها الكثير من الناس وانتصر الخليفة العباسي لأهل السنة ،
والشيء الذى أغاظ وزيره ابن العلقمى فاتصل بالمغول الذين كانت أطماعهم
اتجهت نحو العالم الاسلامى، فكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر فلما جاءهم ابن
العلقمى وأخبرهم عن ضعف المسلمين زحفت جيوش المغول على البلاد الاسلامية ،
وسقطت الإمارات المجاورة لهم واحدة تلو الأخرى حتى وصلوا بغداد بقيادة هولاكو
التترى وانقضوا عليها وقتلوا الخليفة العباسي، وذبحوا العلماء ونشروا الزعر والرعب
وقتلوا كل من قابلهم وعاشوا فى الأرض فساداً واستباحوا بغداد أربعين يوماً قتلاً
وتخريباً وهتكاً للأعراض، وأحرقوا الكتب ورموها فى نهر دجلة وكان ذلك عام ستّة
 وخمسين وستمائة .

واتجهت جيوش المغول نحو الشام فاحتلوا حلب ودמשق وحماة، فلم يقف زحفهم
حتى التقوا بجيوش المماليك فى مصر والشام فى معركة (عين جالوت) فانتصر المسلمون
عليهم بقيادة ركن الدين بيبرس، وقتلوا قائد المغول (كبتغا) وكان ذلك عام ثمانية
(١)
 وخمسين وستمائة .

وأما فى الغرب فقد كانت الحروب الصليبية سجّالاً بين المسلمين والصليبيين
الذين كانوا يطمعون فى احتلال مصر والقدس . ولولا وقوف المسلمين تجاههم
بصلابة لاستولوا على كثير من الأراضى الإسلامية فى الشام ومصر .

وهكذا كان حال المسلمين فى القرن السابع تهاجمهم الملل الكافرة من الشرق
والغرب ، ويشعل أعداء الإسلام الفتن من الداخل .

الحالة الاجتماعية :

كان الشعب فى العصر العباسي يتألف من العرب والفرس والأتراك وقليل من
اليهود والمسيحيين، الذين كفلت لهم الدولة الإسلامية الأمن والأمان . وقد أدى انقسام

المسلمين فى هذا العصر إلى شيع وطوائف أدى إلى تفكك المجتمع الاسلامى .
فكان السنيون يكوّنون السواد الأعظم ويتمتعون بقسط وافٍ من الحرية والطمأنينة .
وينقسم الشعب فى ذلك العصر إلى أربع طبقات من ناحية عامة :

١ - طبقة الخاصة وهى خمس طبقات ، الخليفة وأهله ورجال دولته من الوزراء
والأمراء وقواد الجيوش ، وطبقة أرباب البيوتات وطبقة توابع الخاصة من الخدم
والأرقاء والخصيان والجواري .

٢ - طبقة العامة . وهى طبقتان الطبقة الأولى ، وهم العلماء والفقهاء والأدباء
والتجار والمغنون ، وأصحاب الفنون الجميلة والصناع . والطبقة الثانية وهم
السواد الأعظم ويتمثلون فى سكان المدن من الصناع والباعة وأصحاب الحرف
(١)
وغيرهم وسكان القرى ويتمثلون فى المزارعين والرعاة وغيرهم .
هكذا يتألف المجتمع فى العصر العباسى وقد كان للعلماء دورٌ فى نصح الخلفاء
والولاة وتبصيرهم بالحق وكفهم عن الباطل .

الحالة الثقافية :-

بسقوط الخلافة العباسية التى عاش الاسلام فى ظلّها زهاء خمسة قرون ، ظهرت
الدُّول المستقلة فى أرجاء العالم الاسلامى ، وكان لهذه الدول دور فى تقدم الحضارة
الاسلامية ، ونشر العلوم وتبادل الثقافات ، وذلك أنّ بغداد بعد أن كانت مركز
الحضارة الاسلامية ظهرت إلى جانبها مراكز أخرى مثل القاهرة وبخارى وغرنة وتبريز
وشيزار وقرطبة والرى وخوارزم وغيرها وازدهرت فيها العلوم والآداب وذلك بتشجيع
الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء رجال العلم والأدب .

ونمت الثقافة فى هذا العصر وأخذت الطابع الحضارى فكانت مراكز الثقافة
هى المسجد والزاوية والكتاب والمدرة وبيت الحكمة والمكتبة . وكانت المدارس التى

(١) انظر تاريخ التمدن الاسلامى ٢٦ / ٥ - ٥٦

أُنشئت في هذا العصر أشبه بالجامعات الآن، فقد كان يُدَّرس فيها كثيراً من العلوم المتنوعة وقد انتشرت هذه المدارس وخاصة في بلاد المشرق الاسلامي وقد كان أهم هذه المدارس هي :

- ١ - المدارس النظامية التي أسسها نظام الملك وزير السلطان (مكشاة) السلجوقي في بغداد ونيسابور .
 - ٢ - المدرسة المستنصرية التي أنشأها في بغداد الخليفة العباسي المستنصر بالله وكانت آيةً من حيث الهندسة والمعمار .
وقد زودت بمكتبة تحتوي على آلاف من الكتب في مختلف العلوم كما خصصت فيها أماكن لنسخ ما يريده الطلبة والناسخون من المخطوطات .
 - ٣ - المدرسة الكاملية التي أسسها الملك الكامل الأيوبي، وقد بنيت لدراسة الحديث خاصة ولكنها لم تقتصر على دراسة الحديث وحده، بل كان يُدَّرس فيها غيره . وقد سميت بدار الحديث .
 - ٤ - المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين الأيوبي .
وقد كانت تضم أربع مدارس لكل مذهب مدرسة خاصة به .
 - ٥ - المدرسة الظاهرية التي بناها الملك الظاهر بيبرس وجعل لها أربع أيوانات وخزانة كتب تضم سائر العلوم وكان يُدَّرس فيها الفقه على المذهب الشافعي والحنفي وعلم الحديث والقراءات . (١)
- وقد كانت في العالم الاسلامي مدارس أخرى على هذا الطراز حيث توجد مدارس هامة في قرطبة وغرناطة وتبريز وشيراز وطوس وغيرها، وكانت لها أهمية كبيرة في نشر العلوم بالإضافة إلى المساجد التي كانت تدرس بها العلوم بمختلف أنواعها .

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/٢٦٦ - ٣٠٩

وأما على صعيد التأليف فقد شعر العلماء بضعف المسلمين وتفككهم وهجوم الأعداء عليهم من كل جانب فشمروا عن ساعد الجد فحاولوا حفظ التراث وجمع تأليف السابقين وخدمته بالاختصار والشرح والتعليق والنظم . فجمعوا عدة علوم في فنٍ واحدٍ وصهروها ونسقوها لتصير فناً واحداً فمثلاً جمعوا الأصول والجدل والمنطق معاً وعلوم اللغة مع التفسير والفقه وغير ذلك . وكان علماء هذا العصر لهم المام كامل بأكثر العلوم فنجد الواحد منهم يؤلف في أكثر من فنٍ فمثلاً البيضاوى ألف في التفسير والحديث وعلم الكلام والمنطق والأصول والفقه وغيرها .

وقد ظهر في هذا العصر علماء أجلاء حفظوا علم السابقين وأضافوا عليه ما فتح الله به عليهم من العلم والمعرفة، فظهر في هذه الفترة الشيخ تقي الدين بن الصلاح صاحب التأليف في علوم الحديث والفقه . وشيخ الإسلام ابن تيمية الذى ألف في الفقه والعقيدة والحديث والتفسير وغيرها . والشيخ عز الدين بن عبد السلام العالم المشهور ، وابن النجار صاحب التاريخ ، والحافظ ضياء الدين المقدسى صاحب كتاب الأحكام ، وعلم الدين السخاوى صاحب التصانيف الكثيرة والشرح في علوم الحديث ، والشيخ الشلوبينى النحوى ، والشيخ ابن الحاجب المالكي صاحب المختصرات في الفقه وأصول الفقه . والرافعى والنووى وغيرهم من العلماء الذين يطول ذكرهم .

(١)

الباب الأول

البيضاوى

وفيه ثلاثة فصول

- الفصل الأول : حياته ونشأته .
- الفصل الثانى : سيوفه وتلاميذه .
- الفصل الثالث : آثاره ومؤلفاته .

الفصل الأول

حياته ونشأته
وفيه :-

- ١- نسبه ونسبه .
- ٢- مولده ونشأته .
- ٣- عقيدته ومذهبه .
- ٤- وفاته .

المبحث الأول

نسبه ونسبته :

هو عبدالله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاوي .
وكان يُكنى بأبي الخير ، ويلقب بناصر الدين ويُعرف بالقاضي (١) . ونسب إلى
المدينة البيضاء - بفتح الباء - وهي مدينة قرب شيراز ببلاد فارس . قيل سميت
البيضاء لأن لها قلعة بيضاء تبين من بعد ، وكان اسمها في أيام الفرس دار
صفيد فعربت بالمعنى (٢) .

وقد شارك البيضاوي في نسبه إلى البيضاء عددٌ من العلماء أصحاب
التأليف منهم القاضي أبو بكر البيضاوي ، وهو محمد بن أحمد بن العباس الفارسي .
قال ابن السبكي : كان إماماً جليلاً له الرتبة وكان يُعرف بالشافعي . له كتاب
التبصرة في الفقه ، والأدلة في تعليل مسائل التبصرة ، والتذكرة في شرح
التبصرة والارشاد ، وقد عدّه السبكي في الطبقة الرابعة (٣) . وقد حصل اشتباه
عند بعض المؤرخين حيث أسند إلى القاضي ناصر الدين البيضاوي بعض مؤلفات
القاضي أبو بكر البيضاوي .

ومنهم أبو عبدالله البيضاوي الفقيه ، وهو محمد بن عبدالله بن أحمد بن
محمد . قال الخطيب البغدادي : سكن بغداد في دروب السلولى . وكان

(١) انظر : ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٥٩ وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٢

وبغية الوعاة ٢/ ٥٠ وطبقات الشافعية للأسنوى ١/ ٢٨٣ .

والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٩ ومرآة الجنان ٤/ ٢٢٠ وكشف الظنون ٢/ ٨٩
وروضات الجنات ٥/ ١٣٦ وغيرها من كتب التراجم .

(٢) معجم البلدان ٢/ ٣٣٥

(٣) انظر طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٩٦ - ١٠٢ .

يدرس الفقه ويفتي على مذهب الشافعي . وولى القضاء بربع الكرخ ، وحدث شيئاً يسيراً عن أبي بكر بن مالك القطيعي والحسين بن محمد بن عبيد العسكري . قال : كتبت عنه وكان ثقةً صدوقاً ديناً سديداً . مات فجأة في ليلة الجمعة في الرابع عشر من رجب عام أربعة وعشرين وأربعمائة ودُفِنَ صبيحة تلك الليلة في مقبرة باب حرب . (١)

وقد لُقِّبَ البيضاوي بالشيرازي نسبة إلى شيراز بكسر الشين وهي من أعظم مدن فارس حيث وُلِدَ في إحدى مدنها وترعرع فيها وتقلد القضاء فيها . وقد شاركه في هذا اللقب جمهرة من العلماء أجلاء منهم الإمام أبو إسحاق الشيرازي ، وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي أبو إسحاق الشيرازي . صاحب التتبيه والمهذب في الفقه ، والنكت في الخلاف ، واللمع وشرحيه ، والتبصرة في أصول الفقه وغيرها ، توفي سنة ست وسبعين وأربعمائة . (٢)

ومنهم الإمام قطب الدين الشيرازي . وهو محمود بن مسعود ابن مصلح الشيرازي ، صاحب التصانيف النافعة في الأصول والمنطق والهيئة والفلك والحديث والعلوم العربية ، وُلِدَ بشيراز سنة أربع وثلاثين وستمائة وتوفي بتبريز عام عشرة وسبعمائة . (٣)

وقد ذكر البيضاوي نسبته في مقدمة كتابه الغاية القصوى في دراية الفتوى حيث قال : (فأعلم أنني قد أخذت الفقه عن والدي مولى الموالى الصدر العالى ، ولى الله الوالى ، قدوة الخلف وبقية السلف ، إمام الملة والدين

-
- (١) انظر تاريخ بغداد ٤٧٦/٥ ، طبقات الفقهاء ص ١٠٥ .
(٢) انظر الطبقات الكبرى ٢١٥/٤ والبداية والنهاية ١٢٤/١٢ .
(٣) ترجمته في الدرر الكامنة ١٠٨/٥ ومفتاح السعادة ٢٠٤/١ .

أبو القاسم عمر قدّس الله روحه وهو عن والده قاضي القضاة السعيد فخر الدين محمد بن الامام الماضي صدر الدين أبي الحسن علي البيضاوي قدّس الله (١)
أرواحهم عن الإمام العلامة مجير الدين

ثم ذكر سنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويتبين من ذلك أنّ البيضاوي كان القاضي ابن القاضي ابن العالم كما ذكر .

مولده ونشأته :

ولد القاضي ناصر الدين البيضاوي في بلدة البيضاء التابعة لمنطقة شیراز ، وقد غاب على المؤرخين تاريخ ميلاده فلم يذكره في كتبهم ، ولم يشر أحدٌ من المترجمين الى تاريخ ولادته ولكن على التقريب فهو من علماء القرن السابع وولادته غالباً في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس .

وأما نشأته فقد نشأ البيضاوي في بيت علم وبركة ، فأخذ العلم عن والده كما تتلمذ على شيوخ عصره في مختلف المجالات ، فتربى في مهد العلم وغذّى به وتدرج فيه إلى أن بلغ فيه درجة سامية جمع فيها القرآن وعلومه والفقه وأصوله واللغة وعلومها ، كما برع في علم الكلام والجدل والمنطق والتاريخ والفلسفة فقال عنه العلماء : إنه كان إماماً مبرزاً نظّاراً خيراً صالحاً متعبداً فقيهاً أصولياً متكلماً مفسراً محدثاً أدبياً نحوياً مفتياً قاضياً عادلاً . (٢)

رحل البيضاوي مع والده إلى شیراز عاصمة بلاد فارس فقد كانت شیراز آنذاك ملجأ العلماء والفقهاء قصدوا العلماء لوجود الأمن بها ، وإن كانت بقية العالم الإسلامي في اضطرابٍ وخوفٍ من هجمات التتار المغوليين . ف قضى

(١) الغاية القصوى في دراية الفتوى تحقيق محي الدين علي القرّة داغي ١ / ١٤٨ .

(٢) الفتح المبين في طبقات الأصوليين ١ / ٨٨ .

البيضاوى فى شيراز أغلب حياته ولم يحتج إلى رحلات فى طلب العلم، إذ جمعت شيراز أكابر العلماء فى تلك الفترة . فنهل البيضاوى من معين العلم وأتقنه فصار أستاذاً فى كثير من الفنون ، ثم قُـدِّـمَ منصب قاضى القضاة بشيراز، وكان سبب ترقيه إلى هذا المنصب هو تفسيره للقرآن فى كتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل، قال الخوانسارى : (وقد صار هذا الكتاب منشأ ترقياته فى العالم ، وسبب تقربه عند سلطان العصر ، واختصاصه بمنصب قضاء القضاة ، وذلك أنه كان قد بعث إليه بكتاب تفسيره المذكور ، فاستحسنه منه ، وأشار إليه بأن يطلب من الحضرة السلطانية بأداء هذا العمل السديد كلما يريد ، فقال أريد قضاء البيضا ، لكى أترفع به بين أهل ديارى الذين كانوا ينظرون إلىّ بعين التحقير .) (١)

لم يمكث البيضاوى فى منصب القضاء بشيراز فسرعان ما صرف منه لشدة فى الحق فسعى فى سبيل إعادة منصبه فرحل إلى تبريز فى طلب القضاء قال السبكي : (إنَّ البيضاوى لما صرف عن قضاء شيراز رحل إلى تبريز وصادف دخوله إليها مجلس درس لبعض الفضلاء، فجلس فى أخريات القوم بحيث لا يعلم به أحد، فذكر المدرس نكته زعم أنَّ أحدًا من الحاضرين لا يقدر على جوابها ، وطلب من القوم حلها والجواب عنها ، فإنَّ لم يقدروا فالحل فقط ، فإنَّ لم يقدروا فأعادتها . فشرع البيضاوى فى الجواب فقال : لا أسمع حتى أعلم أنك فهمت فخيره بين أعادتها بلفظها أو معناها، فبهت المدرس . فقال أعد هذا بلفظها فأعادها ثم حلها وبين أن فى ترتيبه إياها خلا ثم أجاب عنها وقابلها فى الخال بمثلتها، ودعا المدرس الى حلها فتعذر عليه ذلك . وكان الوزير حاضرا ، فأقامه من مجلسه وأد ثناه الى جانبه ، وسأله من أنت فأخبره أنه البيضاوى وأنه جاء فى طلب القضاء بشيراز، فأكرمه وخلع عليه فى يومه ورده وقد

(١)

قضى حاجته .

وقيل إنه استند في ذلك إلى شفاعه الشيخ محمد الكحتائي الذي

نصحه بالابتعاد عن منصب القضاء فانصاع لأمره .

ففي كل الروايتين إذا شفع للبيضاوى فى تولي القضاء علمه أو شفع

له الشيخ الكحتائي أنه نال ذلك المنصب ، ولكنه تركه وقضى بقية عمره فى

الزهد والعبادة والتدريس والتأليف .

عقيدته ومذهبه :

كان البيضاوى متكلماً أشعرياً متصوفاً شافعي المذهب ، ظهر

ذلك فى كتاباته فى التفسير وغيرها من العلوم التى كتب فيها كالفقه والمنطق

والعقيدة .

ففى علم الكلام ألف كتاب الطوالع والايضاح ومصباح الأرواح وغيرها ،

فكتابه طوالع الأنوار قال فيه الأسنوى : هو كتاب دقيق للغاية وأجل مختصر صنف

فى علم الكلام . (٢)

وقد ظهر علم الكلام والعقيدة الأشعرية فى تفسير البيضاوى ظهوراً

بينما فقد كان يجنح إلى مذهب التأويل فى تفسير الآيات التى فيها ذكر

الصفات الخبرية عن المولى عز وجل فمثلاً فى قوله تعالى : " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ

الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ الآية " . (٣)

قال البيضاوى : (حملهم إياه وحفيهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أو

كناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم من نفاذ أمره .) (٤)

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٥٩/٥

(٢) نهاية السؤل ١/د

(٣) سورة غافر آية ٨

(٤) تفسير البيضاوى ٦١٨

وفى قوله تعالى : " يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ " الآية (١) قال البيضاوى :

(حالٌ أو استئنافٌ مؤكّدٌ على سبيل التخييل .) (٢)

وغير ذلك مما بسطنا القول فيه فى موضعه فى الفصل الثانى من

الباب الثانى (منهجه فى التفسير).

أما بالنسبة لمذهبه فقد كان مذهب الشافعى أكثر انتشاراً فى بلاد فارس وخراسان وبغداد وما حولها فكان من تأثير ذلك أن اختار البيضاوى مذهب الشافعى ودافع عنه وإن كان قد اتقن فقه بقية المذاهب إلا أن مذهب الشافعى غلب على فقه فظهر فى مؤلفاته . وفى تفسير آيات الأحكام كان يذكر أقوال الفقهاء ويشير إلى ذكر مذهبه بقوله (قال أصحابنا) وفى قوله تعالى : " قَلَمَ تَجِدُ مَا فَتَيْمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً . " (٣)

قال البيضاوى : (أى فتعمدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً . ولذلك قالت الحنفية: لو ضرب المقيم يده على حجر صلد ومسح به أجزأه . وقال أصحابنا لا بُدَّ أن يعلق باليد شىء من التراب لقوله تعالى فى سورة المائدة : " فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ " (٤) أى من بعضه وجعل من الابتداء الغاية تعسف ، ولا يفهم من ذلك إلا التبعض .) (٥)

وقد كان والد البيضاوى شافعى المذهب فكان لذلك أثر فى تكوين شخصية البيضاوى واختياره لمذهب الشافعى . وقد صنغه السبكي ضمن فقهاء الشافعية وكذلك الاسنوى فى طبقات الشافعية فكان يدرس فقه الشافعية لتلاميذه

(١) سورة الفتح آية ١٠

(٢) تفسير البيضاوى ص ٦٧٨

(٣) سورة النساء آية ٤٢

(٤) سورة المائدة الآية ٦

(٥) تفسير البيضاوى ص ١١٢

كما ألف كتاب الغاية القصوى في د راية الفتوى في فقه الشافعية وشرح كتاب
الشيرازي المسمى بالتنبيه في فقه الشافعية وغير ذلك .

وفاته :

توفي البيضاوي في تبريز ببلاد فارس ودُفِنَ في " خرانداب " بتبريز

على شرقي تربة الخواجة ضياء الدين يحيى على ما ذكر الخوانساري . (١)

وأما تاريخ وفاته فقد اختلف فيه المؤرخون . فقال السبكي والأسنوي : (٢) (٣)

سنة احدى وتسعين وستمائة . وقال ابن كثير (٤) في تاريخه والخوانساري وجمهور (٥)

المؤرخين : توفي سنة خمس وثمانين وستمائة . وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته

على أنوار التنزيل : () والمشهور الذي اعتمده وصححه المؤرخون في التواريخ

الفارسية أنه توفي في شهر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة تقريباً ويشهد

له ما في آخر تاريخه نظام التواريخ وهو المعتمد . (٦)

ولتباين هذه الأقوال في تاريخ وفاته حيث لا يمكن الترجيح فالمعول

عليه هو الآخذ بقول جمهور المؤرخين أنه توفي عام خمس وثمانين وستمائة

والله أعلم بالصواب.

(١) روضات الجنات ١٣٤/٥

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٥٩/٥

(٣) طبقات الشافعية للأسنوي ٢٨٣/١

(٤) البداية والنهاية ٣٠٩/١٣

(٥) روضات الجنات ١٣٤/٥

(٦) عناية القاضي وكفاية الرازي ٤، ٣/١

الفصل الثاني

شـيـوخـه و تـلـامـيـذ هـ

ويحتوى على مبحثين :

المبحث الأول : شيوخه

المبحث الثاني : تلاميذه

[illegible]

✱

المبحث الأول

شيوخه :

تلقى البيضاوى العلم على كثيرٍ من العلماء فى عصره فدرس الفقه والقراءات واللغة والنحو والمنطق وغيرها، فقد كانت تبريز أنذاك قبلـة العلماء فى بلاد فارس ومن أشهر شيوخ البيضاوى ما يلى :

١ - والده :

فكان البيضاوى أولَ ما نهل من العلم نهل من معين والده أبو القاسم عمير بن محمد بن على البيضاوى . ترجم له صاحب كتاب شدّ الأزار فقال :
(مقتدى عصره ، وأوحد دهره ، كان إماماً متبحراً جمع بين العلم والتقوى
وتقلد القضاء بشيراز سنين دَرسَ وأسمع وحدّث وروى عن شيخه عبد الرحيم بن
عبد الرحمن السجستاني . توفى فى ربيع سنة خمس وسبعين وستمئة ودفن
بالضفة الجنوبية من المدرسة الغربية بالسوق الكبير .) (١)

تأثر البيضاوى بوالده وظهر ذلك فى فتواه . فقد صرح بفتوى والده
فى تفسيره لآية الصدقات فقال : (ظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة
بالأصناف الثمانية ، ووجوب الصرف إلى كلّ صنفٍ وجد منهم ومراعاة للتسوية
بينهم قضية لاشتراكهم إليه ذهب الشافعى رضى الله عنه ، وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها
إلى صنفٍ واحدٍ واختاره بعض أصحابنا ، وبه قال الأئمة الثلاثة وبه كان يفتى
(٢)

شيخى ووالدى رحمهما الله تعالى .)

(١) شدّ الأزار وحط الأوزار ص ٢٩٩ .

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٥٨ .

وقد ذكر اليافعى فى ترجمته له أَنَّهُ تَفَقَّهَ عَلَى أَبِيهِ . (١)

وقد ذكر البيضاوى فى مقدمة كتابه الغاية القصوى فى دراية الفتوى إجازته العلمية وسند أخذه العلم من والده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق ذكر ذلك . (٢)

٢ - الشيخ محمد الكحتائى :

وهو الشيخ محمد بن محمد الكحتائى الصُّوفى ، وهو من شيوخ البيضاوى الذين صحبهم واقتدى بهم فى الزهد والعبادة .

فقد كان البيضاوى يقتدى بالشيخ الكحتائى ويستجيب لإرشاده وتوجيهه ، فقد لزمه البيضاوى واقتدى بسلوكه فى الزهد والعبادة إلى أن مات . فقد ذكر السبكي فى الطبقات الكبرى أَنَّ البيضاوى عندما صرف عن قضاء شيراز دخل تبريز ومكث بها فاستشفع من الشيخ محمد بن محمد الكحتائى للأمير فى طلب القضاء ، فلما أتاه على عادته قال إِنَّ هذا الرجل عالم فاضل يريد الاشتراك مع الأمير فى السعير ، يعنى أَنَّهُ يطلب منكم مقدار سجادة فى النار ، وهى مجلس الحكم ، فتأثر البيضاوى من كلامه وترك المناصب الدنيوية ولازم الشيخ إلى أن مات وصنّف التفسير بإشارة شيخه ولما مات دفن عند قبره . (٣)

(٤)
وقد ذكر هذه القصة أيضاً الخوانسارى فى روضات الجنات .

٣ - عمر البوشكانسى :

وهو شرف الدين عمر الزكى البوشكانسى قال صاحب شدّ الأزار (هو مولانا شرف الدين عمر الزكى البوشكانسى . أستاذ العلماء ورجع الفضلاء ، وملجأ

(١) مرآة الجنان ٢٢٠ / ٤

(٢) الغاية القصوى فى دراية الفتوى ص ١٥

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٥٩ / ٥

(٤) روضات الجنات ١٣٤ / ٥ .

الأكابر في عهده ، وجامع أقسام العلوم من المنقول والمعقول ، لم يترك
فنّاً إلّا درسه ، ولا علماً إلّا مارسه ، وكان مع ذلك أحد العباد المرتاضين ،
يصلّى كل يوم وليلة صلوات كثيرة ، ويجتهد في أمر وضوئه وطهارته اجتهاداً
بليغاً ، لم يخط قط خطوة إلّا في رضى الله تعالى ، ولم يتكلم بكلمة
هجر مدة عمره ، وكانت له سدة يجلس عليها متى درس ، تعظيماً للعلم ومكانته ،
وكان أكابر العلماء يتتلمذون عليه منهم الشيخ ظهير الدين بن عبد الرحمن بن
على بن برغش ، ومولانا نظير الدين محمود بن مصلح الشيرازى . قرأ عليه
الكليات وأثنى عليه في ديباجة شرحه لذلك الكتاب فقال : هو علامة وقته
وشيخ الكلّ في الكل والقاضى ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى قد تأدّب
به وتخرج لديه . وكان عين تلامذته . ويقال إنّ أصول تصانيف القاضى كلها
كانت في أجزاء مسوداته . وقد تصرف القاضى فيها ونقلها إلى البيضاى .
وله كرامات كثيرة ، وعبارات بليغة توفى سنة ثمانين وستمائة ودفن بالصفحة
الجنوبية من تلك المدرسة ، ورثاه القاضى ناصر الدين بقصيدة طويلة ، وكانت
مكتوبة على مرقد ه ، فمحاها يد الأنام وبدل الصندوق بمرور الأيام . (١)

٤ - نصير الدين الطوسى :

(٢)
ذكر الخوانسارى فى روضات الجنات أنّه من شيوخ البيضاوى الذين تتلمذ
عليهم وترجم له ابن كثير فى البداية والنهاية فقال : (هو محمد بن عبد الله
الطوسى ، كان يقال له المولى نصير الدين ، ويقال الخواجه نصير الدين ،
اشتغل فى شبابه وحصل علم الأوائل جيّداً ، وصنّف فى ذلك فى علم الكلام ،
وشرح الاشارات لابن سينا ، وقد ذكره بعض البغادىة فأثنى عليه وقال : كان

(١) شدّ الأزار ص ٢٩٩

(٢) روضات الجنات ١٣٤/٥ .

عاقلاً فاضلاً كريماً الأخلاق ، توفي في بغداد في ثانی عشر ذی الحجة من هذه السنة . (یعنی سنة اثنين وسبعين وستمائة) وله خمس وسبعون سنة ، فرحمه الله تعالى .

هـ - شهاب الدين السهروردي :

هو عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن حمويه صاحب عوارق المعارف قال عنه ابن كثير : (اسمه عبد الله البكري البغدادي ، شهاب الدين أبو حفص السهروردي ، شيخ الصوفية ببغداد ، كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين ، وتردد في الرسالة بين الخلفاء والملوك مراراً ، وحصلت له أموالٌ جزیلة ففرّقها بين الفقراء والمحتاجين ، وقد حج مرة وفي صحبته خلق من الفقراء لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، وكانت فيه مروءة واثابة للمبلهوفين ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وكان يعظ الناس - إلى أن قال - توفي في هذه السنة (یعنی سنة ثلاثين وستمائة) وله ثلاث وتسعون سنة رحمه الله تعالى . (١) وقال عنه السبكي : أنه كان فقيهاً فاضلاً صوفياً إماماً بارعاً شيخ وقته في علم الحقيقة سلك طريق الرياضيات والمجاهدات وقرأ الفقه والخلاف والعربية ، وسمع الحديث ثم انقطع ولازم الخلوة ، وداوم الصوم والذكر والعبادة ، ثم عقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه على دجلة وقصد من الأقطار . (٢) وأما انتساب البيضاوي اليه بالتلمذة فقد ذكره الخوانساري نقلاً عن الشيخ أبي القاسم الكازروني أنه ذكر في كتابه الموسوم بسلم السموات مورداً اسم البيضاوي أنه صحب الخواجه نصير الدين والشيخ شهاب الدين السهروردي . (٣)

(١) البداية والنهاية ١٣ / ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٣٣٨ - ٣٤١ .

(٣) روضات الجنات ٥ / ١٣٤ .

هؤلاء الشيوخ الذين ذكرتهم للبيضاوى هم الذين وقفت عليهم
وليسوا هم كل شيوخ البيضاوى، لأنَّ الواقع غير ذلك فالبيضاوى قد بسَّرَ
فى علم الفلك واللغة والمنطق والتاريخ فلا بُدَّ من أن يكون درس كل هذه
العلوم على الشيوخ ولكن فيما يبدو أنَّ شهرة البيضاوى غطت على كثير
من أسماء شيوخه لذا أهملهم التاريخ .

.....

المبحث الثاني

تلاميذه :

تلقى العلم على البيضاوى عددٌ كبيرٌ من التلاميذ، وإنْ كانت له الدروس وحلقات العلم ، ولكن التاريخ لم يسجل عنهم إلا القليل، والسبب فى ذلك يرجع إلى قولنا بأن شهرة البيضاوى العلمية شغلت المؤرخين من النظر إلى تلاميذ البيضاوى وشيوخه إلا قليلاً ممن اشتهر منهم ، ومن اشتهر من هؤلاء التلاميذ :

١ - جمال الدين الكسائى :

وهو جمال الدين محمد بن أبى بكر بن محمد المقرئ قال أبو القاسم جنيد الشيرازى صاحب كتاب شد الأزار : كان من علماء المشايخ بشيراز تتلمذ على القاضى إمام الدين البيضاوى دَرَسَ الكتب، وله تصانيف فائقة منها : كتاب نور الهدى فى شرح مصابيح الدُّجى . وكتاب النّجم فى الأصول . وسير القرائح فى الأحاجى وغيرها . كان يعظ الناس ويدعوهم إلى الله تعالى سنين ومقرده خلف درب كازرون فى رباط . (١)

٢ - روح الدين الطيّار :

وهو الشيخ روح الدين بن الشيخ جلال الدين الطيّار تلقى العلم على البيضاوى وشرح كتابه المصابيح شرحاً وافياً وصنّف كتاباً فى الكلام، توفى سنة نيف وتسعمائة ودفن بجوار والده الشيخ جلال الدين رحمة الله تعالى عليهم أجمعين . (٢)

(١) شد الأزار ص ١١٧

(٢) راجع شد الأزار ٢٩٩ - ٣٩٢

٣ - رزين الدين الخنجي :

وهو القاضي رزين الدين علي بن روز بها بن محمد الخنجي ، قدوة أرباب العلم والتقوى ، وأسوة أصحاب الدرس والفتوى ، قد جمع بين المشروع والمعقول ، وصنف في الفروع والأصول . ومن مصنفاته:المعتبر في شرح المختصر لابن الحاجب ، وكتاب النهاية في شرح الغاية للبيضاوي ، وكتاب الشكوك على الكافية ، وكتاب القواعد في النحو، توفي في صفر سنة سبع وسبعمائة ود فن بقبته العالية .^(١)

٤ - روح الدين أبو المعالي :

هو القاضي الكريم العادل الرحيم روح الدين أبو المعالي الذي لا يحكم إلاّ بالحق ولا يضمن بعلم على الخلق ، يحيى الليالي بالتلاوة والذكر ويتولى أمور المسلمين بالنهار . شرح كتاب الغاية القصوى شرحاً وافياً . قضى نحبه ليلة الجمعة الأولى من رجب ودُفِنَ بحظيرته المباركة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة .^(٢)

٥ - فخر الدين الجاربردى :

وهو الإمام أحمد بن الحسن فخر الدين الجاربردى . قال السبكي : (كان فاضلاً ديناً متفناً مواظباً على الشغل بالعلم وأفادة الطلبة . شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه ، وتصريف ابن الحاجب ، وقطعة من الحاوي ، وله على الكشاف حواشي مشهورة وقد قرأه مرات عديدة . بلغنا أنّه اجتمع بالقاضي ناصر الدين البيضاوي وأخذ عنه . توفي بتبريز في شهر رمضان سنة ست وأربعين وسبعمائة) .^(٣)

(٢،١) راجع شد الازار ص ٢٩٩ - ٣٩٢

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ١٦٩/٥

٦ - تاج الدين الهنكى :

ذكره السبكي فى ترجمة الايجى فقال :

(واشتغل على الشيخ تاج الدين الهنكى تلميذ القاضى ناصر الدين
(١)
البيضاوى .

٧ - كمال الدين المراغى :

وهو عمر بن الياس بن يونس المراغى أبو القاسم الصوفى كمال الدين ، وُلِدَ
بازربيجان سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقدم دمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة
وهو ابن نيف وثمانين سنة ، وجاور قبل ذلك بالقدس ثلاثين سنة ، وأقام
قبلها بمصر خمس عشرة سنة ، قال البدر النابلسى : سمع صحيح البخارى على
العز الحزانى ، والترمذى على محمد بن ترجم ، وسمع على القاضى ناصر الدين
البيضاوى المنهاج والغاية القصوى والطوالع .

ولما كان بدمشق كان يذكر أَنَّ الجلال القزوينى قرأ عليه قد يماً ويعتَب
عليه فى عدم انصافه له ، قال البدر وأجازنى مروياته سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة
بالقدس . وقال الذهبى فى معجمه : كان شيخنا حسنّاً صالحاً خيراً له حظٌّ من
الاشتغال قد يماً وحديثاً ، وقدم الشام سنة نيف وثمانين وستمائة ^(٢) ، ولم تحدد
المصادر تاريخ وفاته وهؤلاء ممن وقفت عليهم من تلاميذ البيضاوى الذين أخذوا
عنه العلم ، وأما تلاميذه بالمعنى العام فمن الصعوبة حصرهم لكثرتهم وخاصة أصحاب
الشرح والحواشى لكتبه .

(١) طبقات الشافعية ١٠٨ / ٦

(٢) ترجمته فى الدر الكامنه ٢٣٢ / ٣ ، الأعلام ٨١ / ٧

الفصل الثالث

الكلام على آثاره ومؤلفاته إجمالاً :

ترك البيضاوى آثاراً كثيرة ومؤلفات وفيرة فى مختلف المجالات قال عنه
الأسنوى شارح المنهاج : (كان رحمه الله ونفعنا به كثير العباداة ورِعاً
زاهداً نظّاراً عالماً بالتفسير والأصولين (أصول الدين وأصول الفقه) وباللغة
والعربية والمنطق . ترك من الآثار النافعة والتأليف الممتعة ما يشهد له
برسوخ القدم وعلو الكعب فيما زاوله من العلوم النقلية والعقلية .
تلك آثار تدلُّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار (١)

ومن أهم تأليفه :

١ - تفسير القرآن الكريم المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) الذى ذاع
ذكره فى سائر الأقطار وسار مسير الشمس فى رابعة النهار وتلقاه العلماء
شرقا وغربا بالقول ، ووشحوه بالشروح والحواشى الضافية الذيل ، وهو
أجل مؤلفاته . (٢)

وسنتكلم عليه إن شاء الله تعالى بالتفصيل فيما بعد وهو موضوع بحثنا
ودراستنا .

٢ - منهاج الوصول إلى علم الأصول (٢) اختصر فيه كتاب الحاصل لتاج الدين
محمد بن الحسين الأرموى الشافعى المتوفى سنة ست وخمسين وستمائة
المختصر من كتاب المحصول لشيخه الإمام محمد بن عمر بن الحسين المشهور
بفخر الدين الرازى الشافعى المولود بالرى فى رمضان عام أربعة وأربعين
 وخمسة .

(١) نهاية السؤل شرح منهاج الأصول ١/د

(٢) الكتاب مطبوع ومتداول .

وقد شرح المنهاج جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي
وسماه (نهاية السؤل في شرح
منهاج الأصول).

وشرحه نجم الدين محمد بن عبد القادر الواسطي الشافعي المتوفى
سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة .

وشرحه ظهير الدين عبد الصمد بن محمود العارقي سنة ثلاث وسبعمائة .
وشرحه سراج الدين أبو حفص عمر بن موسى بن حسن بن محمد القرشي
المخزومي الحمصي الشافعي المتوفى سنة احدى وستين وثمانمائة وسماه
(توضيح المبهم والمجهول في شرح منهاج الأصول) .

وشرحه أحمد بن اسحاق الشيرازي المتوفى سنة ثلاث وستين وثمانمائة
وسماه (الابهاج في شرح المنهاج) .
ونظمه شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الله الكردي الكوراني الشافعي
المتوفى سنة عشر وثمانمائة (١) . وغيرهم .

٣ - الغاية القيصوى في داية الفتوى (٢) اختصر فيه كتاب الوسيط في فقه
الإمام الشافعي لحجة الاسلام الغزالي المتوفى سنة خمس وخمسمائة
في مجلد واحد .

وقد شرحه رزين الدين على بن روز بها بن محمد الخنجي وسماه (النهاية
في شرح الغاية) (٣) .
ونظمه أيضاً الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن الظهيري الشافعي وسماه
(٤)
الكفاية .

-
- (١) كشف الظنون ٥٨٦/٤ - ٥٩٠
(٢) كتاب الغاية حققه على محي الدين على القره داغي وطبع في دار الاصلاح .
(٣) شد الازار ص ٢٩٩
(٤) كشف الظنون ١١٩٣/٢

٤ - طوابع الأنوار في أصول الدين^(١) . قال الأسنوي: هو كتاب دقيق للغاية

(٢)

وأجل مختصر صنف في علم الكلام .

وقال حاجي خليفة: هو متن متين اعتنى العلماء في شأنه فصنف عليه أبو الثناء
شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني شرحاً نافعا سماه (مطالع
الأنظار) وعليه حاشية للمولى مصلح الدين محمد اللاري .

وحاشية لحميد الدين بن أفضل الدين الحسيني المعروف بابن أفضل وهي
مقبولة متداولة .

وحاشية للشریف علی بن محمد الجرجانی . وشرحه عصام الدين ابراهيم بن
محمد الاسفرايني وهمام الدين الكناري وحاجي باشا الايديني سماه (مسالك
الكلام في مسائل الكلام) نقل فيه من فوائد الشارحين وتصانيف المحققين
ما قرع سمعه وأعجب ذهنه وغير ما رأى فيه تطويلاً أو تقصيراً أو خلاً مع
الضميمة من بنات أفكاره، وشرحه غير هؤلاء خلق كثير .

(٣)

٥ - التهذيب والأخلاق، وهو كتاب ألفه في التصوف .

(٤)

٦ - لب الألباب في علم الإعراب . اختصر فيه الكافية لابن الحاجب .

قال صاحب كشف الظنون : (وهو منظوم على فوائد جلية جلية ومتكفل
لفرائب النحو بوجازة ألفاظ عبقرية وقد ذكر فيه ما هو الواجب ما تركه ابن
الحاجب وقد شرحه مولانا بن محمد ابن لير على المعروف ببركلى المتوفى
سنة احدى وثمانين وتسعمائة وهو المعروف بامتحان الأذكياء .

(١) كتاب الطوابع مطبوع ومتداول .

(٢) نهاية السؤل ١/١

(٣) ذكره الأسنوي في ديباچيته على المنهاج ، انظر نهاية السؤل ١/١

(٤) كتاب اللب مخطوط .

وشرحه بايزيد بن عبد الغفور القونوى من علماء دولة السلطان
محمد بن مراد بن سليم خان شرحاً ممزوجاً كثير الفوائد ، وسماه
مدرج الفوائد لما الحق به من الزوائد ، وفيه ردود واعتراضات على
الشارح البركلى .

ومن شرح اللب خلاصة الكتب ، أوله الحمد لله الذى فتح على جمع
أعربوا بالكلمة فى كلامهم أبواب الجنة لمحمد بن على الكونباتى المجاور
بمكة المكرمة فى أواخر رمضان سنة إحدى وأربعين وتسعمائة .^(١)

٧ - تاريخ الدول الفارسية المسمى بنظام التواريخ ، وهو كتاب ألفه باللغة
الفارسية ذكر فيه تاريخ الدول الفارسية منذ أبينا آدم إلى عهد
البيضاوى .^(٢)

٨ - مصباح الأرواح^(٣) فى الكلام أوله الحمد لله الأول قبل كل موجود ،
رتبه على مقدمة وثلاثة كتب ، وشرحه القاضى عبيد الله بن محمد الفرغانى
التبريزى المعروف بالعبرى ، المتوفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بقال
أقول ، وعليه شرح آخر يقال أقول ، وهو المسمى بالايضاح ، أوله الحمد
لله الذى تحيرت الأفهام فى عظمتة .^(٤)

٩ - كتاب فى المنطق .^(٥)
١٠ - رسالة فى موضوعات العلوم وتعريفها .^(٦)

(١) كشف الظنون ١٥٤٦/٢

(٢) نظام التواريخ مخطوط بالفارسية .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٣٣/٩

(٤) كتاب الطوالع مطبوع .

(٥) مصباح الأرواح مخطوط

(٦) كشف الظنون ١٧٠٥/٢

(٧) مخطوطه

- ١٢ - مختصر في الهيئة ^(١) .
- ١٣ - كتاب في أسماء الله الحسنى ^(٢) .
- ١٤ - الايضاح في أصول الدين ذكره الأسنوى في مقدمته على المنهاج وقال لعلّه شرح على كتاب المصباح ^(٣) .
- هذا ما أمكننا الوقوف عليه من كتب البيضاوى ولعل الذي لم نقف عليه منها كثير منها ما ألف باللغة العربية ومنها ما ألف باللغة الفارسية فالرجل باعه طويل في مجالات شتى كعلم الفلك والفلسفة والجدل والمنطق وغيرها .
- وأما شروحه على الكتب كثيرة نذكر منها :
- ١ - شرح مصابيح الامام البغوى في الحديث المسمى مصابيح السنة وسمى البيضاوى شرحه تحفة الأبرار .
- ٢ - شرح المحصول في أصول الفقه للامام فخر الدين الرازى .
- ٣ - شرح المنتخب في أصول الفقه للامام فخر الدين الرازى انتخبه من كتابه المحصول ^(٤) .
- ٤ - شرح مختصر ابن الحاجب الأصولى سماه مرصاد الافهام الى مبادئ الأحكام أوله : الحمد لله الذى هدانا الى مناهج الحق ، وهو مشروح ممزوج لا فرق فيه بين المتن والشرح بشيء أصلاً بل هو كتأليف مستقل ^(٥) .
- ٥ - شرح التنبيه لأبى إسحاق الشيرازى في فقه الإمام الشافعى في أربع مجلدات ذكره الأسنوى في مقدمته الى المنهاج ولم يذكره صاحب كشف

(١، ٢، ٣) هذه الكتب كلها مخطوطة
(٤) انظر مقدمة الأسنوى على المنهاج ١/د
(٥) المرجع السابق ، كشف الظنون ٢/١٨٥٤

(١)

الظنون ضمن الشراح الذين شرحوا التنبيه .

٦ - شرح الكافية في النحولابن الحاجب المالكي المتوفى سنة ست

(٢)

وأربعين وخمسمائة .

٧ - شرح الفصول ، فصول الخواجة نصير الدين الطوسي .

قال الخوانسارى : (ذكره الشيخ أبو القاسم الكازرونى المتكلم الحكيم

فى كتابه سلم السماوات موردا اسم الرجل فيه أيضاً بعنوان القاضى

(٣)

ناصر الدين بن القاضى إمام الدين أبى القاسم

وهناك كتب نُسبت خطأً للبيضاوى منها :

١ - تاريخ الصين المأخوذ من كتاب تاريخ العالم . جاء فى دائرة المعارف

الاسلامية : (هناك مخطوط محفوظ بين المخطوطات الشرقية بها مبرج

تحت رقم ١٨٧ تضمن بعد بدايته تاريخ الصين المأخوذ من تاريخ

العالم لرشيد الدين ، ولذلك فقد طبع هذا المخطوط ونسب خطأً

(٤)

للبيضاوى .

٢ - الارشاد فى الفقه . ذكر الكتبى فى عيون التواريخ أن هذا الكتاب

(٥)

للقاضى ناصر الدين البيضاوى وهو سهو فقد قال السبكى : (وله -

أى لأبى بكر البيضاوى على ما ذكر ابن الصلاح كتاب الارشاد فى

(٦)

شرح كفاية الصيمرى .)

فاختلط على ابن شاکر الكتبى فاسند ما للقاضى أبى بكر البيضاوى

إلى القاضى ناصر الدين البيضاوى .

(١) المرجع السابق .

(٢) كشف الظنون ١٣٧٣/٢ .

(٣) روضات الجنات ١٣٦/٥ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ٣٣/٩ .

(٥) عيون التواريخ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٧٦ تاريخ ج ٢١

(٦) طبقات الشافعية الكبرى ٩٦/٤ .

٣ - التبصرة في الفقه :

ذكر ابن السبكي وإسماعيل البغدادي وغيرهما أنَّ هذا الكتاب
للقاضي أبي بكر البيضاوي . (١)

٤ - التذكرة في الفروع :

(٢)
وقد أسنده إلى القاضي ناصر الدين البيضاوي إسماعيل البغدادي
وهو خطأ فقد قال السبكي : (إِنَّ القاضي أبا بكر قد شرح كتابه
التبصرة بشرحين أحدهما : " التذكرة في شرح التبصرة " وقفت أنا عليه
(٣)
وهو في مجلدين .)

وجاء في كشف الظنون في الكلام على هذا الكتاب .
(٤)
قال حاجي خليفة إِنَّ للإمام البيضاوي المفسر تذكرة فيه .
وهذا مرجوح لأنَّ السبكي قال وقفت أنا عليه وهذا تأكيد ينفي من خالفه ،
والله أعلم .

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٩٧/٤ ، هدية العارفين ١/٤٦٢ ، ايضاح

المكنون ٢٢٢/١

(٢) هدية العارفين ١/٤٦٢

(٣) الطبقات الكبرى ٩٦/٤ .

(٤) كشف الظنون ١/٢٧٧ .

الباب الثاني

تفسيره الفصل الأول

مصادره

- ١- مصادره من القرآن الكريم .
- ٢- مصادره من السنة النبوية .
- ٣- مصادره من أحوال الصحابة والتابعين .
- ٤- مصادره من كتب التفسير .
- ٥- مصادره من كتب اللغة .

مصادره من القرآن الكريم

من مصادر البيضاوى فى تفسيره القرآن الكريم القرآن نفسه . فقد كان يفسر القرآن بالقرآن فى كثير من المواضع وله فى ذلك طرق مختلفة ، فمرة يفسر الآية ويبين المراد منها على ما ظهر من معناها اللغوى ويؤيد تفسيره بآية من القرآن الكريم تعضد ما ذهب إليه فى تفسير الآية . ومرة يفسر الآية بذكر آية تماثلها فى المعنى من غير أن يذكر تفسيراً من عنده . ومرة تدل الآية على حكم فقهى ، فيتخذ البيضاوى فيه مذهاً ويأتى بآية أخرى دليلاً على ما ذهب إليه من الحكم الفقهى . وإذا ذكر المعنى مجملًا فى آيات من القرآن الكريم ، ذكر الآيات التى ورد فيها مفصلاً . وغير ذلك من الاستشهاد بالآيات .

فعند تفسير قوله تعالى : " فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ^(١) " قال البيضاوى : (عتوا تكبروا عن ترك ما نهوا عنه . كقوله تعالى : " فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ^(٢) " و " قلنا لهم كونوا " كقوله تعالى : " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ^(٣) ") (٤)

والمعنى أن القوم استعصوا وتمردوا عن ترك ما نهوا عنه فكان فى الآية محذوف وهو ترك المنهى عنه ، فكان ترك المنهى عنه طاعة والاستعصاء عن ترك المنهى عنه هو المعصية ، كما وضع ذلك الرازى فى تفسيره حين قال :

(١) سورة الاعراف آية ١٦٦

(٢) سورة الذاريات آية ٤٤

(٣) سورة النحل آية ٤٠

(٤) تفسير البيضاوى ص ٢٢٧

(وإذا عتوا عما نهوا عنه فقد أطاعوا لأنهم أبوا عما نهوا عنه ومعلوم أنه ليس المراد ذلك . فلا بد من اضرار ، والتقدير فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه ، ثم حذف المضاف . وإذا أبوا ترك المنهى كان ذلك ارتكاباً للمنهى .)^(١)

وأما قوله تعالى : " قلنا لهم كونوا قردة خاسئين " فكما قال البيضاوي هو أمرٌ كوني لا أمرٌ قولي كقوله تعالى " كن فيكون " لأن القوم إذا خوطبوا خطاباً فيه أمر بأن يجعلوا من أنفسهم قردة لا يستطيعون ، فكان المعنى أنهم مسخوا بأمر من الله تبارك وتعالى . قال الفخر الرازي في تفسيره ، (ومن الناس من قال : قوله " قلنا لهم كونوا قردة " ليس من المقال بل المراد منه أنه تعالى فعل ذلك . وفيه دلالة على أن قوله " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " . هو معنى الفعل لا الكلام .)^(٢)

وقال الشوكاني : (وقلنا لهم كونوا قردة خاسئين " أى أمرناهم أمراً كونياً لا أمراً قولياً .)^(٣) وهو قول جمهور المفسرين .

ومن أمثلة مصادره في تفسيره القرآن بالقرآن ما جاء في تفسير قوله تعالى : " يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ، ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ " ^(٤) قال البيضاوي : (أنزلنا عليكم أى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة ونظيره قوله تعالى : " أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ " ^(٥) وقوله تعالى : " وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ " ^(٦))^(٧)

-
- (١) التفسير الكبير ١٥ / ٤٠
 (٢) المرجع السابق .
 (٣) فتح القدير ٢ / ٢٥٧
 (٤) سورة الأعراف آية ٢٦
 (٥) سورة الزمر آية ٦
 (٦) سورة الحديد آية ٢٥
 (٧) تفسير البيضاوي ص ٢٠٢

والمعنى اطلاق السبب وارادة المسبب ، فالذى أنزل من السماء هو ماء المطر فنبت به النبات الذى منه الكسوة كالقطن والكتان وأكلت منه الأنعام التى من أصوافها وأد بارها كساء، قال البرسوى : (قد أنزلنا عليكم لباساً : أى خلقناه لكم بانزال سببه من السماء ، وهو ماء المطر ، فما تتبته الأرض من القطن والكتان من ماء السماء ، وما يكون من الكسوة من أصواف الأنعام ، فقوام الأنعام أيضاً من ماء السماء . (١)

ومن أمثلة مصادره فى تفسيره القرآن بالقرآن ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . (٢)

قال البيضاوى : (تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله : " وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . " (٣) (٤)

وللعلماء أقوال فى تفسير الآية قال النسفى : (واعلموا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ . " أى يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها ، وهى التمكن من اخلاص القلب ، فاغتنموا هذه الفرصة ، وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله . أو بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائه . (٥)

(١) روح البيان ١٤٧/٣

(٢) سورة الأنفال آية ٢٤

(٣) سورة ق آية ١٦

(٤) تفسير البيضاوى ص ٢٣٨

(٥) تفسير النسفى ١٠٠/٢

وقال الراغب الأصفهاني : (أصل الحول تغيرُ الشيء وانفصاله

عن غيره . وباعتبار التغير قيل : حال الشيء يحول حولاً واستحال : تهيأ

لأن يحول . وباعتبار الانفصال قيل : حال بيني وبينك كذا وقوله تعالى :

” واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه . ”

فأشارة إلى ما قيل في وصفه يقلب القلوب وهو أن يلقي في قلب الانسان

ما يصرفه عن مراده لحكمة تقتضي ذلك ، وقيل على ذلك (وحيل بينهم وبين

ما يشتهون) وقال بعضهم في قوله (يحول بين المرء وقلبه) هو أن يهمله

ويرده إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً^(١) . ”

وقال الألوسي عن الآية : ” فيها تنبيه على أنه تعالى مطلع من

مكنونات القلوب على ما قد يغفل عنه أصحابها ، وجوز أن يكون المراد من

ذلك الحث على المبادرة إلى اخلاص القلوب وتصفيتها ، فمعنى يحول بينه

وبين قلبه يفوته الفرصة التي هو واجدها، وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة

أدوائه وعلله ورد ه سالماً كما يريد ه الله تعالى، فكأنه سبحانه بعد أن أمرهم

بإجابة الرسول عليه الصلاة والسلام أشار لهم إلى اغتنام الفرصة من اخلاص

القلوب للطاقة، وشبه الموت بالحيلولة بين المرء وقلبه الذي به يعقل في عدم

التمكن من علم ما ينفعه علمه وإلى هذا ذهب الجبائي .

وقال غير واحدٍ : إنه استعارة تمثيلية لتمكنه تعالى من قلوب العباد ،

فيصرفها كيف يشاء بما لا يقدر عليه صاحبها، فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده

ويلهمه رشده ويزيغ عن الصراط السوى قلبه، ويبدله بالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً،

(١) مفردات غريب القرآن ص ١٣٧ .

وذلك كمن حال بين شخص ومتاعه فإنه القادر على التصرف فيه دونه وهذا كما في حديث شهر بن حوشب عن أم سلمة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كثاره الدعاء بيا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال لها : يا أم سلمة انه ليس آدمي إلاَّ وقلبه بين أصبعين من أصابع الله تعالى، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ ، ويؤيد هذا التفسير ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال عليه الصلاة والسلام : يحول بين المؤمن والكفر ويحول بين الكافر والهدى . . .

وقال الألوسي في آخر كلامه : " قيل: إن القوم لما دعوا إلى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلّة خافت قلوبهم وضاعت صدورهم ف قيل لهم قاتلوا في سبيل الله تعالى إذا دعيتم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الأمن خوفاً والجبن جرأةً " (١).

وقال ابن القيم في تفسيره للآية " المشهور في الآية أنه يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان . ويحول بين أهل طاعته وبين معصيته وبين أهل معصيته وبين طاعته . وهذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين . وفي الآية قول آخر : أن المعنى أنه سبحانه قريب من قلبه لا تخفى عليه خافية . فهو بينه وبين قلبه . ذكره الواحدى عن قتادة .

وكان هذا أنسب للسياق ، لأن الاستجابة أصلها بالقلب فلا تنفع الاستجابة بالبدن دون القلب فإنَّ الله سبحانه بين العبد وبين قلبه . فيعلم هل استجاب له قلبه ، وهل أضمر ذلك أو أضمر خلافه .

(١) روح المعاني ١٩١/٧ - ١٩٢ .

وعلى القول الأول ، فوجه المناسبه إن تشاقلتم عن الإجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن يحول الله بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة ، وعقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته فيكون كقوله : " وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ (١) " وقوله " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ (٢) " وقوله . " فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ " (٣)

(٤)

ففى الآية تحذير عن ترك الاستجابة بالقلب وان استجاب بالجوارح .

قلت: القول الذى أراه راجحاً هو قول جمهور المفسرين من أن الله يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان، وبين الطاعة وبين أهل المعاصى، وبين المعاصى وبين أهل الطاعة، فالله تعالى هو مقلب القلوب . ولكن هذا القول لا ينافى قول الذين قالوا إن الحيلولة فسخ العزائم، وتغيير المقاصد إذ هى جزء من تصرف القلوب كما أنه لا ينافى أيضاً القول بأن الحيلولة كناية عن قرب الله تعالى للعبد وهى أقرب إليه من حبل الوريد - وهو الذى ذكره البيضاوى - لأنه لا تعارض بين قرب الله تعالى من الانسان وبين تصرف قلبه وتقليبه فهو القريب المضطلع على قلوبنا أكثر منا وأدري بأحوالنا منا، فيمكن الجمع بين هذه الأقوال مع تقديم قول الجمهور .

ومن تفسير البيضاوى للقرآن بالقرآن أنه يأتى بالآية دليلاً على ما ذهب إليه من المذهب الفقهى فيما تدل عليه الآية من أحكام فقهية . ومن ذلك فى

(١) سورة الأنعام آية ١١٠

(٢) سورة الصف آية ٥

(٣) سورة الأعراف آية ١٠١

(٤) التفسير القيم ص ٢٩١

تفسير قوله تعالى : " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ .. الآية " (١)

قال : (الفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته ، من الفقار كأنه أصيب فقاره ، والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه كأن العجز أسكبه ويدل عليه قوله تعالى : " أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ . " (٢) (٣)

وللعلماء أقوال فى معنى الفقير والمسكين منهم من قال أن المسكين أحسن حالا من الفقير - كما قال البيضاوى - ومنهم من قال بعكس ذلك ، إنَّ الفقير أحسن حالا من المسكين ، ومنهم من ساوى بينهما فى المعنى وقال لا فرق بين المسكين والفقير . أورد ذلك الخلاف القرطبى فى تفسيره فقال : (اختلف علماء اللغة وأهل الفقه فى الفرق بين المسكين والفقير على تسعة أقوالٍ : فذهب يعقوب ، ابن السكيت ، والقتبى ، ويونس ، ابن حبيب ، إلى أنَّ الفقير أحسن حالا من المسكين قالوا الفقير هو الذى له بعض ما يكفيه ويقيمه والمسكين الذى لا شىء له واحتجوا بقول الراعى : -

أما الفقير الذى كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبب

وذهب الى هذا قوم من أهل اللغة والحديث منهم أبو حنيفة والقاضى عبد الوهاب والوفق من الموافقة بين الشيئين كالاتحام ، يقال حلوبته وفق عياله أى لها لبس قدر كفايتهم لا فضل فيه ، عن الجوهرى . وقال آخرون بالعكس، فجعلوا المسكين أحسن حالا من الفقير . واحتجوا بقوله تعالى : " أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ . " فأخبر أنَّ لهم سفينة من سفن البحر . وربما

(١) سورة التوبة آية ٦٠

(٢) سورة الكهف آية ٧٩

(٣) تفسير البيضاوى ص ٢٥٨

ساوت جملة من المال . وعضدوه بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
تعوذ من الفقر .^(١) وروى أنه قال : " اللهم أحيى مسكيناً وأمتى مسكيناً " .^(٢)

فلو كان المسكين أسوأ حالا من الفقير لتناقض الخبران ، إذ يستحيل أن
يتعوذ من الفقر ثم يسأل ما هو أسوأ حالا منه ، وقد استجاب الله دعاءه
وقبضه وله مال مما أفاء الله عليه ، ولكن لم يكن معه تمام الكفاية ، ولذلك رهن
درعه .

قالوا وأما بيت الراعي فلا حجة فيه ، لأنه إنما ذكر أن الفقير كانت
له حلوبة في حال . قالوا : والفقير معناه في كلام العرب المفقور الذي نزع
فقرة من ظهره من شدة الفقر فلا حال أشد من هذه .

وقد أخبر الله عنهم بقوله " لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ " . واستشهدوا^(٣)

بقول الشاعر :

لما رأى لبد النسور تطايرت رفع القوادم كالفقير الأعزل .

(١) أخرجه أبو داود في الأدب والنسائي في الاستعانة عن طريق جعفر بن
ميمون قال فيه يحيى ليس بثقة وقال أحمد ليس بقوى في الحديث وقال
أبو حاتم الرازي صالح . انظر مختصر سنن ابن داود للمندري ٣٤٥/٧ ،
سنن النسائي .

(٢) أخرجه ابن ماجه في الزهد عن طريق يزيد بن سنان عن ابن المبارك قال
البصري في الزوائد هذا اسناد ضعيف أبو المبارك لا يعرف اسمه وأخرجه
الترمذي بسند غريب عن طريق ثابت بن محمد العابد الكوفي . انظر سنن
الترمذي ٢١٣/٩ ، سنن ابن ماجه ٤١٢/٢

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٣

لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ

أى لم يطق الطيران فصار بمنزلة من انقطع صلبه ولصق بالأرض .
ونذهب إلى هذا الأصمعى وغيره وحكاية الطحاوى عن الكوفيين وهو أحد
قولى الشافعى وأكثر أصحابه . وللشافعى قول آخر : أَنَّ المسكين والفقير
سواء لا فرق بينهما فى المعنى ، وإن افترقا فى الاسم وهو القول الثالث والى
هذا ذهب ابن القاسم وسائر أصحاب مالك ، وبه قال أبو يوسف (١) .

وكان القرطبى يفضل قول أصحاب مالك ومن وافقهم من أن المسكين
والفقير يتفان فى المعنى ، ويرد قول البيضاوى ومن وافقه من أن المسكين أحسن
حالاً من الفقير فقال : (لا حجة فى قول من احتج بقوله تعالى : " أَمَّا
السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر . " لأنه يحتمل أن تكون مستأجرة
لهم ، كما يقال هذه دار فلان إذا كان ساكنها وكانت لغيره . وقد قال
تعالى فى وصف أهل النار : " وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ " (٢) . فأضافها إليهم ،
وقال تعالى : " وَلَا تَوَدُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ " (٣) .
وقال صلى الله عليه وسلم : " من باع عبداً وله مال " . وهذا كثير جداً يضاف
الشيء إليه وليس منه . ومنه قولهم باب الدار وسرج الفرس . ويجوز أن يسموا
مساكين من جهة الرحمة والاستعطاف (٥) .

والقول الذى أراه راجحاً هو قول البيضاوى ومن وافقه أن المسكين
أحسن حالاً من الفقير والدليل فى ذلك ظاهر الآية السابقة " أما السفينة

(١) تفسير القرطبى ٤ / ٣٠٠٧ - ٣٠٠٨ - ٣٠٠٩

(٢) سورة الحج آية ٢١

(٣) سورة النساء آية ٥

(٤) أخرجه مسلم فى البيوع ١٠ / ١٦١ وأبو داود فى البيوع ٣ / ٢٦٨

(٥) انظر تفسير القرطبى ٤ / ٣٠٠٧ ، ٣٠٠٨ ، ٣٠٠٩

فكانت لمساكين يعملون في البحر. " وطلب النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيش مسكيناً وتعونه صلى الله عليه وسلم من الفقر . وما ذهب إليه القرطبي من قول أصحاب مالك ومن وافقهم أن الفقير والمساكين سواء في المعنى قول مرجوح ، لأنَّ الفقير والمساكين وردا بصيغة العطف والعطف اذا اجتمع فيه المعطوفان يقتضى المغايرة في الغالب وتقديم الفقير في الآية على المسكين يدل على شدة حاجته .

ومن تفسير البيضاوى القرآن بالقرآن قوله تعالى : " وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ " فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ^(١) . قال البيضاوى : (وكل أمة من أمم الماضية رسول يبعث اليهم ليرعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قتلهم بينهم وبين الرسول ومكذبوه بالعراك فابغى الرسول واهلك المكذبون . وقبل مصناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قتلهم بينهم بائنا المؤمنين وعقاب الكافر لقوله : ^(٢) " وَجِئْتُ بِالْغَيْبِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّرَكَاءِ وَقَتْلُ بَيْنَهُمْ " ^(٣))

وقد ذكر الشوكانى تأويلين للآية أحدهما أن القضاء بين الأمم كان

في الدنيا والتأويل الآخر انه كان في الآخرة . فقال : (ولكل أمة من الأمم الخالية في وقت من الأوقات رسول يرسله الله إليهم ، ويبين لهم ما شرعه الله لهم من الأحكام على حسب ما تقتضيه المصلحة فاذا جاء رسولهم اليهم وبلغهم ما أرسله الله به فكذبوه جميعا قضى بينهم أى بين الأمة ورسولها بالقسط ، أى العدل فنجا الرسول وهلك المكذبون له كما قال سبحانه : -

" وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا " ^(٤) .

ويجوز أن يراد بالضمير في "بينهم" الأمة على تقدير أنه كذب به بعضهم

(١) سورة يونس آية ٤٧

(٢) سورة الزمر آية ٦٩

(٣) تفسير البيضاوى ص ٢٨٠

(٤) سورة الاسراء آية ١٥

وصدقه البعض الآخر ، فيهلك المكذبون وينجو المصدقون، وهم لا يظلمون ففى ذلك القضاء فلا يعذبون بغير ذنب ، ولا يؤخذون بغير حجة ومنه قوله تعالى :

" وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون " . وقوله :

" فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ " (١) والمراد المبالغة فى اظهار العدل والنصفه بين العباد (٢) . وهو الذى آراه راجحاً لمناسبته السياق

ثم إن الأمة فى الغالب لا تكفر بأسرها ان قد يوجد فيها من يصدق الرسول ويؤمن به وله واحد أو اثنين فضلاً عن الكثير . قال الشنقيطى فى كتابه أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن فى تفسير هذه الآية : (أوضح الله تعالى معنى هذه الآية الكريمة فى سورة الزمر بقوله : " وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٣٩) وَوَفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ " . (٣) وقال فى تفسير قوله تعالى : " وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ " . (٤) قال : (ذكر جلّ وعلا فى هذه الآية الكريمة أنه يوم القيامة يبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم يشهد عليهم بما أجابوا به رسولهم ، وأنه يأتى نبينا صلى الله عليه وسلم شاهداً علينا) . وبين هذا المعنى فى غير هذا الموضع كقوله : " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا " وكقوله فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٥) الى غير ذلك من الآيات (٦) .

-
- (١) سورة النساء آية ٤١
(٢) أضواء البيان ٢/٤٨٩
(٣) سورة النحل آية ٨٩
(٤) سورة الاعراف آية ٦
(٥) أضواء البيان ٣/٣٣٥
(٦)

ومن تفسير البيضاوى القرآن بالقرآن قوله تعالى : (" فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ")^(١) مثل قوله : " إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا . . . " ^(٢) و " كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي " ^(٣) وأصله مخلف رسله وعده فتقدم المفعول الثانى اذا ناسأ بأنه لا يخلف الوعد أصلاً لقوله : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ " ^(٤) وإذا لم يخلف وعده أحداً فكيف يخلف رسله . ^(٥)

وفسر الآية ابن جزى الكلبي فقال : (" فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ " . يعنى وعد النصر على الكفار، فإن قيل؛ هلأ قال مخلف رسله وعده ، وَلَمْ قَدَّمَ الْمَفْعُولَ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ ؟ فالجواب أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً على الاطلاق، ثم قال رسله ليعلم أنه إذا لم يخلف وعده أحداً من الناس ، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه فقدم الوعد أولاً بقصد الاطلاق ، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص . ^(٦)

وقال العكبرى فى التبيان : (قوله مخلف وعده رسله . الرسل مفعول أول ، والوعد مفعول ثانى ، وضافه مخلف الى الوعد اتساعاً والأصل مخلف رسله وعده ، ولكن ساغ ذلك لما كان كل واحد منهما مفعولاً وهو قريب من قولهم ^(٧) يا سارق الليلة أهل الدار . ^(٨))

(١) سورة ابراهيم آية ٤٧

(٢) سورة غافر آية ٥١

(٣) سورة المجادلة آية ٢١

(٤) سورة آل عمران آية ٩

(٥) تفسير البيضاوى ص ٣٤٣

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٢٦١ ، ٢٦٢

(٧) البيت من شواهد سيويه والقائل أبو داود الآيادى أوعدى بن زيد . هكذا

فى حاشية التبيان فى اعراب القرآن .

(٨) التبيان فى اعراب القرآن ٢ / ٧٧٤

وقال الشوكاني مخلف منتصب على أنه مفعول تحسبن وانتصاب رسله على أنه مفعول وعد، قيل وذلك على الإتساع والمعنى مخلف رسله وعد، قال القتيبي هو من المقدم الذي يوضحه التأخير والمؤخر الذي يوضحه التقديم، وسواء في ذلك مخلف وعد رسله ومخلف رسله وعد، ومثل ما في الآية قول الشاعر:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه

وسأثره باد إلى الشمس أجمع (١)

تبين من ذلك أن التأويلات كلها متقاربة في المعنى وقول الجمهور اضافة مخلف إلى الوعد من اضافة اسم الفاعل إلى المفعول الثاني، كقولهم هذا معطى درهم زيداً . أورد ذلك الألوسي (٢) في تفسيره للآية وهو حسن . واستشهد البيضاوي بالآيات " انا لننصر رسلنا " و " كتب الله لأغلبن أنا ورسلى . " و " إن الله لا يخلف الميعاد . " أخذه من الزمخشري الذي تعقبه ابن المنير (٣) بأن الفعل إذا تقيّد بمفعول انقطع احتمال اطلاقه . وهو هنا كذلك .

والذى أراه راجحاً قول الجمهور من المفسرين والنحاة وهو اضافة مخلف إلى الوعد من إضافة اسم الفاعل إلى المفعول والفعل أخلف لما كان يتعدى إلى اثنين جازت اضافته إلى كل منهما فينصب ما تأخر ، وكذلك تعدى الفعل إلى مفعولين ينفى عنه التقييد وإذا انتفى عنه التقييد جاز له الاطلاق .

(١) فتح القدير ١١٨/٣

(٢) روح المعاني ٢٥٣/١٣

(٣) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٣٨٤/٢ .

ومن تفسير البيضاوى للقرآن بالقرآن أن الآيات اذا ذكر المعنى فيها مجسلاً يذكر الآيات التى ذكر المعنى فيها مفصلاً .

مثال ذلك ما ورد فى تفسير قوله تعالى : " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَكِن نُّؤْمِنُ لِرُقِّيكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرؤه . قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا " (١) .

قال البيضاوى : (هل كنت إلا بشراً كسائر البشر ، كسائر الرسل)

رسولاً كسائر الرسل ، وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ، ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله . حتى يتخيرونها على . هذا هو الجواب المجمل ، وأما التفصيل فقد ذكره فى آيات أخر كقوله : " وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ " (٢) . وقوله تعالى : " وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ " (٣) . (٤)

فهذه الآيات تبين ما أجمل فى سورة الاسراء ، أن الله تعالى إذا أجاب طلبهم لما آمنوا . ولتعللوا بعلل أخرى كقولهم نحن قوم مسحورون . وكقولهم سكَّرت أبصارنا ، وكقولهم هذا سحر مبين . هكذا يفسر البيضاوى القرآن بالقرآن فيستشهد بالآيات ويبين بها المجمل ، ويستدل بها الى ما ذهب اليه ، ويوضح المعنى وغير ذلك فالقرآن مصدر من مصادر البيضاوى فى التفسير .

(١) سورة الاسراء الآيات من ٩٠ - ٩٣

(٢) سورة الأنعام آية ٧

(٣) سورة الحجر آية ١٤ ، ١٥

(٤) تفسير البيضاوى ص ٣٨٣

مصادر من السنة

~~~~~

من مصادر البيضاوى فى تفسيره السنة النبوية ، فكان يورد الأحاديث صحيحها ، وحسنها ، ومعلولها ، وضعيفها . ويستشهد بها فى تفسيره للآيات . وعلى الرغم من أن تفسيره لا يعدُّ تفسيراً بالمأثور ، ولكنه يورد الأحاديث لأغراض فى التفسير . منها أنه يورد الحديث لبيان ما تسدل عليه الآية . مثال ذلك فى تفسير قوله تعالى : " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ " (١) قال البيضاوى : ( هى صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب : " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر - ملاً الله بيوتهم ناراً " ) (٢) (٣)

والصلاة الوسطى التى خصها الله فى هذه الآية ، اختلف فيها السلف والخلف لا اختلاف الأدلة الواردة فيها ، فقليل هى صلاة الفجر ، وقيل الظهر ، وقيل العصر ، وقيل المغرب ، وقيل العشاء . أورد ذلك الخلاف ابن كثير فى تفسيره وذكر أدلة كل فريق فقال : ( قيل : إنها الصبح حكاه مالك فى (٤) الموطأ بلاغاً عن على وابن عباس . )

وقال هشيم وابن عليه وغندر وابن أبى عدى وعبد الوهاب وشريك وغيرهم عن عوف الإعرابى عن أبى رجاء العطاردى قال : صليت خلف ابن عباس الفجر فقلت فيها

---

( ١ ) سورة البقرة آية ٢٣٨

( ٢ ) أخرجه البخارى كتاب التفسير ، صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٢٦١/٩

وأخرجه مسلم كتاب الصلاة صحيح مسلم بشرح النووى ١٢٧/٥

( ٣ ) تفسير البيضاوى ص ٥٤

( ٤ ) موطأ مالك شرح تنوير الحوالك باب الصلاة الوسطى ١٥٨/١

ورفع يديه ثم قال : هذه الصلاة الوسطى التى أمرنا أن نقوم فيها قانتين .  
 رواه ابن جرير (١) . ورواه أيضا من حديث عوف عن خلاص بن عمرو عن ابن عباس  
 مثله سواء . وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار . حدثنا عبد الوهاب . حدثنا  
 عوف عن أبي المنهال عن أبي العالية عن ابن عباس أنه صلى الغداة فى مسجد  
 البصرة فقت قبل الركوع وقال : هذه الصلاة الوسطى التى ذكرها الله فى  
 كتابه فقال : " حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين " (٢) . وقال  
 أيضاً حدثنا محمد بن عيسى الدامغانى أخبرنا ابن المبارك . أخبرنا الربيع  
 ابن أنس عن أبي العالية قال : صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة صلاة  
 الغداة ، فقلت لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانبى :  
 ما الصلاة الوسطى ؟ قال : هذه الصلاة (٣) . وروى من طريق آخر عن الربيع عن  
 أبي العالية أنه صلى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ،  
 فلما فرغوا قال : قلت لهم : أيتهن الصلاة الوسطى ؟  
 قالوا : التى قد صليتها قبل . (٤) وقال أيضاً حدثنا ابن بشار . حدثنا  
 ابن عثمة عن سعيد بن بشير عن قتادة عن جابر بن عبد الله قال : الصلاة  
 الوسطى صلاة الصبح . (٥) وحكاى ابن أبي حاتم عن ابن عمر وأبي أمامة وأنس  
 وأبي العالية وعبيد بن عمير وعطاء ومجاهد وجابر بن زيد وعكرمة والربيع بن أنس ،  
 ورواه ابن جرير عن عبد الله بن شداد بن الهاد أيضاً ، وهو الذى نصَّ عليه  
 الشافعى رحمه الله محتجاً بقوله " وقوموا لله قانتين " والقنوت عنده فى صلاة الصبح .

---

(١، ٢، ٣) تفسير الطبرى ٥/ ٢١٦ ، ٢١٧ ، أشار إليها الحافظ فى الفتح ٨/ ١٤٦ رجالها ثقات .  
 (٤، ٥) الأول أخرجه ابن جرير ٥/ ٢١٨ ، وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف ١/ ١٨٣ ،  
 والثانى أخرجه ابن جرير ٥/ ٢١٩ .

وقيل انها صلاة الظهر . قال أبو داود الطيالسي في مسنده .

حدثنا ابن أبي ذئب عن الزبرقان يعني ابن عمرو عن زهرة يعني ابن معبد  
قال : كنا جلوساً عند زيد بن ثابت فأرسلوا إلى أسامة فسألوه عن الصلاة  
الوسطى فقال هي الظهر ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّيها  
بالحجيرة (١) !

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر . حدثنا شعبة . حدثني عمرو  
بن أبي حكيم . سمعت الزبرقان يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت  
قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي الظهر بالحاجرة ولم يكن  
يصلّي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت " حافظوا  
على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين " . (٢) وقال أبو داود الطيالسي  
وغيره عن شعبة . أخبرني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب قال سمعت  
عبد الرحمن ابن أبان بن عثمان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت قال : الصلاة  
الوسطى هي الظهر (٣) . ورواه ابن جرير عن زكريا بن يحيى بن أبي زائدة عن  
عبد الصمد عن شعبة عن عمر بن سليمان عن زيد بن ثابت في حديث رفعه قال :  
( الصلاة الوسطى صلاة الظهر ) (٤) ومن روى عنه أنها الظهر ابن عمر وأبو سعيد

- 
- (١) رواية أحمد ٢٠٦/٥ ، وأبو داود كتاب الصلاة ١١٢/١ ، وابن جرير ٢٠٧/٥  
ونذكره البخاري في التاريخ الكبير ٢ ، ٣٩٦/١ - ٣٩٧ عن أبي داود الطيالسي  
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله موثقون إلا أن الزبرقان لم يسمع من  
أسامة ابن زيد ولا من زيد بن ثابت ٣٠٨/١ ، ٣٠٩  
(٢) رواه أحمد ١٨٣/٥ ، وأبو داود ١١٢/١ ، ورواه البخاري في الكبير ترجمه  
الزبرقان .  
(٣) ورواه مالك في الموطأ عن داود بن الحصيني عن ابن يربوع المخزومي ١٥٨/١  
وابن جرير ٢٠٠/٥ وأخرجه أحمد في المسند ١٨٣/٥ والطحاوي في معاني  
الآثار ١٦٧/١ ، ١٦٨ قال الطحاوي هذا الخبر لزيد لم يروه عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم .  
(٤) تفسير الطبري ٢٠٠/٥ ، مسند أحمد ١٨٣/٥ .

وعائشة على اختلاف عنهم . وهو قول عروة بن الزبير وعبد الله بن شداد بن الهاد ورواية عن أبي حنيفة رحمهم الله .

وقيل: إنها صلاة العصر . قال الترمذى والبغوى رحمهما الله . وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم، وقال القاضى الماوردى هو قول جمهور التابعين . وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر . وقال أبو محمد بن عطية فى تفسيره: وهو قول جمهور الناس وقال الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدميّاطى فى كتابه المسمى بكشف الغطاء فى تبين الصلاة الوسطى: وقد نص فيه أنها العصر وحكاها عن عمر وعلى وابن مسعود وأبي أيوب وعبد الله بن عمرو وسمرة ابن جندب وأبي هريرة وأبي سعيد وحفصه وأم حبيبة وأم سلمة وعن ابن عمر وابن عباس وعائشة على الصحيح عنهم وبه قال عبيدة وإبراهيم النخعى ورزين، ووزر بن حبيش وسعيد بن جبير . وابن سيرين والحسن وقتادة والضحاك والكلبى ومقاتل وعبيد بن مريم وغيرهم، وهو مذاهب أحمد بن حنبل . قال القاضى الماوردى والشافعى قال ابن المنذر: وهو الصحيح عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد واختاره ابن حبيب المالكى رحمهم الله .

وقيل: إنها صلاة المغرب رواه ابن ابى حاتم عن ابى عباس وفى اسناده نظركفانه رواه عن أبيه عن أبي المجاهر عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبى الخليل عن عمه عن ابن عباس قال: صلاة الوسطى المغرب، وحكى هذا القول ابن جرير عن قبيصة بن ذؤيب، وحكى أيضاً عن قتادة على اختلاف عنه ووجه هذا القول بعضهم بأنها وسطى فى العدد بين الرباعية والثنائية وبأنّها وتر المفروضات وبما جاء فيها من الفضيلة .

وقيل: إنها العشاء الأخيرة اختاره على بن أحمد الواحدى فى تفسيره

المشهور .

وقيل؛ هي واحدة من الخمس لا بعينها وأبهمت فيهن كما أبهمت ليلة  
القدر في الحول أو الشهر أو العشر . ويحكى هذا القول عن سعيد بن  
المسيب وشريح القاضي، ونافع مولى ابن عمر، والربيع بن خيثم، ونقل أيضاً عن  
زيد ابن ثابت واختاره امام الحرمين الجويني (١)

هكذا ثبت الخلاف في الصلاة الوسطى لا اختلاف الأدلة والقول الذى  
أراه راجحاً هو قول البيضاوى ومذهب الامام أحمد من أنَّ الصلاة الوسطى  
هى صلاة العصر وذلك لصحة الأحاديث الواردة فى أن الصلاة الوسطى هى  
صلاة العصر . والأحاديث التى وردت مع صحتها كانت نصاً فى ذلك . منها ما  
أورده البيضاوى وهو الذى ذكرناه " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر  
ملاً الله قلوبهم وبيوتهم ناراً " . وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم :  
" صلاة الوسطى صلاة العصر " (٢)

وقد رواه الترمذى وقال حسنٌ صحيحٌ وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة  
فى الصحيحين وغيرها مما يطول ذكرها . هذا بالإضافة الى قول جمهور  
الصحابة والتابعين المذكورين آنفاً .

ومن مصادر البيضاوى من السنة النبوية أنه يورد الحديث لتسهيل فهم  
الآية وتوضيح معناها . مثال ذلك ما جاء فى قوله تعالى فى شأن مريم :  
" وَإِنِّى أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " (٣)  
قال البيضاوى : " أجبرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود،  
وأصل الرجم الرمى بالحجارة . وعن النبى صلى الله عليه وسلم : ما من

(١) تفسير ابن كثير بتصرف ١/ ٢٩٠ - ٢٩٤

(٢) سنن الترمذى أبواب الصلاة ١/ ٢٩٣ ، ٢٩٤

(٣) سورة آل عمران آية ٣٦ .



مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيسنزل من مسه  
الامرئ وابتها<sup>(١)</sup> مصناه أن الشيطان يطعم من اغواء كل مولود بحيث  
يتأثر منه إلا من تم وإبتها فإن الله تعالى عصمها ببركه هذه  
الاستفادة<sup>(٢)</sup>

وكذلك في تفسير قوله تعالى : " وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا أَنَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " . (٣)

قال: المعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام  
ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة . (٤) (٥)

ومنها أنه يورد الحديث ليعضد به حجته ويؤكد ما ذهب إليه من قوله

ويرد به على من خالفه مثال ذلك في تفسير قوله تعالى :  
" وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ " . (٦)  
قال البيضاوي :

(١) أخرجه البخاري من طريق أبي هريرة كتاب التفسير صحيح البخاري بشرح

فتح الباري ٢٧٩/٩

(٢) تفسير البيضاوي ص ٧٢

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٠

(٤) أخرجه مسلم في حديث طويل جاء فيه ولا صاحب كنز لا يفصل فيه حقه الا

جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب

الزكاة باب اثم مانع الزكاة ٧٠/٧

وأخرجه البخاري في كتاب التفسير قال : " قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له

زبيبتان يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ، يقول أنا مالك أنا

كنترك ثم تلا هذه الآية .

(٥) تفسير البيضاوي ص ٩٨ .

(٦) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

وقرؤ جمع قرء ، وهو يطلق للحيض كقوله عليه الصلاة والسلام :  
” دعه الصلاة أيام أقرائك “<sup>(١)</sup> وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الأعشى :

مؤرثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قرؤ نساءكا

وأصله الانتقال من الطهر إلى الحيض وهو المراد به في الآية لأنه الدال  
على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية ، لقوله تعالى ” فَطَلِقُوهُنَّ  
لِعَدَّتِهِنَّ “<sup>(٢)</sup> أى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض وأما  
قوله عليه السلام : ” طلاق الآمة تطليقتان وعدتها حيضتان “<sup>(٣)</sup> فلا يقاوم

ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر - ” مره “ فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر  
ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الطهارة برويات مختلفة واعترض فيها على رواية  
قتادة عن عروة بن الزبير وقال لم يسمع قتادة عن عروة شيئا . ورواه  
الترمذى برواية فاطمة بنت ابى حبيش وقال فيه حديث حسن صحيح .  
سنن الترمذى أبواب الطهارة . ورواه ابى ماجه برواية فاطمة أيضا فى  
كتاب الطهارة . وكذلك النسائى والدارمى عن عائشة فى باب الطهارة .

(٢) سورة الطلاق آية ١

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب الطلاق وقال هو حديث مجهول ، سنن ابى  
داود بشرح عون المعبود الحديث ٢١٧٥ . وأخرجه الترمذى فى باب  
الطلاق وقال حديث عائشة حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من حديث  
مظاهر بن أسلم ومظاهر لا نعرف له فى العلم غير هذا الحديث والعمل  
على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم  
وهو قول سفيان الثورى والشافعى وأحمد وإسحاق

العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء . ( ١ ) وقال القرطبي : ( ٢ )

( واختلف العلماء في الاقراء : فقال أهل الكوفة هي الحيض ، وهو قول عمر وعلى وابن مسعود وأبي موسى ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي . وقال أهل الحجاز هي الاطهار ، وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهرى وأبان بن عثمان والشافعى . ( ٣ )

والقول الذى أراه راجحاً أنَّ القرء هو الانتقال من الطهر الى الحيض كما قال البيضاوى ومن وافقه . ويمكن أن يذكر فى ذلك سرّاً يبعد فهمه من دقائق حكم الشريعة ، وهو أنَّ الانتقال من الطهر إلى الحيض إنما جعل قرءاً لدلالته على براءة الرحم ، فإنَّ الحامل لا تحيض فى الغالب ، فبحيضها علم براءة رحمها . والانتقال من حيض الى طهر بخلافه ، فإن الحائض يجوز أن تحبل فى أعقاب حيضها ، وإذا تمادى أمد الحامل وقوى الولد انقطع دمها ، ولذلك تمدح العرب بحمل نساءها فى حالة الطهر . وهذا نظر دقيق فى غاية الاتجاه لمذهب الشافعى ( ٤ )

وقد يأتى البيضاوى بالحديث لبيان ما لا يعلم إلا من النقل وليس للعقل ولا للرأى فيه مجال وذلك على ضربين أحدهما الاخبار عن قصة فى

---

( ١ ) أخرجه البخارى كتاب الطلاق باب مراجعة الحائض ، وباب اذا طلقت الحائض تعتد بذلك الطلاق - صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٤٥ / ٩ - ٣٥١ وأخرجه مسلم كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها واللفظ لمسلم صحيح مسلم بشرح النووى ٦٠ / ١٠

( ٢ ) تفسير البيضاوى ص ٦٠

( ٣ ) تفسير القرطبي ٩٢١ / ١

( ٤ ) المرجع السابق .

العصور السابقة حدثت في زمان نبي من الأنبياء فيأتي الأثر مبيناً لها  
وما وقع فيها من أحداث . والثاني الاخبار عن مشهد من مشاهد القيامة  
وما سيحدث في اليوم الآخر من العرض والحساب ، ومثال الأول ما جاء في  
قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في قوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ مُوسَى  
لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ( ٦٠ ) فَلَمَّا بَلَغَا  
مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً ( ٦١ ) فَلَمَّا جَاوَزَا  
قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً ( ٦٢ ) قَالَ أَرَأَيْتَ  
إِذْ أَوتَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ  
وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ( ٦٣ ) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا  
قَصَصاً ( ٦٤ ) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا  
عِلْماً ( ٦٥ ) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ( ٦٦ )  
قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . . . الآيات (١) .

قال البيضاوي : ( روى أن موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط  
ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له : هل تعلم أحداً أعلم منك ؟  
قال : لا ، فأوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر  
في أيام افريزون وكان على مقدمه ذى القرنين وبقي الى أيام موسى . وقيل إن  
موسى عليه السلام سأل ربه : أى عبادك أحب اليك ؟ قال : الذى يذكرنى  
ولا ينسانى . قال : فأى عبادك أقضى اليك ؟ قال الذى يقضى بالحق  
ولا يتبع الهوى . قال : فأى عبادك أعلم ؟ قال الذى يبتغى علم الناس  
إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى . فقال : ان  
من عبادك أعلم منى فأدللنى عليه قال أعلم منك الخضر . قال : أين أطلبه ؟

قال : على الساحل عند الصخرة . قال : كيف لي به ؟ قال : أن تأخذ حوتا في مكنل فحيث فقدته فهو هناك . فقال لفتاه : إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان . فلما بلغا مجمع بين البحرين نسي موسى أن يطلب الحوت ونسي يوشع ( وهو فتاه ) أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر . إذ روى أن موسى رقد فاضطرب الحوت المشوى، ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر، فلما جاوزا مجمع البحرين وسارا الليلة والغد إلى الظهر، ألقى عليه الجوع والنصب. قال : رأييت ما دهانا إذ أوينا إلى الصخرة، يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت، فقد أنسيت ذكر الحوت بما رأييت منه وما أنساني ذكره إلا الشيطان . قال ذلك ما كنا نطلب لأنه أمانة المطلوب، فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه مقتضين حتى أتيا الصخرة فوجدا العبد الصالح، والجمهور على أنه الخضر واسمه بلياً بن ملكان وقيل: اليسع، وقيل: الياس، فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه . ( ١ ) ( ٢ )

ومثال الثاني ما جاء في قوله تعالى : " يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " ( ٣ )

قال البيضاوي : ( جماعات من القبور إلى المحشر . روى أنه عليه السلام سُئِلَ عنه فقال : " تُحْشَرُ عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة قردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم ،

---

( ١ ) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب ما ذكر في ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر إلى الخضر ١٦٧/١ وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضائل زكريا والخضر ١٣٥/١ . وأخرجه أحمد في مسند الانصار حديث عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب .

( ٢ ) تفسير البيضاوي بتصرف ص ٢٩٦

( ٣ ) سورة عم الآية ١٨ .

وبعضهم عفى ، وبعضهم صم بكم ، وبعضهم يعضفون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذروهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطوعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار ، وبعضهم أشد ننتاً من الجيف ، وبعضهم ملبسون جلباباً سابقة من قطران لازقة بجلودهم ، ثم فسرهم بالقتات ، وأهل السحت وآكلة الربا ، والجائرين فى الحكم والمعجيين بأعمالهم ، والعلماء الذين خالف قولهم فعلهم ، والمؤذين جيرانهم ، والساعين بالناس إلى السلطان ، والتابعين للشهوات والمانعين حق الله والمتكبرين الخلاء . ( ١ ) ( ٢ )

ومنها أنه يذكر الحديث لتبيين سبب نزول الآية ، ومثال ذلك فى سبب نزول قوله تعالى : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ " ( ٣ ) قال البيضاوى : ( وفى سبب النزول أن رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى قد أصبت من امرأة غير أنى لم آتتها فنزلت . " ( ٤ ) ( ٥ )

وحديث البخارى عن مسعود رضى الله عنه : " أن رجلاً أصاب من امرأة قبله ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فأنزلت عليه

- 
- ( ١ ) ذكره السيوطى فى الدر المنثور وقال : أخرجه ابن مردويه عن البراء بن عازب عن معاذ بن جبل .
- ( ٢ ) تفسير البيضاوى ص ٧٨٠
- ( ٣ ) سورة هود آية ١١٤
- ( ٤ ) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ٣٥٥/٨ ومسلم فى كتاب التوبة ٨١/١٧ وأخرجه أحمد فى مسند عبد الله بن مسعود ٣٦٠/١
- ( ٥ ) تفسير البيضاوى ص ٢٥٩ .

” وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ  
ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ . ” قال الرجل: إلى هذه ؟ قال: لمن عمل بها من أمتي (١) .

ومن روايات مسلم : ” عن أنس قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصبت حدًّا فأقمه عليّ قال: وحضرت الصلاة فصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى الصلاة قال: يا رسول الله : إنني أصبت حدًّا فأقم فيّ كتاب الله . قال: هل حضرت الصلاة معنا ؟ قال نعم ، قال قد غُفِرَ لك . ” (٢)

والشاهد في سبب النزول أنَّ الرجل عندما ارتكب هذا الإثم فعل مع الحسنة وهي الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم . فَبُشِّرَ بعد الصلاة بالمغفرة فدلَّ ذلك على أنَّ الصلاة بل وكل حسنة تكفر السيئة ذلك ذكرى للذاكرين .

ومن استدلال البيضاوي بالحديث في تفسيره ، أنه يذكر الحديث للدلالة على فضل السورة ، وهو في ذلك لا يتخرج في ذكر الحديث الضعيف والموضوع وذلك من المآخذ التي أخذت على البيضاوي وسندكرها في موضعها  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَابِ الْبِيضَاوِيِّ وَتَفْسِيرِهِ فِي الْمِيزَانِ .

.....

(١) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب التفسير ٣٥٥/٨

(٢) صحيح مسلم بفتح النووي كتاب التوبة ٨١/١٢ والحديث المذكور يُشِيرُ  
مُ ظَاهِرُهُ إِلَى أَنَّ الصَّلَاةَ تَقْطَعُ الْخُذُودَ وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ الصَّحَابِيَّ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظَنَّنَا أَنَّ الَّذِي ارْتَكَبَهُ يَجِبُ الْخُذُودُ فِي حِينَ آتَانِ الَّذِي  
ارْتَكَبَهُ مَغْفِرَةً تَكْفِرُهَا الصَّلَاةُ كَمَا بَيَّنَّ لَهُ ابْنُ مَرْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

## مصادره من أقوال الصحابة والتابعين

جعل البيضاوى من أقوال الصحابة والتابعين مصدراً من مصادر تفسيره

فعدنا يفسر الآية ويبين رأيه فيها ، يدعم ما قاله بقول بعض الصحابة أو التابعين توضيحاً للمعنى أو تعصيماً لما قال ، ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر فى تفسير قوله تعالى : " يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ " (١).

قال البيضاوى : ( ) والتبديل يكون فى الذات ، كقولك : بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله : " بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا " (٢) وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتماً ، إذا أذبتها وغيّرت شكلها وعليه قوله : " يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ " (٣). والآية تحتلها ، فعن على رضى الله تعالى عنه : " تبدل أرضاً من فضة وسماوات من ذهب " (٤) وعن ابن مسعود وأنس رضى الله تعالى عنهما : " يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة " (٥) (٦).

وفى تفسير قوله تعالى : " فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) " (٧).

(١) سورة إبراهيم آية ٤٨

(٢) سورة النساء آية ٥٦

(٣) سورة الفرقان آية ٧٠

(٤) أخرجه ابن جرير ٢٥١ / ١٢

(٥) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : أخرجه الطبرانى فى الأوسط والكبير وفيه جرير بن أيوب اليملى وهو متروك ، ورواه فى الكبير موقوفاً على عبد الله

واسناده جيد مجمع الزوائد ٤٥ / ٧

(٦) تفسير البيضاوى ص ٣٤٣

(٧) سورة الروم آية ١٧ ، ١٨ .



قال البيضاوى : ( عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، أن الآية

جامعة للصلوات الخمس ، تمسون صلاة المغرب والعشاء ، وتصبحون صلاة  
الفجر ، وعشيّاً صلاة العصر ، وتظهرون صلاة الظهر . ( ١ ) ( ٢ )

ومن مصادر البيضاوى من أقوال الصحابة والتابعين ما ذكره فى آية  
الوصية عند قوله تعالى : " كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا  
الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ " ( ٣ ) .

قال البيضاوى : ( إن ترك خيراً أى مالا . وقيل مالا كثيراً لما روى

عن على رضى الله تعالى عنه أن مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة درهم  
فمنعه وقال : قال الله تعالى ان ترك خيراً والخير هو المال الكثير وعن  
عائشة رضى الله تعالى عنها أن رجلاً أراد أن يوصى فسألته كم مالك ؟

فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك ؟ قال أربعة . قالت إنما قال الله تعالى

ان ترك خيراً وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك - وإلى أن قال - وكان هذا

الحكم فى بدء الاسلام فنسخ بآية الموارث إن الله أعطى كل نذى حقه

ألا لا وصية لوارث وفيه نظر لأن آية الموارث لا تعارضه بل تؤكد من حيث

أنها تدل على تقديم الوصية مطلقاً ، والحديث من الآحاد ، وتلقى الآمه له بالقبول

لا يلحقه بالمتواتر ، ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله من توريث

الوالدين والأقربين بقوله يوصيكم الله . أو بإيضاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى

( ٤ )

به الله عليهم .

( ١ ) أخرجه ابن جرير ٢٩ / ٢١ والحاكم فى كتاب التفسير وقال : حديث

صحيح ولم يخرجاه . المستدرک ٢ / ٤١٠ ، ٤١١

( ٢ ) تفسير البيضاوى ٥٨٣

( ٣ ) سورة البقرة آية ١٨٠

( ٤ ) تفسير البيضاوى ص ٥٢

فسر البيضاوى الخير بالمال من غير أن يعزوما قال . وهو قول

ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك وعطاء، ذكرهم ابن جرير فى تفسيره فقال : " حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد بن صالح عن معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " يعنى مالا " (١) .

وقال عن مجاهد : " حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله الله : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " ، مالا " (٢) وقال أيضاً : " حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل عن أبى نجيح عن مجاهد : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " كان يقول الخير فى القرآن كله المال " لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ " (٣) الخير المال ، " أَحَبُّتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى " (٤) . المال ، و " فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا " (٥) المال ، و " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ " المال (٦) .

وقال عن قتادة : " حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد عن قتادة : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ . أى مالا " (٧) .

وقال عن السدى : " حدثنى موسى بن هارون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط عن السدى : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ " أما الخير

(١) تفسير الطبرى ٣/ ٣٩٣

(٢) المرجع السابق

(٣) سورة العاديات آية ٨

(٤) سورة ص آية ٣٢

(٥) سورة النور آية ٣٣

(٦) تفسير الطبرى ٣/ ٣٩٣

(٧) المرجع السابق .

(١)  
فالمال .

وقال عن الضحاك : " حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك عن الحسن بن يحيى ، عن الضحاك في قوله : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الوصية " قال المال . ألا ترى أنه يقول : قال شعيب لقومه " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " (٢) يعني الغنى . (٣)

وقال عن عطاء : " حدثني يونس ، قال أخبرنا بن وهب قال ، أخبرنا محمد بن عمرو اليافعى ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن ابى رباح ، تلا " كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " . قال عطاء : الخير فيما يرى المال . (٤) وأما قدر المال وكميته فقد فسره البيضاوى بالمال الكثير ، وأورد أثراً عن على رضى الله تعالى عنه ومنعه مولاة من الوصية ، وقد كان لمولاة سبعمائة درهم . وأثراً آخر عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها منعت رجلاً من الوصية وله ثلاثة آلاف درهم .

والأثر الأول أخرجه عبد الرزاق في مصنفه فقال : " عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال : دخل عَلَى عَلَى مولى لهم فى الموت فقال : يا على ! ألا أوصى ؟ فقال على : لا ، إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " وليس لسه كثير مال . قال : وكان له سبعمائة درهم . (٥)

وأخرجه البيهقى فى السنن بمعناه فقال : " أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو زكريا العنبرى ، حدثنا محمد بن عبد السلام ، حدثنا اسحاق بن ابراهيم ،

(١) تفسير الطبرى ٣/٣٩٤

(٢) سورة هود آية ٨٤

(٣) تفسير الطبرى ٣/٣٩٤

(٤) المرجع السابق

(٥) مصنف عبد الرزاق كتاب الوصايا باب الرجل يوصى وله مال قليل ٩/٦٢

حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن هشام بن عروة عن أبيه أَنَّ عليًّا رضى الله عنه ،  
دخل على رجل من بنى هاشم وهو مريض يعوده فأراد أَنْ يوصى فنهاه  
وقال : إِنَّ الله تبارك وتعالى يقول " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " مالا فددع مالك لورثتك .  
(١)  
ورواه أيضا ابن جرير عن عبد الرزاق من طريق الحسن بن يحيى .  
(٢)

وأما الأثر الذى ورد عن عائشة رضى الله عنها فقد أخرجه البيهقى فى السنن  
فقال : " أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو منصور ، حدثنا أحمد ، حدثنا  
سعيد ، حدثنا أبو معاوية عن محمد بن شريك المكى عن ابن أبى ملكية عن  
عائشة قالت : قال لها رجل إننى أريد أَنْ أوصى ، قالت كم مالك ؟ قال  
ثلاثة آلاف . قالت كم عيالك ؟ قال أربعة . فقالت : قال الله سبحانه :  
" إِنْ تَرَكَ خَيْرًا " وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك فهو أفضل .  
(٣)

وأخرجه عبد الرزاق بمعناه فقال : " أخبرنا الثورى عن منصور بن  
صفية قال : حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير ، أن عائشة سألت عن رجل  
مات وله أربعمائة دينار وله عدة من الولد ، فقالت عائشة ما فى هذا فضل عن  
ولده .  
(٤)

وأخرجه ابن جرير بمعناه أيضا فقال : " حدثنا محمد بن بشار قال ،  
حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن عبد الله  
بن عيينة - أوعتبه الشك منى - أَنَّ رجلاً أراد أن يوصى وله ولد كثير ، وترك  
أربعمائة دينار ، فقالت عائشة : ما أرى فيه فضلا .  
(٥)

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى كتاب الوصايا ٢٧٠ / ٦

(٢) تفسير الطبرى ٣٩٥ / ٣

(٣) السنن الكبرى للبيهقى كتاب الوصايا ٢٧٠ / ٦

(٤) مصنف عبد الرزاق كتاب الوصايا ٦٣ / ٩

(٥) تفسير الطبرى ٣٩٥ / ٣

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِنَسْخِ الْآيَةِ بِانْزَالِ الْفَرَائِضِ وَالْمَوَارِيثِ فَمَا خُوذَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَعُكْرَةَ وَابْنِ سِيرِينَ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ وَشَرِيحَ وَقْتَادَةَ وَمَجَاهِدَ وَالسَّادِيَّ وَغَيْرَهُمْ ، أَوْ رَدَّ ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ فَقَالَ : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : " حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ ، حَدَّثَنِي عُمَى قَالَ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ . " ، نَسَخَتِ الْفَرَائِضُ الَّتِي لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ الْوَصِيَّةَ . ( ١ )

وَقَالَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ : " حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ ، عَنْ جَهْضَمٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدْرٍ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ " قَالَ : نَسَخَتْهَا آيَةُ الْمِيرَاثِ . قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ : قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَسَأَلْتُ هُضَمًا عَنْهُ فَلَمْ يَحْفَظْهُ . ( ٢ )

وَقَالَ عَنْ عُكْرَةَ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ : " حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ ، عَنْ يَزِيدِ النَّحْوِيِّ عَنْ عُكْرَةَ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَا : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ " فَكَانَتِ الْوَصِيَّةُ كَذَلِكَ حَتَّى نَسَخَتْهَا آيَةُ الْمِيرَاثِ . ( ٣ )

وَقَالَ عَنْ قَتَادَةَ : " حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُقْدَامِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُعْتَمَرُ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ : زَعَمَ قَتَادَةُ عَنْ شَرِيحٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ " قَالَ كَانَ الرَّجُلُ يُوَصِّي بِمَا لَهُ كُلُّهُ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ . ( ٤ )

وأما حديث إنَّ الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث فهو  
حديث صحيح أخرجه البخاري وأصحاب السنن وأما اعتراض البيضاوي  
على نسخ الحديث للآية فسيأتي الكلام فيه في علوم القرآن في تفسيره إن شاء  
الله تعالى .

هكذا تنوعت أساليب البيضاوي في إيراد أقوال الصحابة والتابعين،  
فمرة يفصح عن ذكر أسمائهم ومرة يذكر أقوالهم من غير ذكر أسماء، ومرة  
يتبنى أقوالهم . والذي أوردناه نذكر يسير يبين الشاهد من جعل البيضاوي  
من أقوال الصحابة والتابعين مصدراً من مصادره في التفسير .

.....

### مصادره من كتب التفسير

~~~~~

تأثر البيضاوى ببعض المفسرين ونقل عنهم فى تفسيره ، فنقل عن الزمخشري ، والفخر الرازى ، والراغب الأصفهاني فى تفسيره للقرآن . ومن أهم كتب التفسير التى نقل عنها تفسير الزمخشري المسمى بالكشاف بل هو مختصر منه ولذلك يسميه بعض العلماء مختصر الكشاف . ومن أمثلة ذلك ما جاء فى تفسير سورة الفاتحة قال البيضاوى : (الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى من نعمة أو غيرها ، والمدح هو الثناء على الجميل مطلقاً تقول : حمدت زيداً على علمه وكرمه . ولا تقول حسنه بل مدحته ، وقيل هما أخوان والشكر مقابلة النعمة قولاً ، وعملاً ، واعتقاداً . قال :

أفاد تكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا .

فهو أعم منهما من وجه وأخص من الآخر . ولما كان الحمد من شعب الشكر أشيع للنعمة وأدل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما فى آداب الجوارح من الاحتمال ، جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام :

(١) " الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده " . والذم نقيض الحمد ، والكفران

نقيض الشكر ، ورفع بالابتداء ، وخبره لله وأصله نصب وقد قرئ . وانما

عدل عنه إلى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحده وهو من المصادر التى تنصب بأفعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها ، والتعريف فيه للجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد أن الحمد ما هو ، أو للاستغراق إن الحمد فى الحقيقة كله له إنه ما من خير إلا هو موليه بوسط أو بغير وسط

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه فى كتاب الجامع باب شكر الطعام .

كما قال : " وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ " وفيه اشعارُ بأنه تعالى حى
قادر مريد عالم إن الحمد لا يستحقه إلا من كان هذا شأنه .^(٢)

وقال الزمخشري فى معنى الحمد لله : (الحمد والمدح أخوان ، وهو الثناء
والنداء على الجميل من نعمة وغيرها ، تقول حمدت الرجل على انعامه ،
وحمدته على نسبه وشجاعته . وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب
واللسان والجوارح قال :

(٣)
أفاد تكم النعماء من ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده ، فهو احدى شعب الشكر، ومنه قوله عليه الصلاة
والسلام : " الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده " .^(٤) وانما جعل
رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليتها أشيع لها، وأدل على
مكانتها من الاعتقاد وآداب الجوارح ، لخفاء عمل القلب، وما فى عمل الجوارح
من الاحتمال ، بخلاف عمل اللسان ، وهو النطق الذى يفصح عن كل خفى، ويجلب
كل مشتبه . والحمد نقيضه الذم ، الشكر نقيضه الكفران . وارتفاع الحمـد
بالابتداء وخبره الظرف الذى هو لله، وأصله النصب الذى هو قراءة بعضهم،
باضمار فعله على أنه من المصادر التى تنصبها العرب بأفعال مضمرة فى معنى
الاخبار ، كقولهم شكراً وكفراً وعجباً، وما أشبه ذلك . ومنها سبحانك ، ومعان
الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدّها، ولذلك لا يستعملونها معها
ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة . والعدل بها عن النصب إلى الرفع

(١) سورة النحل آية ٥٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣

(٣) تقدم فى الصفحة السابقة .

(٤) تقدم فى الصفحة السابقة .

على الابتداء ، للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ، ومنه قوله تعالى :
 " قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ " (١) . رفع السلام للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام
 حَيَّاهُمْ بتحية أحسن من تحيتهم لأنَّ الرفع دل على معنى ثبات السلام لهم دون
 تجدد ه وحدوثه . والمعنى نحمد الله حمداً ، ولذلك قيل : " إِيَّاكَ نَعْبُدُ
 وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " (٢) لأنه بيان لحمدهم له كأنه قيل : كيف تحمدونه ؟ فقيل :
 إياك نعبد - فإن قلت ما معنى التعريف ؟ قلت هو نحو التعريف في أرسلها
 العراك (٣) وهو تعريف الجنس ومعناه الإشارة الى ما يعرفه كل أحد من أن
 الحمد ما هو والعراك ما هو من بين جنس الأفعال ، والاستغراق الذي يتوهمه
 كثير من الناس وهم فيهم (٤) .

هكذا نجد البيضاوى يلخص كلام الزمخشري فيخالفه حيناً ويوافقـه
 أحياناً ، فمثلاً نجد ه يخالفه في معنى الحمد فقال البيضاوى : هو الثناء على
 الجميل الاختيارى وقال الزمخشري هو الثناء على الجميل مطلقاً . والشىء المهم
 الذى خالفه فيه ، أن التعريف فى الحمد يفيد الاستغراق فخالف فيه مذهب
 الاعتزال القائل بأن العبد يخلق أفعاله الاختيارية . قال الشريف الجرجانى
 فى حاشيته على الكشف : (اختيار الجنس على الاستغراق مبنى على طريقة
 الاعتزال ، فإن أفعال العباد لما كانت مخلوقة لهم كانت المحامد راجعة
 إليهم فلا يصح جعل المحامد كلها مختصة به تعالى . وفساده ظاهر ، لأن

(١) سورة هود الآية ٦٩

(٢) سورة الفاتحة آية ٥

(٣) هذا طرف من بيت للبيد يقول فيه : فأرسلها العراك ولم يدرها - ولم
 يشفق على نقص الدخال أى معتركة يعنى الابل يقال أورد إبله العراك
 اذا أورها الماء جميعاً رفقة .

(٤) الكشف ٤٦/١ الى ٥٠

اختصاص الجنس به تعالى مستلزم اختصاص أفراده أيضا ان لو وجد فرد منه لغيره لثبت الجنس له في ضمنه (١).

هكذا تحاشا البيضاوى أن يتبع الزمخشري في عقيدته الاعتزالية ولكن نجده في بعض المواضع يتبع الزمخشري في أخطاء ومعتقدات لا يجوز اعتقادها وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله في ذكر المآخذ التي أخذت على البيضاوى .

وأما من ناحية اللغة فقد ترسم خطى الزمخشري في كثير من المعانى ففي تفسير قوله تعالى : "يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٢) قال البيضاوى : (استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في تارتى خفوق البرق وخفيته ؟ فأجيب بذلك وأضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلهم ، نور لهم مشى أخذه . أو لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره . وكذلك أظلم فانه جاء متعديا منقولاً من ظلم الليل ويشهد له قراء أظلم على البناء للمفعول . وقول ابن تمام .

هما أظلما حالى شمة أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب
فإنه وإن كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنزله ما يرويه . وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام إذا لأنهم حراس على المشى ، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركبت وقام الماء اذا جمد (٣) .

(١) حاشية الشرف الجرجاني على الكشاف ٥١/١ ، ٥٢

(٢) سورة البقرة آية ٢٠

(٣) تفسير البيضاوى ص ١٥

وقال الزمخشري في الآية : (استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته ، وهذا التمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب العصب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون ، إذا صادفوا من البرق خفقه مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة ، فخطوا خطوات يسيرة ، فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ، ولو شاء الله لزداد في قصيف الرعد فاصمهم . أوفى ضوء البرق ، أعماهم . وأضاء إما متعد بمعنى كلما نور لهم مشى ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف ، وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوءه ، ويعضده قراءة ابن أبي عبلة " كلما ضاء لهم . " .

والمشى جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعى ، فإذا ازداد فهو عدو ، فإن قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام إذا ؟ قلت لأنهم حراس على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشى وتأتية ، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ، وليس كذلك التوقف والتحبس . وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر ، وأن يكون متعداً منقولاً من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قتيب " أظلم " على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن أوس :

هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلا ميهما عن وجه أمر أشيب
وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه - ومعنى قاموا : وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركبت ، وقام الماء إذا جمد (١) .

انظر كيف لخص البيضاوي كلام الزمخشري وأتى بقوله في إعراب أضاء وأظلم ،

ثم قراءة أظلم على البناء للمفعول والاستشهاد بشعر أبي تمام ثم الحكم على شعره إنه لا يستدل به ولكن يعتمد على بناء على أنه عالم لغة يوافق قوله روايته . ذكر البيضاوى ذلك كله من غير أن يذكر شيئاً من عنده .

ومن مصادره فى التفسير . تفسير الفخر الرازى المسمى بالتفسير

الكبير ، فقد كان يلخص منه أيضاً كما كان يلخص من الكشاف . ومن أمثلة ذلك فى تفسير قوله تعالى : " رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا . . . الآية " قال البيضاوى : (أوقع الفعل على المسمع (١)

وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه ، وفيه مبالغات ليس فى إيقاعه على نفس المسموع . وفى تنكير المنادى وإطلاقه ثم تقييده ، تعظيماً لشأنه ، والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن . والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بإلى والسلام لتضمنهما معنى الانتباه والاختصاص (٢) .

وقال الفخر الرازى : (فى الآية مسائل : المسألة الأولى ، فى

المنادى قولان أحدهما : أنه محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو قول الأكثرين والدليل عليه قوله تعالى : " أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ . (٣)

أَدْعُو اللَّهَ . (٤) . والثانى : أنه هو القرآن قالوا إنه تعالى حكى عن مؤمنى الإنس ذلك كما حكى عن مؤمنى الجن قوله : " انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشـد فآمنا به . " قالوا والدليل على أن تفسير الآية بهذا الوجه أولى ، لأنه ليس كل أحد لقي النبى صلى الله عليه وسلم ، أما القرآن فكل أحد سمعه وفهمه ، قالوا : وهذا وإن كان مجازاً إلا أنه مجاز متعارف ، لأن القرآن

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٣ .

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٠٠

(٣) سورة النحل الآية ١٢٥

(٤) سورة الأحزاب الآية ٤٦

(٥) سورة الإسراء الآية ١١٠

لما كان مشتملاً على الرشد ، وكان كل من تأمله وصل به إلى الهدى اذا وفقه الله تعالى لذلك ، فصار كأنه يدعو الى نفسه وينادى بما فيه من أنواع الدلائل ، كما قيل فى جهنم " تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى " ^(١) . إذ كان مصيرهم إليها ، والفصحاء والشعراء يصفون الدهر بأنه ينادى ويعطز ، مرادهم منها دلالة تضاريف الزمان قال الشاعر :

يا واضح الميت فى قبره خاطبك الدهر ولم تسمع

المسألة الثانية فى قوله : " ينادى للإيمان " ^(٢) وجوه : الأول : أن السلام بمعنى إلى كقوله : " ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهَوْا عَنْهُ " ^(٣) . ثُمَّ يَعُودُونَ ^(٤) لِمَا قَالُوا ، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى ^(٥) لَهَا الْحَمْدُ لِلَّهِ ^(٦) الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا . ويقال دعاه لكذا

والى كذا ، وندبه له وإليه ، وناداه له وإليه ، وهداه للطريق وإليه ، والسبب فى اقامة كل واحدة من هاتين اللفظين مقام الأخرى : أن معنى انتهائ الغاية ومعنى الاختصاص حاصلان جميعاً - الثانى ، قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير ، أى سمعنا منادياً للإيمان ينادى بأن آمنوا ، كما يقال جاءنا منادى الأمير ينادى بكذا وكذا . والثالث ، أن هذه اللام لام الأجل والمعنى : سمعنا منادياً كان نداؤه ليؤمن الناس ، أى كان المنادى ينادى لهذا الغرض ، ألا تراه قال : " ^(٧) أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ " .

(١) سورة المعارج آية ١٧

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٣

(٣) سورة المجادلة آية ٨

(٤) سورة المجادلة آية ٣

(٥) سورة الزلزلة آية ٥

(٦) سورة الاعراف آية ٤٣

(٧) سورة آل عمران آية ١٩٣ .

أى لتؤمن الناس ، وهو كقوله : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ " (١)
 المسألة الثالثة قوله : " سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي " نظيره قولك : سمعت
 رجلاً يقول كذا ، وسمعت زيدا يتكلم ، فيوقع الفضل على الرجل ويحذف
 المسموع ، لأنك وصفته بما يسمع وجعلته حالاً عنه فأغناك عن ذكره ، ولأن
 الوصف أو الحال لم يكن بدُّ منه ، وانه يقال سمعت كلام فلان أو قوله .
 المسألة الرابعة ههنا سؤال وهو أن يقال : ما الفائدة في الجمع بين المنادى
 وينادى ؟ وجوابه ذكر النداء مطلقاً ثم مقيداً بالايان تخفيفاً لشأن المنادى ،
 لأنه لا منادى أعظم من منادٍ ينادى للايمان ، ونظيره قولك : مررت بهاد
 يهدى للاسلام ، وذلك لأن المنادى إذا أطلق ذهب الوهم إلى منادى للحرب
 أو لاطفاء النائرة أو لإغاثة المكروب ، الكفاية لبعض النوازل ، وكذلك الهادى ،
 وقد يطلق على من يهدى للطريق ، ويهدى لسداد الرأى ، فإذا قلت ينادى
 للايمان ويهدى للاسلام فقد رفعت من شأن المنادى والهادى وفخمته (٢) .

وأما تأثره بالراغب الأصفهاني فيظهر في تفسير قوله تعالى :

" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً " (٣)

قال البيضاوى : (الخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة
 والمراد آدم عليه الصلاة والسلام ، لأنه كان خليفة الله في أرضه ، وكذلك كل نبي
 استخلفهم الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم
 لا حاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى

(١) سورة النساء آية ٦٤

(٢) التفسير الكبير ٩ / ١٤٤ - ١٤٥

(٣) سورة البقرة الآية ٣٠

أمره بغير واسطة ولذلك لم يستبى ملكاً كما قال تعالى : " وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا " (١) ألا ترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكان زيتها يضىء ولو لم تمسه نار ، أرسل إليهم الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام فى الميقات ، ومحمداً صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، ونظير ذلك فى الطبيعة أن العظم لما عجز عن نوال الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد ، جعل البارئ تعالى بحكمته بينهما الفُضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك (٢) .

وقال الراغب الأصفهاني : (والخليفة والخلف يتقاربان من قولك خلف فلان فلاناً إذا قام مقامه ، والخلف والسلف يتناقضان ، كخلف وقد ام فان قيل ما وجه استخلاف الله تعالى ، والخلافه انما تكون للنيابة عن الغير ، إما لغيبته أو موته أو عجزه وذلك لا يجوز على الله تعالى . بل قد يكون على غير ذلك وهو أن يستخلف المستخلف غيره امتحاناً أو تهدياً له ، أو يستخلفه لقصور المستخلف عليه عن قبول التأثير من المستخلف ، لا لعجزه ، وذلك ظاهر فى الأشياء المصيبة والطبيعية فإن السلطان جعل الوزير بينه وبين رعيته إن هم أقرب إلى قبولهم منه ، وكذا الواعظ جعل بين العامة والحكماء فإن العامة لا يقبلونه من الحكيم ، وليس ذلك لعجز الحكيم بل لعجز العامة عن القبول منه ، وعلى هذا العظم واللحم لما تباعد ما بينهما عجز العظم عن قبول الغذاء من اللحم فجعل الله تعالى بحكمته بينهما الغضاريف التى بينهما ولها مناسبة إليها ليأخذ ذلك من اللحم ويعطيه العظم - وكذلك جعل تعالى

(١) سورة الأنعام الآية ٩

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٢

الرسول بين الملك الذى هو من قبله تعالى، وبين العباد لفضل قسوة اعطائهم ليأخذوا منه الحكمة ويوصلوها إلى الناس وبهذا الوجه قال تعالى :
 " ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً " . والخليفة يقال للواحد والجمع،
 وههنا هو جمع فإن الخليفة لم يرد به آدم عليه السلام فقط بل أريد به هو
 وصالحوا أولاده فهم خلفاؤه وحزبه لقوله تعالى : " أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ " (١)،
 ونصاره لقوله : " وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ " (٢) . وعباده لقوله : " وَمَا خَلَقْتُ
 الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " (٣) . وعماره فى الأرض لقوله : " وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا " (٤)
 والمقصود واحدٌ بهذه العبارات وان اختلفت بحسب الاعتبار (٥) .

.....

(١) سورة المجادلة آية ٢٢

(٢) سورة الحديد آية ٢٥

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦

(٤) سورة هود آية ٦١

(٥) مخطوط مصور من مكتبة آيا صوفيا بتركيا تحت رقم ٢١٢ رقم اللوحة ١١٩،

مصادره من كتب الفقهاء

~~~~~

كان البيضاوى فى نقله للأحكام الفقهية يعتمد على فقه الشافعية والحنفية ولا يذكر سواهما الا قليلا ولعل ذلك يرجع إلى أنهما المذهبان السائدان فى تلك المناطق من بلاد فارس وخراسان .

ومن أمثلة نقله من كتب الفقهاء ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " وَدَاوُدَ - وَسَلِيمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا (١) " قال البيضاوى : ( روى أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان - وهو ابن احدى عشرة سنة - غير هذا ، أرفق بهما . فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها ) والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود إلى ما كان ثم يترادان . ولعلمهما قالا اجتهدا . والأول نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة للعبد المصوب إذا أبى .

وحكمه فى شرعنا عند الشافعى ، وجوب ضمان المتلف بالليل ، إذ المعتاد ضبط الدواب ليلاً . وكذلك قضى النبی صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقصة البراء حائطاً وأفسدته فقال : " على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل " . ( ٢ )

وعند أبى حنيفة ، لا ضمان إلا أن يكون معها حافظ لقوله عليه

---

( ١ ) سورة الأنبياء آية ٧٨ ، ٧٩

( ٢ ) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الأحكام باب الحكم فيما أفسدت الماشية وأخرجه أحمد فى مسنده ٤٣٦/٥

(١) السلام " جرح العجماء جبار . اهـ " (٢)

فمصادره من فقه الحنفية فيما يتعلق بجناية العبد ما جاء في بدائع  
الصنائع لعلاء الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى قال : ( فأما إذا كان  
القاتل عبداً والمقتول حراً فالحرُّ المقتول لا يخلو من أن يكون أجنبياً أو  
يكونَ ولى العبد، فإن كان أجنبياً فالعبد القاتل لا يخلو من أن يكون قساً ،  
أو مدبراً ، أو أم ولد ، أو مكاتباً، فإن كان قساً يُدفعُ إذا ظهرت جنايته إلا أن  
يختار المولى الفداء فلا بدَّ من بيان ما تظهر به هذه الجناية وبيان حكم هذه  
الجناية وبيان صفة الحكم ، وبيان ما يصير به المولى مختاراً للفداء . (٣)

وأما مصادره من فقه الشافعية فيما يتعلق بغرم الحيلولة للعبد  
المغضوب إذا أبق ما جاء في المذهب لإبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى  
قال : ( وإذا ذهب المغضوب من اليد وتعذر ردُّه ، بأن كان عبداً فأبق ،  
أو بهيمة فضلت ، كان للمغضوب منه المطالبة بالقيمة لأنه حيل بينه ماله فوجب  
له البدل كما لو تلف . وإذا قبض البدل ملكه ، لأنه بدل ماله فملكه كبديل  
التالف ، ولا يملك الغاصب المغضوب ، لأنه لا يصح تملكه بالبيع فلا يملك  
بالتضمن كالتالف - فإن رجع المغضوب وجب رده على المالك وهل يلزم الغاصب  
الأجرة من حين دفع القيمة إلى أن رده ؟ في وجهان أحدهما : لا تلزمه  
لأن منه ملك بدل العين فلا يستحق أجرته .

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الديات باب العجماء جبار وأخرجه مسلم فى  
كتاب الحدود باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار وأخرجه أبو داود  
فى كتاب الديات باب الدابة تنفخ برجلها وأخرجه الترمذى فى كتاب الأحكام  
باب ما جاء فى العجماء جرحها جبار .

(٢) تفسير البيضاوى ص ٤٣٤

(٣) بدائع الصنائع ٢٥٨/٧

والثاني : تلزمه لأنه تلف عليه منافع ماله بسبب كان في يد . الغاصب فلزمه ضمانها ، كما لو لم يدفع القيمة . وإذا رد المغصوب وجب على المغصوب منه رد البديل لأنه ملكه بالحيلولة وقد زالت الحيلولة فوجب الرد . ( ١ )

ومصادره من فقه الحنفية فيما يتعلق بضمان ما أتلفته الدواب ، ما جاء في بدائع الصنائع أيضاً قال في حديثه عن شروط وجوب الضمان على المتلف : ( ومنها أن يكون المتلف من أهل وجوب الضمان عليه حتى لو أتلفت مال إنسان بهيمة لا ضمان على مالكها لأن فعل العجماء جبار فكان هدرًا ولا اتلاف من مالكها فلا يجب الضمان عليه ) ( ٢ ) .

وأما مصادره من فقه الشافعية في ضمان ما أتلفته الدواب ما جاء في الوجيز لأبي حامد الفزالي قال : " وما أكلته البهائم من المزارع بالنهار فلا ضمان ، وبالليل يجب الضمان على رب البهيمة إلا أن يأكل من البستان وبابه مفتوح بالليل فإن التقصير من رب البستان . ولو سرح في جوار المزارع مع اتساع المراعى ضمن لأنه مغرط . وحفظ المزارع بالنهار على مالكها وحفظ البهيمة بالليل على مالكها ) ( ٣ ) .

وأما مصادره من فقه المالكية ما جاء في تفسير قوله تعالى : " وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا " . . . الآية " ( ٤ ) قال البيضاوي : ( تمسك به مالك والثوري على أن من حلف ألا يأكل لحماً حنث بأكل السمك . وأجيب عنه

---

( ١ ) المذهب كتاب الغصب ١ / ٣٦٨ ، ٣٦٩

( ٢ ) بدائع الصنائع كتاب الغصب شرائط وجوب ضمان المتلف ٧ / ١٦٨

( ٣ ) الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي كتاب موجبات الضمان ١ / ١٨٦ .

( ٤ ) سورة النحل آية ١٤

بأن مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق ألا ترى أن الله  
سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبة (١) .

وكلام المالكية في الحنث بأكل السمك ما جاء في المدونة من سؤال  
سحنون لابن القاسم قال : ( قلت أرأيت إن قال ، والله لا أكل لحماً ولا نية  
له فأكل حيتاناً ؟ قال : بلغنى عن مالك أنه قال : هو حانث لأن الله  
تبارك وتعالى قال في كتابه ، وهو الذى فى قول البحر " لتأكلوا منه لحماً طرياً " (٢)  
وأما مصادره من فقه الحنابلة ما جاء فى تفسير قوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ  
تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ  
اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣) "

قال البيضاوى : ( فمن اضطر غير باغٍ ولا استئثار على مضطر آخر ولا عادٍ  
سد الرمق أو الجوعة . وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق فعلى  
هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول أحمد رحمهما  
الله تعالى ) (٤) .

معنى كلام البيضاوى أن الذين يفسرون الباغى والعادى بالباغين على  
الوالى والعادين يقطع الطريق لا يجوز لهم الأكل من الميتة والدم ولحم الخنزير  
إذا اضطروا لأنهم فى سفر معصية . وهو قول الشافعى وأحمد رحمهما الله  
تعالى ، جاء فى المغنى من فقه الحنابلة ما نصه :

( ١ ) تفسير البيضاوى ص ٣٥٣

( ٢ ) المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس كتاب النذور الثانى ١٢٩/٢  
يشير بذلك الى قوله تعالى وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً  
طرياً " سورة النحل آية ١٤ .

( ٣ ) سورة البقرة آية ١٧٢ ، ١٧٣ .

( ٤ ) تفسير البيضاوى ص ٣٥

” ليس للمضطر في سفر المعصية الأكل من الميتة كقاطع الطريق  
والأبق لقول الله تعالى : ” فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ” .  
قال مجاهد : غير باغ على المسلمين ولا عاد عليهم . وقال سعيد بن  
جبير : إذا خرج يقطع الطريق فلا رخصة له ، فان تاب وأقلع عن  
معصيته حل له الأكل ( ١ ) .

.....

---

( ١ ) المغنى كتاب الصيد والذبائح فصل المضطر في سفر المعصية ٩ / ٤١٦ ،

## مصادره من كتب الأصول

~~~~~

أخذ البيضاوى من كتب أصول الفقه كثيراً من الاستدلال بالآيات على الأحكام الأصولية وبل وأكثر من ذلك تأثره بأقوال الذين ناقشوا الاستدلال بتلك الآيات وردوا على المعترضين وكان أهم كتاب اعتمد عليه البيضاوى فى ذلك هو كتاب المحصول للفخر الرازى. ففى قوله تعالى : " وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا " (١) قال : (الآية تدل على حرمة مخالفة الجماع لأنه سبحانه وتعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما ، والثانى باطل ان يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد ، وكذا الثالث لأن المشاقة محرمة ضم إليها غيرها ، أو لم يضم ، وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرماً ، كان اتباع سبيلهم واجباً لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم) (٢) .

وقال الرازى فى المحصول بعد ذكر الآية : (جمع الله تعالى بين مشاقة الرسول ، واتباع غير سبيل المؤمنين فى الوعيد . فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحاً ، لَمَا جمع بينه وبين المحذور كما لا يجوز أن يقال : إن زنييت وشربت الماء عاقبتك . فثبت أن متابعة غير سبيل المؤمنين محظورة . ومتابعة غير سبيل المؤمنين عبارة عن متابعة قول أو فتوى غير قولهم وفتواهم . وإذا كانت تلك محظورة وجب أن تكون متابعة قولهم وفتواهم واجبة ، ضرورة ، لأنه لا خروج من القسمين) (٣) .

(١) سورة النساء آية ١١٥

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٢٢

(٣) المحصول فى علم أصول الفقه ٤٦/٢ ، ٤٧

ومسألة ثبوت الاجماع بدليل من الكتاب ، اختلف فيها العلماء .

ومن خالف مذهب البيضاوى فى الاستدلال على الاجماع من الكتاب ، اصام
الحرمين الجوينى ، وأبو حامد الغزالى . قال الجوينى : (تسمك القائلون
بأي من كتاب الله ، ونحن نذكر أوقعها ، فما استدل به الشافعى قول الله
تعالى : " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً " . فاذا أجمع المؤمنون
على حكم فى قضية ، فمن خالفهم فقد شاقهم ، واتبع غير سبيلهم ، وتعرض
للعيد المذكور فى مساق الخطاب . وقد أكثر المعترضون . وظنى أن معظم
تلك الاعتراضات فاسدة تكلفها المصنفون ، حتى تنتظم لهم أجوبة عنها ولست
لأمثالها .

بل أوجه سؤالاً واحداً يسقط الاستدلال بالآية فأقول : إِنَّ الرب تعالى
أراد بذلك من أراد الكفر ، وتكذيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والحيد عن
سنن الحق . وترتيب المعنى : ومن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين
المقتدين به ، نولّه ما تولى . فإن سلم ظهور ذلك فذلك . وإلاّ فهو وجه فى
التأويل لائح . ومسلك فى الامكان واضح ، فلا يبقى للمتمسك بالآية إلاّ ظاهر
معرض للتأويل ، ولا يسوغ التمسك بالمحتملات ، فى مطالب القطع ، وليس على
المعترض إلاّ أن يظهر وجهها فى الامكان ، ولا يقوم للمحصل عن هذا جواب
إِنْ أَنْصَفَ (١) .

وقال أبو حامد الغزالى : (والذى نراه أن الآية ليست نصّاً فى الغرض ،
بل الظاهر أن المراد بها أَنَّ من يقاتل الرسول ويشاقه ويتبع غير سبيل المؤمنين
فى مشايعته ونصرته ، ودفع الأعداء عنه نولّه ما تولى . فكأنه لم يكتف بترك المشاقة

(١) البرهان فى أصول الفقه ١/ ٦٧٧ ، ٦٧٨

حتى تنضم إليه متابعة سبيل المؤمنين في نصرته والذب عنه والانقياد له
فيما يأمر وينهى ، وهذا هو الظاهر السابق إلى الفهم ، فان لم يكن ظاهراً
فهو محتمل ولو فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية بذلك لقبل ، ولم
يجعل ذلك رفعا للنص ، كما لو فسر المشاقة بالموافقة ، واتباع سبيل
المؤمنين بالعدول عن سبيلهم (١) .

فالذين يرفضون الاستدلال على الاجماع من الكتاب ، قد استدلووا
بأدلة غير الكتاب . فمنهم من استدل على الاجماع بحديث النبي صلى الله
عليه وسلم " لا تجتمع أمتي على ضلالة " كالغزالي وغيره ومنهم من استدل على
الاجتماع بالاجماع نفسه كالجويني . وعلى كل فالاجماع ثابت إما بالكتاب ،
أو بالحديث ، أو بالاجماع .

ومن مصادر البيضاوي في كتب الأصول ما جاء في تفسير قوله تعالى :
" إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ " (٣)

قال البيضاوي : (بيان ما أشكل عليك من معانيه . وهو دليل على جواز
تأخير البيان عن وقت الخطاب) (٤) .

(١) المستصفي في علم الأصول ص ٢٠١

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن ٣٦٧/٢

وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ٩٨/٤

وأخرجه أحمد في مسنده ١٤٥/٥ . قال البصيري في الزوائد هذا

اسناد ضعيف رواه عبد بن حميد وقال ابن حزم في الاحكام هذا وان

لم يصح لفظه ولا سنده فمعناه صحيح ٦٤٣/٤

(٣) سورة القيامة آية ١٧

(٤) تفسير البيضاوي ص ٧٧٢

فهو موافق لما قاله الفخر الرازي في المحصول فقد أوضح الرازي الخلاف في جواز تأخير البيان وبين أوجه الخطاب التي تحتاج إلى بيان ثم أورد مذهبه الذي تبعه فيه البيضاوي فقال : (اختلفوا في جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب . والخطاب المحتاج إلى بيان ضربان .

أحدهما : - ما له ظاهر قد استعمل في خلافه .

والثاني : - لا ظاهر له كالأسماء المتواطئة والمشاركة .

والأول أقسام : أحدها تأخير بيان التخصيص .

والثاني : - تأخير بيان النسخ .

وثالثها : - تأخير بيان الأسماء الشرعية .

ورابعها : تأخير بيان اسم النكرة إذا أراد به شيئاً .

مذهبننا : أنه يجوز تأخير البيان إلى وقت الحاجة في كل هذه الأقسام ،

وأما المعتزلة فأكثر من تقدم أبا الحسن - رحمه الله - اتفقوا على المنع من

تأخير البيان في كل هذه الأقسام إلا في النسخ فانهم جوزوا تأخير بيانه (١) إلى

أن قال : (وأعلم أن الكلام في هذه المسألة يقع في مقامين :

أحدهما : - أن يستدل في الجملة على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب .

وثانيهما : - أن يستدل على جواز ذلك في كل واحدة من الصور المذكورة .

أما المقام الأول فالدليل عليه قوله تعالى : " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ .

فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ "

(٢)

وتم في اللغة للتراخي وهو المطلوب . الخ)

.....

(١) المحصول في أصول الفقه ١ / من ٢٨٠ إلى ٢٨٣

(٢) المرجع السابق .

مسألة من كتب اللغة

~~~~~

تأثر البيضاوى بأهل اللغة ونقل عنهم ويبدو ذلك واضحاً في تفسيره فنقل عن الخليل وسيبويه وشعلب والزجاج والمبرد والأزهري وغيرهم . فكان يذكر من أخذ عنه في بعض الأحيان، وفي أحيان كثيرة لا يذكر اسم من أخذ عنه ويورد ه بصفة ليجيل .

ومن أمثلة ما أخذه من كتاب سيبويه ما جاء في تفسير قوله تعالى :

(١)

” قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ... الآية ” قال البيضاوى : ( الميم عوض عن

يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وفتح همزته وتا القسم وقيل أصله يا الله أمنا بخير، فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقان الفعل وهمزته - ومالك الملك ... نداء ثانٍ عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية (٢) أى أن الاسم الواقع بعد ميم اللهم لا يكون صفة لما قبله، فهو نداء ثان حذف منه حرف النداء تخفيفاً . فكان ترتيب الآية يا الله يا مالك الملك . وقد يقال لا همّ واللهم فالميم بدل من حرف النداء وربما جمع

(٣)

بين البدل والمبدل منه في ضرورة الشعر كقول الراجز - عفوت أو عذيت يا اللهم وقال سيبويه في كتابه : ( قال الخليل رحمه الله : اللهم نداء والميم هنا بدل من يافهى ها هنا - فيما زعم الخليل رحمه الله - آخر الكلمة بمنزلة يا فى أولها ، إلا أن الميم ها هنا فى الكلمة - كما أن نون المسلمين فى الكلمة - بنيت عليها . فالميم فى هذا الاسم حرفان أولهما مجذوم ، والهاء مرتفعة لأنه وقع عليها الأعراب . وإذا الحققت لم تصف الاسم ، من قبل أنه صار مع الميم عند هم

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦

(٢) تفسير البيضاوى ٨٣

(٣) الصحاح للجوهري مادة له ص ٢٢٤٨

بمنزلة صوت كقولك : يا هناه . وأما قوله عز وجل : " اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ . " فعلى يا . ( ٢ )

ومن أمثلة ما أخذه عن المبرد ما جاء في تفسير قوله تعالى :  
" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ " . قال البيضاوى : ( ٣ ) جملتان عند سيبويه ( ٤ ) إذ التقدير فيما يتلى عليكم  
السارق والسارقة أى حكمهما، وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر  
( ٥ )  
لتضمنها معنى الشرط إذ المعنى والذي سرق والتي سرقت )

وقال المبرد فى كتاب الكامل فى قوله تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا  
أيديهما " . " وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ " ( ٦ ) .  
قال : ( الرفع الوجه ، لأنَّ معناه الجزاء ، كقوله " الزانية " أى التى تزنى ،  
فإنَّما وجب القطع للسرقة والجلد للزنا ، فهذه مجازاة ، ومن ثمَّ جاز الذى  
يأتينى فله درهم ، فدخلت الفاء لأنَّه استحقَّ الدرهم بالأتیان ، فإنَّ لم ترد  
هذا المعنى قلت : الذى يأتينى له درهم ، ولا يجوز زيد فله درهم ، أو  
هذا زيد فحسن جميل : جاز على أنَّ زيداً خبرٌ وليس بالابتداء ، وللإشارة  
دخلت الفاء ، وفى القرآن : " الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا  
وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ " ( ٧ ) ودخلت الفاء لأنَّ الثواب دخل للانفاق ( ٨ ) .

( ١ ) سورة الزمراء آية ٤٦

( ٢ ) كتاب سيبويه ١٩٦/٢

( ٣ ) سورة المائدة آية ٣٨

( ٤ ) كتاب سيبويه ١٤٢/١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

( ٥ ) تفسير البيضاوى ص ١٥١

( ٦ ) سورة النور آية ٢

( ٧ ) سورة البقرة آية ٢٧٤

( ٨ ) الكامل فى اللغة والأدب والنحو والصرف ٦٤٢/٢ .

فسيبويه يقول السارق والسارقة هذه جملة كامله حذف صدرها الذى  
تقديره فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة وجملة فاقطعوا هذه مستأنفة ،  
وعند المبرد والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جملة واحدة من مبتدأ وخبر  
دخلت فاء السببية على الخبر لتضمنه معنى الشرط إذ المعنى الذى سرق  
والتي سرقت فجزأءهما الجلد .

وتأثر البيضاوى بأبى البقاء العكبرى من ناحية اللغة والاعراب فى التفسير  
ففى تفسير قوله تعالى : " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا  
اللَّهَ " (١) قال : ( قيل تقديره لا تعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله :

ألا أيها الزاجرى احضر الوغى وأنى أشهد اللذات هل أنت مخلص (٢)  
ويدل عليه قراءة " أن لا تعبدوا " فيكون بدلا من الميثاق ، أو معمولا له بحذف  
الجار ، وقيل أنه جواب قسم دل عليه المعنى ، كأنه قال : أحلفناهم لا تعبدون .  
وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به ، والباقون  
بالياء لأنهم غيب (٣) .

وهو كلام العكبرى غير أنه فيه تقدير وتأخير قال العكبرى : ( " لا تعبدون إِلَّا  
الله " يقرأ بالتاء على تقدير قلنا لهم لا تعبدون ، وبالياء لأن بنى اسرائيل  
اسم ظاهر فيكون الضمير حرف المضارعة بلفظ الغيبة لأن الأسماء الظاهرة كلها غيب .  
وفيه من الإعراب أربعة أوجه أحدها : - أنه جواب قسم دل عليه المعنى ، وهو  
قوله " أخذنا ميثاقهم " . لأن معناه أحلفناهم ، أو قلنا لهم بالله لا تعبدون .

(١) سورة البقرة آية ٨٣

(٢) البيت من شواهد سيبويه وهو لطرفه من معلقته : " ديوان طرفه "

(٣) تفسير البيضاوى ص ١٧

والثاني : - أنَّ "أَنَّ" مراده التقدير أخذنا ميثاق بني اسرائيل على أن لا تعبدوا إلا الله ، فحذف حرف الجر ثم حذف أن فارتفع الفعل ونظيره ألا أيها الزاجري احضر الوغى بالرفع والتقدير عن أن أحضر .

والثالث : أنه في موضع نصب على الحال ، تقديره : أخذنا ميثاقهم موحدين ، وهى حال مصاحبة ومقدرة ، لأنهم كانوا وقت أخذ العهد موحدين ، والترموا الدوام على التوحيد .

الرابع : أنَّ يكون لفظه لفظ الخبر ، ومعناه النهى ، والتقدير قلنا لهم لا تعبدوا ( ١ ) .

وفى تفسير قوله تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . ( ٢ ) الآية . قال البيضاوى : ( والناس أصله أناس ، لقولهم : إنسان ، وإنس ، وأناس فحذفت الهمزة حذفها فى لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما ) ( ٣ ) .

وقال العكبرى : ( أصل الناس عند سيويوه أناس ، فحذفت همزته ، وهى فاء الكلمة ، وجعلت الألف واللام كالعوض منها ، فلا يكاد يستعمل الناس إلا بالألف واللام ، ولا يكاد يستعمل أناس بالألف واللام ، فالألف فى الناس على هذا زائدة ( ٤ ) واشتقاقه من الأنس بضم الهمزة ) .

( ١ ) التبيان فى اعراب القرآن بتصرف ١ / ٨٣ ، ٨٤

( ٢ ) سورة البقرة آية ٨

( ٣ ) تفسير البيضاوى ص ١١

( ٤ ) التبيان فى اعراب القرآن ١ / ٢٤

ونقل البيضاوى عن الزجاج والفراء بل وتبنى مذهب البصريين ورد على أهل الكوفة ، يظهر ذلك فى تفسير قوله تعالى : " قُلْ هَلَمْ شَهِدَ أَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا " (١) قال البيضاوى : ( أحضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم ، وأصله عند البصريين هالم من لم إذا قصد ، حذف الألف لتقدير السكون فى اللام فانه الأصل ، وعند الكوفيين هل أم ، فحذفت الهمزة بالتاء حركتها على اللام . وهو يعيد لأن هل لا تدخل على الأمر ، ويكون متعديا كما فى الآية ولازما قوله هلم إلينا ) (٢) .

وقال الزجاج : ( هلم فى قوله : " هلم شهداءكم " وفى قوله : " هلم " ) (٣) وإلينا " وهى ها ضمت الى لم فجعلت كالشئ الواحد وفيه لغتان : احداهما : - وهو قول أهل الحجاز ، ولغة التنزيل أن يكون فى جميع الأحوال للواحد والواحدة ، والاثنين والاثنين ، والجماعة من الرجال والنساء على لفظ واحد ، لا تظهر فيه علامة تنثية ولا جمع كقولهم هلم إلينا فيكون بمنزلة رويد ، ووه ، ومه ، ونحو ذلك نحو الأسماء التى سميت بها الأفعال ، وتستعمل للواحد والجمع ، والتأنيث والتذكير على صورة واحدة .

وفى اللغة الثانية إذا كانت للمخاطب ، مبنية مع الحرف الذى بعد ها على الفتح ، كما أن هل تفعلن مبنى مع الحروف على الفتح .

( ١ ) سورة الانعام آية ١٥٠

( ٢ ) تفسير البيضاوى ص ١٩٥

( ٣ ) سورة الأحزاب آية ١٨

وقال الفراء : أن أصله هل أم . وأم من قصدت . والدليل على  
فساد هذا القول : أنَّ هل لا يخلو من أحد أمرين . إمَّا أن يكون بمعنى  
قد ، وهذا يدخل في الخبر . وإمَّا أن يكون بمعنى الاستفهام ، وليس  
لواحد من الحرفين تعلق بالأمر . وإن قلت هو خبر بمعنى الأمر ، فإنَّ ذلك  
لا يدخل عليه هل ، لأنَّ من قال رحم الله لا يقول : هل رحم الله . ( ١ )  
هكذا استفاد البيضاوي من أقوال اللغويين والنحاة فنقل منها واختصر  
بعضها وتبنى أقوال البعض ، فكانت كتب اللغة مصدرًا من مصادر البيضاوي التفسير .

.....

---

( ١ ) اعراب القرآن للزجاج بتصرف ١ / ١٥٥ ، ١٥٦ .

# الفصل الثاني

## منهجه في التفسير

- ١- موقف من آيات الصفات .
- ٢- موقف من آيات الأحكام .
- ٣- موقف من القراءات .
- ٤- موقف من الإسرائيليات .



## موقفه من آيات الصفات

~~~~~

آيات الصفات هي الآيات التي وردت فيها صفات الله تبارك وتعالى
الخبرية كالاستواء والنزول والمجىء ، وكذلك الآيات التي ورد فيها ذكر
الوجه واليد وغير ذلك .

وهي تعتبر من متشابه القرآن الذي قال الله
تبارك وتعالى فيه : " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ
أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ . وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِيهِ
الْعِلْمَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ " (١) .

وأما موقف البيضاوى من مثل هذه الآيات ، فقد انتهج أسلوب
التأويل ، وسلك مسلك الذين أولوا آيات الصفات .

وقبل الخوض فى أقوال الذين قالوا بالتأويل يجدر بنا أن نعرف التأويل
أولاً وما المراد منه .

فالتأويل له معنى فى اللغة ومعانٍ فى الاصطلاح ،
معنى التأويل فى اللغة :

التأويل فى اللغة معناه التفسير . قال الجوهرى : (التأويل تفسير
ما يؤول إليه الشئ ، وقد أولته وتأولته تأولاً بمعنى ، ومنه قول الأعشى :
على إنها كانت تأول حبها تأول ريمى السقاب فأصبحا) (٢) .

(١) سورة آل عمران آية (٧)

(٢) الصحاح فى اللغة باب اللام فصل الألف ص ١٦٢٧ .

معنى التأويل فى الاصطلاح :

وَأَمَّا التَّأْوِيلُ فِى الاصطلاح فله معانٍ متعددة تختلف باختلاف أهل
الفنون والعقائد . قال ابن تيمية : (لفظُ التأويلُ يرادُ به ثلاث معانٍ :
فالتأويلُ فى اصطلاح كثيرٍ من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال
الراجع إلى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقتضيه ذلك ، فلا يكون معنى اللفظ
الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء ، وظنوا أَنَّ مراد
الله بلفظِ التأويلِ ذلك . وَأَنَّ للنصوص تأويلاً يخالف مدلولها لا يعلمه إِلَّا
الله ولا يعلمه المتأولون) (١) .

وقال فى المعنى الثانى : (إِنَّ التَّأْوِيلَ هو تفسيرُ كلامِ الله تعالى سواء
وافق ظاهره أو لم يوافق . وهذا هو التأويل فى اصطلاح جمهور المفسرين
وغيرهم . وهذا تأويل يعلمه الراسخون فى العلم ، وهو موافقُ لوقف من وقف
من السلف على قوله : " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ " (٢) .
وقال فى المعنى الثالث : (إِنَّ التَّأْوِيلَ هو الحقيقة التى يؤول الكلام إليها
وإن وافقت ظاهره . فتأويل ما أخبر الله به فى الجنة من الأكل والشرب واللباس
والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك . هو الحقائق الموجودة أنفسها ، لا ما يتصور
من معانيها فى الأذهان ويعبر عنه باللسان . وهذا هو التأويل فى لغة
القرآن كما قال تعالى عن يوسف : إِنَّهُ قَالَ : " يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاى
مِّن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا " (٣) .

(١) الفتاوى الكبرى ٣٥/٥

(٢) سورة آل عمران آية ٨

(٣) سورة يوسف آية ١٠٠

وقال تعالى : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ " (١) . وقال تعالى :

" فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا " (٢) وهذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا
الله . (٣)

والتأويل الذي سار عليه البيضاوى هو التأويل بمعناه الأول وهو صرف اللفظ
عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، فأول كثيراً من الآيات التى
وردت فيها صفات الله تبارك وتعالى ، والآيات التى ذكرت فيها السمعيات ،
كالكرسى والملائكة وغير ذلك ، ونهج فى ذلك نهج المتكلمين من الأشاعرة ،
وبعض المعتزلة وغيرهم .

ففى تفسير قوله تعالى : " كُلُّ مَنْ عَلَىهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ " (٤) . قال : (ويبقى وجه ربك . ذاته ، ولو استقرت جهات
الموجودات وتفحصت وجوهها ، وجدت بها بأسرها فانية فى حد ذاتها إلا
وجه الله تعالى . أى الوجه الذى يلى جهته) (٥)

وفى تفسير قوله تعالى : " قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا
خَلَقْتُ بَيْدَى " (٦) قال : (خلقته بنفسى من غير توسط كآبٍ وأمٍ والتثنية لما فى
خلقه من مزيد القدرة ، أو اختلاف الفعل وقرئ على التوحيد) . (٧)

(١) سورة الأعراف آية ٥٣

(٢) سورة النساء آية ٥٩

(٣) الفتاوى الكبرى ٥ / ٣٥ ، ٣٦

(٤) سورة الرحمن آية ٢٧ ، ٢٨

(٥) تفسير البيضاوى ص ٧٠٦

(٦) سورة ص آية ٧٥

(٧) تفسير البيضاوى ص ٦٠٦

وفى تفسير قوله تعالى : " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ... الآية " (١)

قال : (حملهم إياه وحفيهم حوله ، مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أو كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ أمره) . (٢)

وفى تفسير قوله تعالى : " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ " (٣) قال : (قبضة قدرته التصرف فى الأمور كلها) . (٤)

وقال فى قوله تعالى : " وَجَاءَ رِبِّكَ وَالْمَلِكُ صَفَاً صَفَاً " (٥) قال : (ظهر

آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيئته وسياسته) . (٦)

وقال فى تفسير قوله تعالى : " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ " (٧) قال : (تصوير

لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . الْإَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ " (٨) . ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد ،

وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه مأخوذ من كرسى العالم والملك ، وقيل بين

يدى العرش . ولذلك سُمِّيَ كرسياً محيطاً بالسماوات السبع ، والأرضون السبع

مع الكرسى إلا كحلقة فى فلاة . ففضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على

(٩) تلك الحلقة ")

(١) سورة غافر آية ٧

(٢) تفسير البيضاوى ص ٦١٨

(٣) سورة الملك آية ١

(٤) تفسير البيضاوى ص ٧٤٨

(٥) سورة الفجر آية ٢٣

(٦) تفسير البيضاوى ص ٧٩٨

(٧) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٨) سورة الزمر آية ٦٧

(٩) تفسير البيضاوى ص ٥٨

وقال في قوله تعالى : " إِنَّ رَبِّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ " . (١) قال : (استوى أمره ، أو استولى . وعن

أصحابنا أَنَّ الاستواءَ على العرش صفة الله بلا كيف . والمعنى أَنَّ له تعالى

استواءً على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن ، وغير ذلك من التأويلات التي تبع فيها مذهب المتكلمين . والتأويل فيما لا مجال للعقل أو الرأي فيه لا يجوز ، بل قد يؤدي إلى الضلال المبين . ومذهب أهل السنة والجماعة في

آيات الصفات ، هو اثبات الصفات لله عزَّ وجلَّ كما قالها تبارك وتعالى من

غير تشبيه ولا تعطيل وكما بينها النبي صلى الله عليه وسلم من غير تأويل ولا

قول برأى . قال أبو الحسن الأشعري : (قال أصحاب الحديث : لَسْنَا

نقولُ في ذلك إلا ما قاله الله عزَّ وجلَّ أو جاءت به الروايةُ من رسولِ الله صلى

الله عليه وسلم فنقول وجهه " بلا كيف ويدان وعينان بلا كيف) . (٣)

وأما ما ذهب إليه البيضاوي هو تأويل المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم .

قال عبد القادر بن طاهر البغدادي من الأشاعرة :

(والصحيح عندنا أَنَّ وجهه ذاته وعينه رؤيته للأشياء . وقوله " ويبقى وجهه

ربك " معناه ، ويبقى ربك ولذلك قال ذو الجلال والإكرام بالرفع لأنه نعمت

الوجه . ولو أراد الإضافة لقال ذي الجلال والإكرام بالخفض) . (٤)

وحكى الأشعري قول المعتزلة في الوجه فقال : (قال بعضهم " وهو

أبو الهذيل " وجه الله هو الله وقال غيره : معنى قوله " ويبقى وجه ربك " :

ويبقى ربك من غير أَنَّ يكون يثبت وجهاً يقال انه هو الله ولا يقال ذلك فيه . (٥)

(١) سورة الأعراف آية ٥٤

(٢) تفسير البيضاوي

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ٢١٢/١

(٤) أصول الدين ص ٤٢٩

(٥) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ٢١٨/١

ونقل عن المعتزلة قول الزمخشري في تفسير الكرسي . قال الزمخشري :

" وسع كرسيه أربعة أوجه ، أحد ها : أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته ، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخيل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد ، كقوله " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه " . من غير تصور قبضة وطى ويمين ، وإنما هو تخيل لعظمة شأنه وتمثيل حسي .

ألا ترى إلى قوله تعالى : " وما قدروا الله حق قدره " . والثاني وسع علمه وسمى العلم كرسيًا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم ، والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك . والرابع ما روى أنه خلق كرسيًا هو بين يدي العرش ، وانه السموات والأرض وهو إلى العرش كأصغر شيء (١) .

أنظر كيف أتى بالتأويل أولاً وذهب فيه ما ذهب ، ثم أتى بالحديث في الآخر كالقول الضعيف . وصرف اللفظ عن ظاهره في مثل هذه الآيات لا يجوز ، إلا بشروط أربعة ذكرها ابن تيمية فقال :

(فصرفها - أي النصوص - عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ، ومجاز ينافي الحقيقة ، لا بد فيه من أربعة أشياء :

أحدها : أن ذلك اللفظ المستعمل بالمعنى المجازي ، لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي ، ولا يجوز أن يراد بشيء مند . خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها ، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازي ما يراد به اللفظ ، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أى لفظ بأى معنى سنح له وإن لم يكن له أصل في اللغة .

الثاني : - أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه ،
والأ فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة ، وفي معنى بطريق المجاز ،
لم يجر حمله على المجازي بغير دليل يوجب الصرف باجماع العقلاء . ثم إن
أدى وجوب صرفه عن الحقيقة فلا بُدَّ له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب
الصرف ، وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بُدَّ من دليل مرجح للحمل على
المجاز .

الثالث : - أنه لا بُدَّ أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن المعارض . والأ فإذا
قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها . ثم إن كان
هذا الدليل نصاً قاطعاً لم يلتفت إلى نقيضه وإن كان ظاهراً فلا بُدَّ من الترجيح .
الرابع : - أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف
ظاهره وضد حقيقته ، فلا بُدَّ أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته ، وإن أراد مجازه .
سواءً عينه أو لم يعينه ، لاسيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه
الاعتقاد والعلم دون عمل الجوارح ، فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نوراً ،
وهدياً وبياناً للناس وشفاءً لما في الصدور وأرسل الرسول ليبين للناس ما
نزل إليهم ، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ولئلا يكون للناس على الله
(١)
حجة بعد الرسل .

فمذهب أهل السنة هو الإيمان بما جاء في آيات الصفات وإمرارها بلا
كيف من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل قال ابن تيمية في مقدمة التفسير :
(وأما أهل السنة فيقولون . الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف يجب على
الرجل الإيمان به ويكمل العلم فيه إلى الله . وسأل رجل مالك بن أنس عن

قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فأطرق مالك رأسه ملياً وعلاه الرخصاء ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والایمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا ضالاً . ثم أمر بنسبه فأخرج ، قال : روى عن سفيان الثوري ، والأوزاعي والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينه ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة . أمروها كما جاءت بلا كيف (١) .

وقال ابن كثير في آيات الصفات عند تفسير قوله تعالى " ثم استوى على العرش " . قال : (إنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح ، مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق ابن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قد يمازجوا ويأخذوا به وهو أمرها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل . والظاهر المتبادر إلى أن هان المشبهين منفى عن الله فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (٢) . بل الأمر كما قاله الأئمة ، منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال : من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر . وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى) (٣) .

وفي الختام لا بد من ذكر كلمة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه أضواء البيان عن تفسير قوله تعالى : " ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ " . لخص

(١) الفتاوى الكبرى مقدمة التفسير ٣ / ٤٠٠ ، ٤٠١

(٢) سورة الشورى آية ١١

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٢٠

(٤) سورة الأعراف آية ٥٤

حاصل المسألة في أمرين فقال : (تحقيق المسألة مركب من أمرين :
أحد هما : - تنزيه الله جلَّ وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى
عن ذلك علواً كبيراً .

والثاني : - الايمانُ بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه ، أو وصفه به رسوله
صلى الله عليه وسلم . لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله . " أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ " (١)
ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال
فيه : " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ " (٢) . فمن نفى عن الله
وصفاً أثبتته لنفسه في كتابه العزيز ، أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم زاعماً
أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جلَّ وعلا ، فقد جعل نفسه أعلم من الله
ورسوله بما يليق بالله جلَّ وعلا . سبحانه هذا بهتان عظيم .

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق ، فهو مشبه ملحد ضال .
ومن أثبت لله ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم مع تنزيهه
جلَّ وعلا عن مشابهة الخلق فهو مؤمن جامع بين الايمان بصفات الكمال والجلال ،
والتنزيه عن مشابهة الخلق ، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل (٣)

.....

(١) سورة البقرة آية ١٤٠

(٢) سورة النجم آية ٣ ، ٤

(٣) أضواء البيان ٣٠٥ / ٢

موقفه من آيات الأحكام

كان البيضاوى فى ذكره لآيات الأحكام يحتج لمذهب الشافعية ويذكر
أدلتهم ويهمل أدلة مخالفي الشافعية، ففي تفسير سورة الفاتحة قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة
وفقهائهما وابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعي، وخالفهم قراء المدينة

وبصرة والشمام وفقهائهما، ومالك والأوزاعي ولم ينص أبو حنيفة
رحمه الله تعالى فيه بشيء، فظن أنها ليست من السورة عنده وسئل محمد
ابن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى . ولنا أحاديث
كثيرة منها ما روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال :
” فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهنَّ بسم الله الرحمن الرحيم ” .^(١)

وقول أم سلمة رضى الله عنها : ” قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة
وعَدَّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ” .^(٢) ومن أجلهما
اختلف في أنها آية برأسها أم بما بعدها . والجماع على أن ما بين الدفتين
كلام الله سبحانه وتعالى ، والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في
^(٣)

تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين .

- (١) أخرجه البيهقي في السنن كتاب الصلاة باب افتتاح القراءة في الصلاة بسم
الله الرحمن الرحيم والجهر بها إذا جهر بالفاتحة ٢/٤٦ . وأخرجه
الدارقطني كتاب الصلاة باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة
والجهر بها ١/٣٠٦ ، وله شواهد عديدة .
- (٢) أخرجه ابن خزيمة في كتاب الصلاة باب بسم الله الرحمن الرحيم آية من
فاتحة الكتاب ١/٢٤٨ وأخرجه الحاكم في المستدرک كتاب الصلاة ١/٢٣٢
- (٣) تفسير البيضاوى ص ٢

هكذا أورد البيضاوي الأدلة النقلية والعقلية وأهمل أدلة مخالفه،
وهي - منها ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
” من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خراج ثلاثاً غير تمام .
ف قيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الامام فقال اقرأ بها في نفسك ، فإني سمعتُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين
عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال
الله تعالى حمدنى عبدى ، وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى
على عبدى ، وإذا قال مالك يوم الدين ، قال مجدنى عبدى ، وقال مرة فوض
إلى عبدى ، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين ، قال هذا بينى وبين عبدى
ولعبدى ما سأل ، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل . (١)
والحديث لم يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم ، فلم يقل فإذا قال العبد
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولكن قال فإذا قال العبد
الحمد لله رب العالمين . قال النووي : (إحتج القائلون بأن البسمة ليست
من الفاتحة بهذا الحديث وهو من أوضح ما احتجوا به . قالوا لأنها سبع
آيات بالاجماع ثلاث فى أولها ثناء ، أولها الحمد لله وثلاث دعاء ، أولها اهدنا
الصراط المستقيم ، والسابعة متوسطة وهى اياك نعبد وإياك نستعين . قالوا
ولأنه سبحانه وتعالى قال : قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ، فإذا قال
العبد الحمد لله رب العالمين فلم يذكر البسمة ولو كانت منها لذكرها . (٢)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة باب قراءة الفاتحة فى كل ركعة

١٠٢ / ١٠١ / ٤

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم كتاب الصلاة باب قراءة الفاتحة فى كل ركعة

٠١٠٣ / ٤

وكذلك أخرج مسلم عن أنس ابن مالك قال : " صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم " (١) قال النووي : (وفي رواية " وكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها ") إلى أن قال : (يستدل بهذا الحديث من لا يرى البسمة من الفاتحة ومن يراها منها يقول لا يجهر) (٢)

وغير ذلك من الأحاديث فغلب على البيضاء ميله لذهب الشافعى ومن وافقه فأورد أدلتهم وترك أدلة المعارضين فلو أوردها وأبطل الاستدلال بها لكان أولى في رأي من إهمالها .

ويظهر ترجيحه لمذهبه وانتصاره له عندما أقول الأحاديث التي تعارض ما ذهب إليه . فعند تفسير قوله تعالى : " وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا " (٣) قال البيضاوى : (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ . سافرتم ، فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ، بتنصيف ركعاتها ، ونفى الحرج فيه يدل على جوازها دون وجوبه ، ويؤيده أنه صلى الله عليه وسلم أتم في السفر ، وأن عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت : يا رسول الله قصرت وأتممت وصمت وأفطرت . فقال : أحسنت يا عائشة . وأوجب أبو حنيفة لقول عمر رضى الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة باب حجة من قال لا يجهر بالبسمة

١١٠/٤

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم كتاب الصلاة باب حجة من قال لا يجهر بالبسمة

١١١/٤

(٣) سورة النساء آية ١٠١

لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله عنها : أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر . وظهرهما يخالف الآية الكريمة فإن صحا فالأول مؤول بأنه كالتمام في الصحة والجزاء . والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بأنهم ألغوا الأربع ، فكانت مظنة لأن يخطر ببالهم أن ركعتي السفر قصر ونقصان ، قسى الاتيان بهما قصراً على ظنهم ، ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم وأقل سفر تقصر فيه أربعة برد عندنا وستة عند أبي حنيفة (١) .

أخذ البيضاوى بقول الشافعى ومن وافقه ، أن القصر في صلاة السفر رخصة وليس عزيمة لأن الآية تنص على نفي الجناح ، ونفى الجناح يدل على الرخصة وليس على العزيمة واستدل بما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتم في السفر ، ثم أورد حديث عائشة رضى الله عنها من أنها أتت وقصرت وصامت وأفطرت وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال : أحسنت يا عائشة . فاتمام النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في السفر قد أخرجه الدارقطنى فقال : " حدثنا المحاملى . حدثنا سعيد بن محمد بن أيوب . حدثنا أبو عاصم . حدثنا عمر بن سعيد عن عطاء عن عائشة : " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر في الصلاة ويتم ، ويفطر ويصوم " . قال الدارقطنى وهذا اسناد صحيح (٢) .

وحديث عائشة أيضا أخرجه الدارقطنى من طريق أبى بكر النيسابورى (قال حدثنا عبد الله بن محمد بن زياد وعبد الله بن محمد بن اسحاق المروزي

(١) تفسير البيضاوى ص ١٢٤

(٢) سنن الدارقطنى مع التعليق المعنى كتاب الصيام ١٨٩/٢ .

قالا : أخبرنا محمد بن ابراهيم بن كثير الصوري ح وحدثنا أبو بكر النيسابوري
حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزى قال أخبرنا محمد بن يوسف الغريابي
حدثنا العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه ، عن عائشة قالت :
خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة رمضان ، فأفطر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصمت ، وقصر وأتممت ، فقلت يا رسول الله بأبي وأمي أفطرت
وصمت . وقصرت وأتممت ، فقال أحسنت يا عائشة . قال الدارقطني متصل
وهو اسناد حسن وعبد الرحمن قد أدرك عائشة ودخل عليها وهو مراهق
وهو مع أبيه وقد سمع منها (١) .

والحقيقة أن قصر الصلاة في السفر هل هو عزيمة أم رخصة أمرٌ اختلف
فيه السلف والخلف . فقال قوم القصر واجب وعزيمة لا بد منها ، هو قول عمر بن
الخطاب وعلى بن أبي طالب ، وابن عمر وجابر وابن عباس وعمر بن عبد العزيز
والحسن وقتادة وحماد بن أبي سليمان وهو قول أصحاب الرأي .
وقال قوم القصر رخصة والمسافر بالخيار إن شاء أتم وإن شاء قصر وهو قول عثمان
بن عفان وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود ، وهو قول الشافعي والمالكية
وابن شبر قال به البيضاوي ودافع عنه (٢) .

وأورد البيضاوي أدلة القائلين بوجوب القصر في السفر . وهي حديث عمر
رضي الله عنه أن صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر ، وحدث عائشة رضي الله
عنها أن الصلاة فرضت ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر ، وشك البيضاوي

(١) سنن الدارقطني مع التعليق المغني كتاب الصيام ١٨٨ / ٢

(٢) انظر مختصر سنن أبي داود للمنذرى ٤٨ / ٢

في صحة الحديثين . والغريب أن الحديثين صحيحان ، حدث عائشة أخرجه البخاري فقال : " حدثنا عبد الله بن يوسف . قال أخبرنا مالك عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر " . (١)

وأخرجه مسلم فقال : " حدثنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر " . (٢)

وحدث عمر رضي الله عنه أخرجه النسائي فقال : " أخبرنا حميد بن مسعدة عن سفيان وهو بن حبيب عن شعبة عن زبيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر قال : صلاة الجمعة ركعتان ، والفطر ركعتان ، والنحر ركعتان ، والسفر ركعتان تمام غير قصر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم " . (٣)

وأخرجه ابن ماجه فقال : " حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال . حدثنا شريك عن زبيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر قال : صلاة السفر ركعتان والجمعة ركعتان والعيد ركعتان . تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم " . (٤)

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة

في الاسراء ٤٦٤ / ١

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١٩٤ / ٥

(٣) سنن النسائي كتاب تقصير الصلاة في السفر ١١٨ / ٣

(٤) سنن ابن ماجه أبواب إقامة الصلاة باب تقصير الصلاة في السفر ١٩١ / ١ .

وأخرجه مسلم برواية ابن عباس فقال : " حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمر بن الناقض جميعاً عن القاسم بن مالك قال عمرو : حدثنا قاسم بن مالك المزني . حدثنا أيوب بن عائذ الطائي عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن ابن عباس قال : إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَسَافِرِ رَكْعَتَيْنِ وَعَلَى الْمُقِيمِ أَرْبَعًا وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً " (١) .

إِذَا فَتَاوِيلُ مَعْنَى الْحَدِيثَيْنِ عِنْدَ الْبَيْضَاوِيِّ لَدَفْعِ التَّعَارُضِ مَقْبُولٌ ، لَكِنَّ الشَّكَّ فِي صِحَّةِ الْحَدِيثَيْنِ غَيْرُ مَقْبُولٍ ، نِسْبَةُ لُورُودِهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمُ اللَّذَيْنِ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى صِحَّةِ مَا فِيهَا مِنْ حَدِيثٍ .

وَأَمَّا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ الْمُتَعَارِضَةِ وَالْجَمْعُ بَيْنَهَا فَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ أَيْضاً ، وَأَوَّلَى مَا قِيلَ فِيهِ ، مَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِتَأْوِيلِ الْبَيْضَاوِيِّ ، فَقَدْ قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْقَصْرِ فِي السَّفَرِ ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ يَجُوزُ الْقَصْرُ وَالْإِتِمَامُ وَالْقَصْرُ أَفْضَلُ ، وَلَنَا قَوْلٌ أَنَّ الْإِتِمَامَ أَفْضَلُ ، وَوَجْهُهُ أَنََّّهُمَا سَوَاءٌ ، وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ أَنَّ الْقَصْرَ أَفْضَلُ ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَكَثِيرُونَ الْقَصْرُ وَاجِبٌ وَلَا يَجُوزُ الْإِتِمَامُ ، وَيَحْتَجُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ - يَعْنِي حَدِيثَ عَائِشَةَ فَرَضَتِ الصَّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ - وَبِأَنَّ أَكْثَرَ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ كَانَ الْقَصْرَ . وَاحْتَجَّ الشَّافِعِيُّ وَمُوافِقُوهُ بِالْأَحَادِيثِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَسَافِرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْهُمْ الْقَاصِرُ وَمِنْهُمْ الْمُتِمُّ وَمِنْهُمْ الصَّائِمُ وَمِنْهُمْ الْمُفْطِرُ ، لَا يَعْيبُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِأَنَّ عَثْمَانَ كَانَ يَتِمُّ وَكَذَلِكَ عَائِشَةُ وَغَيْرُهَا وَهُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥ / ١٩٧ .

" فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة " وهذا يقتضى رفع الجناح والاباحة .
أما حديث فرضت الصلاة ركعتين فمعناه فرضت ركعتين لمن أراد الاقتصار
عليهما ، فزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحميم ، وأقرت صلاة السفر على
جواز الاقتصار . وثبتت دلائل جواز الاتمام فوجب المصير إليها والجمع بين
(١)
دلائل الشرع .

وهذا حق . ولعل هذا التأويل ذهب أصحاب النبی صلى الله عليه وسلم .
أخرج مسلم في صحيحه فقال : " حدثني علي بن خشرم ، أخبرنا ابن عيينة
عن الزهري عن عروة عن عائشة : أَنَّ الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة
السفر وأتمت صلاة الحضر . قال الزهري . فقلت لعروة ما بال عائشة تتم فسي
السفر ؟ قال : إنها تأولت كما تأول عثمان " (٢)

وقد كان عثمان رضى الله عنه يتم الصلاة في السفر آخر خلافته ، أثبت
ذلك عنه في الحج بمنى ، روى ذلك مسلم أيضاً في صحيحه فقال :
" حدثني حرمة بن يحيى . حدثنا ابن وهب . أخبرني عمرو وهو ابن الحارث
عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه صلى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين وأبو بكر وعمر وعثمان ركعتين صدراً من
خلافته ثم أتمها أربعاً " . (٣)

(١) شرح النووى لصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١٩٥/٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١٩٥/٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٢٠٣/٥ .

والتأويل الذى ذهب إليه أصحاب النبی صلى الله عليه وسلم أن القصر جائز قال النووى : (اختلف فى تأويلهما - يعنى عائشة وعثمان رضى الله عنهما - فالصحيح الذى عليه المحققون أنهما رأيا القصر جائزاً والا تمام جائزاً فأخذنا بأحد الجائزين وهو الا تمام) (١) .

والبيضاوى فى بعض آيات الأحكام يرد ما نصت عليه الآية من دليل ويخالف صحيح السنة . ففى قوله تعالى " وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضَعِّفِينَ مِنَ الْوُلَدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ " (٢) قال : (كتب لهن . فُرِضَ لَهُنَّ فى الميراث فان أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون ما لهن وإلا كانوا يفضلونهن طمعاً فى ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة إذ لا يلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها) (٣) .

والحديث الذى ورد فى البخارى : " حدثنا أبو اليمان . أخبرنا شعيب عن الزهري . وقال الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضى الله عنها قال لها : يا أمته " وان خفتن إلا تقسطوا فى اليتامى - إلى ما ملكت ايما نكم " قالت عائشة : يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينتقص

(١) شرح النووى لصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١٩٥/٥ .

(٢) سورة النساء آية ١٢٧

(٣) تفسير البيضاوى ص ١٢٩ .

من صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن في اكمال الصداق ،
وأمرُوا بنكاح مَنْ سواهن من النساء ، قالت عائشة : استفتى الناس رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله : " ويستفتونك في النساء -
إلى " وترغبون أن تنكحوهن " فأنزل الله عز وجل لهم في هذه الآية أن اليتيمة
إذا كانت ذات مال وجمال ورغبوا في نكاحها ونسبها والصداق ، وإذا كانت
مرغوباً عنها في قلة المال والجمال تركوها وأخذوا غيرها من النساء . قالت :
فكما يتركونها حين يرغبون عنها ، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها الا
أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق " . (١)

قال ابن حجر : " فيه دلالة على تزويج الولي غير الأب التي دون البلوغ بكرة
كانت أو ثيباً ، لأن حقيقة اليتيمة من كانت دون البلوغ ولا أب لها ، وقد
أذن في تزويجها بشرط الا يبغض من صداقها ، فيحتاج من منع ذلك السي
دليل قوى . وقد احتج بعض الشافعية بحديث " لا تنكح اليتيمة حتى تستأمر " . (٢)
قال : فإن قيل : الصغيرة لا تستأمر ، قلنا فيه إشارة الى تأخير تزويجها حتى
تبلغ فتصير أهلاً للاستئثار . فإن قيل : لا تكون بعد البلوغ يتيمة ، قلنا التقدير
لا تنكح اليتيمة حتى تبلغ فتستأمر ، جمعاً بين الأدلة (٣) .

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب النكاح باب تزويج اليتيمة

١٩٧/٩ ورواه مسلم فى كتاب التفسير ١٨/١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) مسند احمد ٢/١٣٠ بلفظ (هى يتيمة فلا تنكح الا بانها)

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ٩/١٩٧ .

وقد يكون الحق مع البيضاوى فى بعض الأحكام وتكون الآية المراد تفسيرها دليل المعارضين فيما يعتقدون فيرد الاستدلال بالآية وينصر مذهبهم . ففى قوله تعالى : " وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ^(١) " قال البيضاوى : (استدلال به على حرمة لحومها ولا دليل فيه ان لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالباً أن لا يقصد منه غيره أصلاً . ويدل عليه أن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على أن الحمر الأهلية حرمت عام خيبر) ^(٢) .

وقال ابن رشد : (جمهور العلماء على تحريم لحوم الحمر الانسية إلا ما روى عن ابن عباس وعائشة أنهما كانا يبيحانها ، وعن مالك أنه كان يكرهها . ورواية ثانية مثل قول الجمهور . وكذلك الجمهور على تحريم البغال ، وقوم كرهوها ولم يحرموها وهو مروى عن مالك ، وأما الخيل فمذهب مالك وأبو حنيفة وجماعة إلى أنها محرمة ومذهب الشافعى وأبو يوسف ومحمد وجماعة إلى إباحتها .

والسبب فى اختلافهم فى الحمر الانسية معارضة الآية المذكورة للأحاديث الثابتة فى ذلك من حديث جابر وغيره قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ، واذن فى لحوم الخيل " ^(٣) .

(١) سورة النحل آية ٨

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣٥٢

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الصيد والذبائح باب لحوم الخيل ٦٤٨/٩

وأخرجه مسلم فى كتاب الصيد والذبائح باب إباحة أكل لحم الخيل

فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْآيَةِ وَهَذَا الْحَدِيثِ حَمَلَهَا عَلَى الْكَرَاهَةِ ، وَمَنْ رَأَى النُّسخَ
قَالَ بِتَحْرِيمِ الْحُمْرِ أَوْ قَالَ بِالزِّيَادَةِ وَنَ أَنْ يُوْجِبَ عِنْدَهُ نُسْخًا . وَقَدْ اِحتَجَّ
مَنْ لَمْ يَرِ تَحْرِيمَهَا بِمَا رَوَى عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِي عَنْ أَبِي أُوْفَى قَالَ :
" أَصَبْنَا حُمْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ وَطَبَخْنَاهَا ، فَسَادَ
مَنَادَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ اكْفُوا الْقُدُورَ بِمَا فِيهَا . قَالَ ابْنُ
إِسْحَاقَ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ : إِنَّمَا نَهَى عَنْهَا لِأَنَّهَا
كَانَتْ تَأْكُلُ الْجِلَّةَ . " (١)

وَأَمَّا اخْتِلَافُهُمْ فِي الْبُغَالِ فَسَبَبُهُ مَعَارَضَةُ دَلِيلِ الْخَطَابِ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى : " وَالْخَيْلَ وَالْبُغَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا زِينَةً " . وَقَوْلُهُ مَعَ ذَلِكَ فِي
الْأَنْعَامِ " لَتَرْكَبُوهَا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ " (٢) لِلآيَةِ الْحَاصِرَةِ لِلْمَحْرُمَاتِ
لأنَّهُ يَدُلُّ مَفْهُومُ الْخَطَابِ فِيهَا ، أَنَّ الْمَبَاحَ فِي الْبُغَالِ إِنَّمَا هُوَ الرُّكُوبُ
مَعَ قِيَاسِ الْبُغْلِ أَيْضًا عَلَى الْحِمَارِ . وَأَمَّا سَبَبُ اخْتِلَافِهِمْ فِي الْخَيْلِ فَمَعَارَضَةُ
دَلِيلِ الْخَطَابِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِحَدِيثِ جَابِرٍ ، وَمَعَارَضَةُ قِيَاسِ الْفَرَسِ عَلَى الْبُغْلِ
وَالْحِمَارِ لَهُ . لَكِنْ إِبَاحَةُ لَحْمِ الْخَيْلِ نَصٌّ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَمَارَضَ
بِقِيَاسٍ وَلَا بِدَلِيلِ خَطَابٍ (٣) .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ ابْنُ إِسْحَاقَ وَسُئِلَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ كِتَابَ

الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحَ ٩٢/١٣ وَالْجِلَّةُ هِيَ الْعَذْرَةُ .

(٢) سُورَةُ غَافِرٍ آيَةُ ٧٩

(٣) بِدَايَةِ الْمُجْتَهِدِ وَنَهَايَةِ الْمُقْتَصِدِ ٤٠٢/٢ ، ٤٠٣

وفى بعض الأحيان يذكر أقوال الفقهاء من غير ترجيح ولا مناصرة
مذهب ويترك للقارئ الأخذ بأيها شاء مع ذكر الرأى الأقوى أولاً ثم الذى
يليه الى آخر الأقوال . ففى تفسير قوله تعالى : " وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ
شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " . (١)

قال البيضاوى : (المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين فكأنه
قال : فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ يصرف إلى هؤلاء الأخصين به وحكمه بعد باق غير
أَنَّ سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح
المسلمين كما فعل الشيخان رضى الله تعالى عنهما ، وقيل إلى الامام ، وقيل
إلى الأصناف الأربعة . وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى سقط سهمه وسهم
ذوى القربى بوفاته وصار الكل معروفا الى الثلاثة الباقية . وعن مالك رضى
الله تعالى عنه الأمر فيه مفوض إلى رأى الامام يصرفه إلى ما يراه أهم . وذهب
أبو العالية إلى ظاهر الآية فقال : يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى
الكعبة لما روى أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم
ما بقى إلى خمسة . وقيل سهم الله إلى بيت المال . وقيل هو مضموم إلى
سهم الرسول صلى الله عليه وسلم . وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما
روى أنه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليها فقال له عثمان وجبير

(١) سورة الأنفال آية ٤١ .

ابن مطعم هؤلاء اخوتك بنوا هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك منهم .
أرايت اخواننا من بنى المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة
واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام
وشبك بين أصابعه ^(١) . وقيل بنوا هاشم وحدهم . وقيل جميع قريش والفنى
والفقير فيه سواء . وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس
كله لهم ، والمراد باليتامى وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص .
^(٢)
قسمة الغنيمة عند جمهور العلماء أن الخمس للإمام يصرفه كيف شاء من
الأصناف المذكورة كاليتامى والمساكين وابن السبيل وغيرهم والأربعة أخماس
للمحاربين . قال القرطبي : (الله سبحانه وتعالى أضاف الغنيمة للغانمين
فقال : " وأعلموا أننا غنمتم من شيء " ثم عين الخمس لمن سمي في كتابه
وسكت عن الأربعة الأخماس ، كما سكت عن الثلثين في قوله " وورثة أبواه فلاؤه
الثلث " فكان للأب الثلثان اتفاقاً . وكذا الأربعة الأخماس للغانمين اجماعاً ،
على ما ذكره ابن المنذر ، وابن عبد البر ، والداودي ، والمازرى أيضاً
والقاضى عياش وابن العربي) ^(٣) .

(١) أخرجه البخارى فى كتاب فرض الخمس باب ومن الدليل على أن الخمس
للإمام صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٥٣/٧ وأخرجه النسائى كتاب
قسم الفسى سنن النسائى بشرح السيوطى ١٣١/٧ .

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٤٠ ، ٢٤١

(٣) تفسير القرطبي ٣/٨

وقال ابن حجر : (أجمعوا على اللام فى قوله تعالى " لله للتبرك " ،
إلا ما جاء عن أبى العالية فإنه قال : تقسم الغنيمة خمسة أسهم ، ثم
السهم الأول يقسم قسمين قسم لله وهو للفقراء ، وقسم للرسول وأما من
بعد ه فيضعه الامام حيث يراه) (١) .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قبل فرض الخمس يعطى الغنيمة
للغانمين بحسب ما يؤدى إليه اجتهاده ، فلما فرض الخمس تبين للغانمين
أربعة أخماس الغنيمة لا يشاركهم فيها أحد ، وخمس خاص بالنبى صلى الله
عليه وسلم مفوض إلى رأيه يضعه حيث يشاء ، وكذلك إلى الإمام من بعده وقد
كانوا فى الجاهلية يرون أن للرئيس ربع الغنيمة قال الأصمعى ربع فى الجاهلية
وخمس فى الاسلام (٢) فأنزل الله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله
خمسه " فأسقط حكم الجاهلية وأحكم الدين .

ذلك هو موقف البيضاوى من آيات الأحكام ، يذكر الحكم الذى تدل عليه
الآية ويذكر أقوال الفقهاء مع ترجيح مذهب الشافعى فى أغلب الأحيان .

.....

(١) فتح البارى ٢٥ / ٧

(٢) انظر تفسير القرطبى ١٤ / ٨ .

موقفه من القراءات

تمهيد في تاريخ القراءات

نزل القرآن على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عربياً غير ذي عوج، وتلقاه وحياً من الله عزَّ وجلَّ عن طريق جبريل عليه السلام، جامعاً لكل لغات العرب تخفيفاً على القبائل ومراعاةً لللهجات المختلفة فلم ينزل القرآن بلغة قريش وحدها بل نزل بلغة تميم ولغة طى ولغة خزاعة وغيرها بل نزل بكل لغات العرب، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيد به ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" (١).

وفي حديث عمر رضي الله عنه قال: "إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ فأقرأوا ما تيسر منه" (٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه القرآن بكل هذه الأحرف فكانت كل قبيلة تقرأ القرآن وكما أقرأها النبي صَلَّى الله عليه وسلّم على لغتها وعلى حرفها. وحدث أن التيس على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع هشام بن حكيم يقرأ القرآن على حرفه الذي أقرأه إياه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فأنكر عليه عمر ظناً منه أن قراءة هشام بن حكيم ليست من القرآن فاختصما إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فأقر كل على قراءته. روى ذلك البخاري

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب فضائل القرآن ١٠/٣٩٨، ٣٩٩

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب فضائل القرآن ١٠/٤٠١

فقال : عن ابن شهاب قال حدثني عروة ابن الزبير أَنَّ المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارىء حدثاه أَنَّهُما سمعا عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرانيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت . ثم قال اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ، إِنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه .^(١)

وتحدث العلماء في هذه الأحرف والمراد منها واختلفوا في معناها ، قال ابن حجر المراد بالأحرف تأدية المعنى باللفظ المراد ولو كان من لغة واحدة وعزا هذا القول لابن عبد البر الذي قال أن ذلك نقل عن أكثر أهل العلم .^(٢) وقيل المراد بها اختلاف اللغات .

وعلى أى معنى من المعانى فالقرآن نزل على سبعة أحرف من لغات العرب قاطبة ، والكلام في الأحرف السبعة طويل تناولته كتب علوم القرآن .

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن ١٠ / ٣٩٩ - ٤٠١

(٢) انظر المرجع السابق .

وفي فترة نزول القرآن اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً للوحي وهم :
عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وعبد الله
ابن مسعود وأنس بن مالك .

ولما انتقل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى كان القرآن
قد كتب في الرقاع والاقتاب وغيرها وحفظ كذلك في الصدور عند كثير من الصحابة .
وخلف أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقامت حروب الردة في عهده وقتل
من حفظة الوحي في هذه الحروب عدد كبير ، الشيء الذي أخاف عمر رضي
الله عنه فدخل على أبي بكر بعد سنتين من خلافته فقال : إِنَّ أَصْحَابَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهافتون في الحرب تهافت الفراش في النار ،
وإنني أخشى أن يقتلوا جميعاً وهم حملة قرآن ، فيضيع منه الكثير . وإنني أرى
أن تجمع القرآن كله في مصحف واحد . فتردد أبو بكر وتوقف في الأمر ، ورأى أنه
يفعل أمراً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال به عمر يراجع حتى
شرح الله صدره لذلك . وجمع الحفظة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .
وكان منهم زيد بن ثابت وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعثمان بن عفان
وعلى بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله وحذيفة بن اليمان ، وأبو الدرداء وغيرهم ،
فاجتمعوا برئاسة زيد بن ثابت وجمعوا كل ما كتب من القرآن باملاء النبي صلى
الله عليه وسلم . وأمر أبو بكر زيداً أن يكتب القرآن كله على الترتيب الذي تلقاه
هو ومن معه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجمع القرآن على الأحرف السبعة
ووضعت الصحف عند الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى توفي ثم عند
عمر رضي الله عنه حتى توفي ، ثم عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها .

ومضني الناس يقرأون القرآن على الأحرف السبعة كل يقرأ ما تيسر له
منها ويقري تلاميذه ما تيسر من هذه الأحرف وتفرقوا في الأمصار يعلمون
القرآن للناس كل يعلم بالحرف الذي تيسر له وبدأ الاختلاف بين القراء .
إن كل من تعلم حرفا غير الحرف الذي تعلمه غيره ظن أن الحرف الذي تعلمه
غيره غير صحيح ، حتى إذا كانت سنة ثلاثين من الهجرة اجتمع في غزوة اذريجان
وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، واستمع بعضهم إلى بعض وهم يتلون
الكتاب فاشتد الخلاف بينهم في القراءة وتنازعوا حتى كاد يكفر بعضهم بعضا
وكان حذيفة بن اليمان حاضرا فهاله الأمر فركب إلى الخليفة عثمان بن عفان
وقال له أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .
إنني سمعت أحدهم يقول للآخر قراءتي خير من قراءتك وإنني أخشى أن يكون
هذا كفرا . فغزع عثمان لذلك فزعا شديدا . وأرسل إلى أم المؤمنين حفصة
بنت عمر أن أرسلني إلينا الصحف ننسخها ونردّها إليك ففعلت . فجمع عثمان
جمهرة من القراء منهم عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن
الحارث بن هشام وأمر عليهم زيد بن ثابت وأمرهم أن يكتبوا للناس إماما ، وقال
لهم إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنما بلسانهم نزل .
فكتبوا ثمانية مصاحف . قسمت في الأمصار كالْبصرة والكوفة والشام واليمن ومكة
المكرمة والبحرين ومصحف بالمدينة واحتفظ الخليفة لنفسه بمصحف . وأمر
بأحراق ما عدا هذه المصاحف فأحرقت مصاحف لبعض كبار الصحابة كعبد الله
ابن مسعود وأبي بن كعب حتى لا يدع فرصة لأي خلاف ممكن . وأمر المقرئين
في الأمصار أن يتمسكوا بهذه المصاحف . وانصاعت الأمة لأمر الخليفة عثمان
وجمع الناس على المصحف الأمام .

والشيء الذى يجب ذكره فى هذا المقام أن القرآن لم يكن الاعتماد فيه على المكتوب فحسب بل الاعتماد فيه على المكتوب والمحفوظ فى الصدور، المتلقى بالسند الصحيح شفاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق التواتر . فكان المحفوظ يوافق المكتوب فى المصحف الامام . وكتب مصحف عثمان رضى الله عنه خاليا من النقط والشكل ليستوعب جميع القراءات المتواترة عن الرسول عليه الصلاة والسلام .

ومضى زمن على هذه الحال والناس يقرأون القرآن بما أقرأهم به الصحابة والتابعون، فظهر أهل البدع والأهواء فصاروا يقرأون القرآن وقفاً لا هوائهم ويدعهم (فأجمع المسلمون أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن فاختراروا من كل مصر وجه إليها مصحف أئمة مشهورين بالثقة والأمانة فى النقل وحسن الدراية وكمال العلم أفنوا عمرهم فى القراءة والاقراء واشتهر أمرهم وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم ولم تخرج قراءتهم (١) عن خط مصحفهم) .

وتفرق القراء فى البلاد، وعسر الضبط فوضع الأئمة ميزاناً يرجع إليه . وهو صحة سند القراءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقتها لرسم مصحف عثمان وموافقتها لوجه من وجوه العربية .

(ولما كانت القراءة بالنسبة للتواتر وعدمه ثلاثة أقسام قسم اتفق على تواتره وهم السبعة المشهورة وقسم اختلف فيه والأصح بل الصحيح المختار المشهور تواتره وهم الثلاثة بعدها، وقسم اتفق على شذوذه وهم الأربعة الباقية) . (٢)

(١) اتحاف فضلاء البشر ص ٦

(٢) اتحاف فضلاء البشر ص ٩

أسماء القراء الأربعة عشر ورواتهم : -

- ١ - نافع المدني بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، روى عنه مالك بن أنس وقالون والأصمعي وأبو عمرو بن العلاء وورش وغيرهم واشتهر بالرواية عنه قالون وورش .
- ٢ - أبو عمرو بن العلاء واسمه زيان بن العلاء التميمي المازني البصري، روى عنه أبي زيد الأنصاري والأصمعي ويحيى اليزيدي وسيبويه واشتهر بالرواية عنه الكوري والسوسي عن يحيى اليزيدي عنه .
- ٣ - ابن كثير المكي واسمه عبد الله أبو معبد العطار الداري الفارسي، روى عنه حماد بن زيد وحماد بن سلمة والخليل بن أحمد واشتهر بالرواية عنه أحمد بن محمد بن عبد الله البزّي ومحمد بن عبد الرحمن الملقب بقنبل من رواية البزّي عنه .
- ٤ - ابن عامر الدمشقي واسمه عبد الله بن عمران اليحصبي . روى عنه يحيى بن الحارث وخلاّد بن يزيد واشتهر بالرواية عنه هشام ابن عمار وابن زكوان عن أصحابهما عنه .
- ٥ - عاصم بن أبي النجود الكوفي . روى القراءة عنه حماد بن زيد وأبو بكر بن عياش واشتهر بالرواية عنه أبو بكر بن عياش وحفص بن سليمان .
- ٦ - حمزة بن حبيب الزيات الكوفي روى عنه يحيى بن زياد القراء ويحيى بن المبارك واشتهر عنه بالرواية خلف بن هشام وخلاّد بن سليم .
- ٧ - الكسائي : - واسمه أبو الحسن علي بن حمزة أخذ القراءة عنه حفص الكوري وأبو عبيد القاسم بن سلام واشتهر بالرواية عنه أبو الحارث الليث ابن خالد وحفص بن عمر الكوري .

هؤلاء هم السبعة المشهورين وأما بقية العشرة فهم كالآتي :-

٨ - أبو جعفر يزيد بن القعقاع روى عنه عيسى بن وردان وسليمان بن جمار .

٩ - يعقوب بن اسحاق الحضرمي روى عنه محمد بن المتوكل المشهور برويسى . وروح بن عبد المؤمن .

١٠ - خلف بن هشام البزار روى عنه إسحاق الثوري وأدريس الخدادي وأما بقية الأربعة عشر فهم :

١١ - ابن محيصة محمد^{بن} عبد الرحمن السهمي روى عنه البزي وأبو الحسن ابن شنبوذ .

١٢ - يحيى بن المبارك اليزيدي روى عنه سليمان أبو أيوب بن حكيم الخياط وأحمد بن فرج أبو جعفر الضير .

١٣ - الحسن البصري . روى عنه شجاع بن أبي بصر البلخي والدوري .

١٤ - الأعمش وهو سليمان بن مهران روى عنه الحسن بن سعيد المطوعي وأبو الفرج الشنبوذى (١) .

هذه هي القراءات الأربعة عشر منها السبعة المشهورة وقد التبس على كثير من الناس أن القراءات السبعة اليوم هي الأحرف السبعة وهذا خطأ كبير فالقراءات السبعة جزء من الأحرف السبعة وليست تمثل الأحرف السبعة كلها، فالأحرف السبعة تشمل هذه القراءات الأربعة عشر وكذلك قراءة الصحابة التي أحرقت زمن عثمان .

(١) راجع اتحاف فضلاء البشر ص ٧ ، والسبعة في القراءات لابن مجاهد

وكتاب النشر في القراءات العشر .

أما البيضاوى فقد درس هذه القراءات وأورد ها فى تفسيره ووجهها من العربية . فكان يذكر القراءات السبعة المتفق عليها ويذكر معها قراءة يعقوب الحضرمى كجزء من القراءة المتفق عليها مع العلم أن قراءة يعقوب عند الجمهور فى الثلاثة المختلف فيهم . مثال ذلك فى سورة المائدة عند قوله تعالى : " فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ " (١) .

قال البيضاوى : (برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيون ويعقوب بمعنى فعلية أو فواجهه جزاء يماثل ما قتل من النعم) (٢) .
وفى قوله تعالى : " فَإِنْ عُسِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَأَخْرَأِ يَاقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَّانِ " (٣) .

قال البيضاوى : (الأوليان : الأحقان بالشهادة لقرايتهما ومعرفتهما وهو خبر مبتدأ محذوف أى هما الأوليان أو خبر أخران ، أو مبتدأ خبره أخران أو بدل منهما أو من الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر عن عاصم " الأولين " على أنه صفة للذين أو بدل منه ، أى من الأولين الذين استحق عليهم) (٤) .
وفى قوله تعالى فى سورة المائدة أيضا فى قوله تعالى : " وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَالْآيَةُ " (٥) .

(١) سورة المائدة آية ٩٠

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٦٢

(٣) سورة المائدة آية ١٠٧

(٤) تفسير البيضاوى ص ١٦٥

(٥) سورة المائدة آية ١١

قال البيضاوى : (قرأ نافع ويعقوب طائراً ويحتمل الأفراد والجمع كالباقر) (١).

هذه أمثلة من سورة المائدة فقط فضلاً عن باقى التفسير تدل على أن قراءة يعقوب الحضرى عند البيضاوى قراءة لا تقل عن قراءة القراء السبعة ، نافع وابن كثير وعاصم والكسائى وحمزة وأبو عمر وابن عامر .

وأما القراءة الشاذة فقد كان البيضاوى يذكرها أحياناً ولا يكثر من ذكرها ولا يشير إلى أصحابها ، وغالباً ما يذكر قراءة الحسن البصرى فى آخر ذكره للقراءات يذكرها من غير أن يغزوها له مثال ذلك فى قوله تعالى فسى سورة الزخرف : " أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ " (٢).

قال البيضاوى : (قرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ ، أى يربى وقرئ ينشأ وينشأ بمعنى ونظير ذلك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى) (٣).
وينشأ هى قراءة الحسن البصرى .

جاء فى البدور الزاهرة فى القراءات الشاذة : (قرأ الحسن أو من ينشأ بياء مضمومة ونون مفتوحة بعدها ألف وشين خفيفة مع البناء للمفعول على وزن يقاتل من باب المفاعلة . والمنشأة بمعنى الانشاء كالمغالات بمعنى) (٤).
الاعلاء)

(١) تفسير البيضاوى ص ١٦٦ .

(٢) سورة الزخرف آية ١٨

(٣) تفسير البيضاوى ص ٦٤٨

(٤) البدور الزاهرة ص ٨٠

موقفه من الأحرف المتروكة : -

والأحرف المتروكة هي الأحرف التي أمر الخليفة عثمان بن عفان بحرقها، وهي التي تخالف المصحف الذي اجتمع عليه الصحابة كحرف أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وعائشة وغيرها فقد كانت بها قراءات صحيحة ولكنها أحرقت قطعاً للخلاف بموافقة جميع الصحابة في زمن عثمان رضي الله عنه .
ولكن هذه الأحرف كانت محفوظة في الصدور وتناقلها جيل عن جيل .
وأما البيضاوي فقد تعرض لذكر هذه القراءات فذكر بعضاً منها في تفسيره على سبيل الاستئناس فكان غالباً ما يذكر قراءة أبي بن كعب وابن مسعود مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى : " النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ " (١)

قال البيضاوي : (قرء وهو أب لهم أي من الدين فان كل نسبي أب لأمته) (٢)

وقراءة وهو أب لهم هي قراءة أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة بن أبي جهل .
قال ابن العربي : (وفي رواية عكرمة . وهو أبوهم وأزواجه أمهاتهم " (٣)
وقال القرطبي : (ان في مصحف أبي بن كعب : " وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم " . وقرأ ابن عباس " أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب وأزواجه أمهاتهم " (٤)

(١) سورة الأحزاب آية ٦

(٢) تفسير البيضاوي ص ٥٥٣

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٥٠٧/٢

(٤) تفسير القرطبي ٥٢٠٥/٦

(١) وفى قوله تعالى : " وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا " .

قال البيضاوى : (وقرئ لا مستقر لها أى لا سكون فإنها متحركة دائماً ولا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس) (٢) .

وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس . قال القرطبى : (وقرأ ابن مسعود وابن عباس " والشمس تجرى لا مستقر لها " أى أنها تجرى فى الليل والنهار لا وقوف لها ولا قرار إلى أن يكورها الله يوم القيامة) (٣) .

وقال تعالى فى سورة الصافات : " وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ " (٤) .

قال البيضاوى : (قيل إدريس لأنه قرئ إدريس وإد راس مكانه وفى حرف أبى وإن إيليس) (٥) .

.....

(١) سورة يس آية ٣٨

(٢) تفسير البيضاوى ص ٥٨٥

(٣) تفسير القرطبى ٦/٤٧٢

(٤) سورة الصافات آية ١٢٣

(٥) تفسير البيضاوى ص ٥٩٦

توجيه للقراءات

وقف البيضاوي عند كل آية في كتاب الله تعالى فيها قراءات متعددة ، فأورد القراءة وبين وجهها من العربية ، ففي قوله تعالى : " وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ^(١) " . قال : (أجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله تعالى : " وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ^(٢) " . وأن القوة لله جميعاً ساد مسد مفعولى يرى وجواب لو محذوف أى لو يعلمون أن القوة لله جميعاً إذ عاينوا العذاب لندموا أشد الندم ، وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا أن داهم لا تنفع ، لعلموا أن القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره . وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب " ولو ترى " على أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً . وابن عامر " إن يروا " على البناء للمفعول ويعقوب " إن بالكسر ^(٣) " .

ففى توجيه قراءة نافع وابن عامر " ولو ترى " بالتاء قال : (حجتها قوله : " وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ ^(٤) " ، " وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ^(٥) " . وجواب لو مكفوف ، المعنى : ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين عند رؤيتهم العذاب لرأيت أمراً عظيماً ينزل بهم . وأن بمعنى لأن القوة لله جميعاً

(١) سورة البقرة آية ١٦٥

(٢) سورة الأعراف آية ٤٤

(٣) تفسير البيضاوي ص ٣٤

(٤) سورة سبأ آية ٣١

(٥) سورة الأنفال آية ٥٠

ولأن الله شديد العذاب . ويجوز أن يكون العامل في أن القوة الجواب ،
المعنى فلو ترى يا محمد الذين ظلموا لرأيت أن القوة لله جميعاً . وهذا
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يراد به الناس أى لرأيت أيها المخاطبون
أن القوة لله ، أو لرأيت أن الأنداد لم تتفع وانما بلغت الغاية في الضرر .
ولا يجوز أن يكون العامل في أن ترى لأنه قد عمل في الدين (١) .

وقال في توجيه قراءة من قرأ بالياء وهم حمزة والكسائي وأبو عمرو بن
العلاء وعاصم وابن كثير ومن وافقهم من غير السبعة . قال : (حجتهم
ما جاء في التفسير : لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة
لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعاً . قال الزجاج : (أما من قرأ أن
القوة فموضع أن نصب بقوله ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وقوته لعلموا
مضرة اتخاذهم الأنداد ، وقد جرى ذكر الأنداد ويجوز أن يكون العامل فسى
أن الجواب أى : ولو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا أن القوة لله جميعاً .
وكذلك نصب أن الثانية والمعنى ، لو يرى الذين ظلموا في الدنيا عذاب
الآخرة لعلموا حين يرونه . " أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب (٢)
وقال في إن يرون العذاب : (قرأ ابن عامر إن يرون العذاب بضم الياء
على ما لم يسم فاعله فعل يقع بهم ، تقول أريته كذا وكذا أى أظهرته له
وقرأ الباقر إن يرون بفتح الياء يعني الكفار) (٣) .

(١) حجة القراءات ص ١١٩ ، ١٢٠

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

ولا يخفى ما فيه من اتفاق بينه وبين توجيه البيضاوى . ولعل البيضاوى
تأثر به لأن أبى زرعة من رجال المائة الرابعة والبيضاوى من رجال المائة
السابعة .

وفى تفسير قوله تعالى : " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ " (١)

قال : (قرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان بإضافة الفدية إلى الطعام
وجمع المساكين ، وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير إضافة الفدية إلى
الطعام ، والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين . وقرئ يطوقونه أى يكلفونه
أو يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة . ويتطوقونه أى يتكلفونه أو
يتقلدونه . ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على أن أصلهما يطيقونه
يتطيقونه من فيعل وتفعيل يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا
وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهد به . وهم الشيوخ والعجائز . فى الافطار
والفدية فيكون ثابتاً ، وقد أول به القراءة المشهورة أى يصومونه جهدهم
وطاقتهم (٢) .

وعلى قراءة يطيقونه أن الآية منسوخة بقوله تعالى " فمن شهد منكم الشهر
فليصمه " . وعلى قراءة يطوقونه الآية محكمة . قال الشيخ أبى القاسم هبة الله بن
سلامة فى كتابه الناسخ والمنسوخ : (كان الرجل فى بدء الاسلام إن شاء
صام وإن شاء أفطر ، وأطعم مكان يومه مسكينا حتى قال الله تعالى فمن تطوع

(١) سورة البقرة ١٨٤

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣٤

خيراً فهو خير له فأطعم بمكان يومه مسكينين كان أفضل، والا طعام مد من طعام على قول أهل الحجاز وعلى قول أهل العراق نصف صاع حتى أنزل الله الآية التي تليها وهي قوله تعالى " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " . وهذا الظاهر يحتاج إلى كشف ومعناه - والله أعلم -

من شهد منكم الشهر حاضراً عاقلاً بالغاً صحيحاً فليصمه فصار هذا ناسخاً لقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه (١) .

وقراءة يطيقونه هي قراءة ابن عباس وابن مسعود قال البخاري حدثني اسحاق ، أخبرنا روح ، حدثنا زكريا بن اسحاق ، حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ : " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين " . قال ابن عباس ليست منسوخة . هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكيناً (٢) .

وقال ابن حجر مذهب ابن عباس في أن الآية محكمة وليست منسوخة بخالفه الأكثر وهي قراءة ابن مسعود أيضاً وهذه القراءة تضعف تأويل من زعم أن لا محذوفة من القراءة المشهورة وأن المعنى :

وعلى الذين لا يطيقونه فدية وأنه كقول الشاعر :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ربي البيت ، أى لا أبرح قاعداً .

(١) النسخ والمنسوخ ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب التفسير ١٧٩/٨

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التفسير ١٨٠/٨

وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ (١) .
الآية " فى جبريل ثمانى لغات وقد قرئَ بِهِنَّ أربع فى المشهورة .
جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائى .
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمة قراءة ابن كثير .
وجبرئيل كجحمرش قراءة عاصم برواية أبى بكر .
وجبريل كقنديل قراءة الياقينى .

وأربع فى الشواند، جبرئيل، وجبرائيل، كجبراعيل، وجبرائيل، وجبرين، ومنسح
صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله (٢) .

فكلمة جبريل كثرت فيها اللغات لأنها من الأسماء الأعجمية التى لعبت
بها العرب فنطقت بها على أوجه مختلفة فقد جاء القرآن الكريم فواقهم على
بعضها . قال عبد الفتاح القاضى فى القراءات الشاذة (قرأ ابن محيصن فى
المبهم فى أحد الوجهين " وجبريل " بفتح الجيم والراء وهمة مكسورة بعدها
وحذف الياء وتشديد اللام ، فقراءته كقراءة شعبة من طريق يحيى بن آدم غير
أنه يشدد اللام . وقرأ الحسن بفتح الجيم والراء وألف بعدها وهمة مكسورة
بعد الألف من غير ياء فيكون عنده من قبيل المد المتصل . فقراءته كقراءة شعبة
أيضا من الطريق المذكورة غير أنه يزيد الألف بعد الراء) (٣) .

(١) سورة البقرة آية ٩٧

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٠

(٣) القراءات الشاذة ٣١

موقفه من القراءات التي طعن فيها النحويون :

اعترض بعض النحويين على قراءات متواترة سبعية لمخالفتها القواعد المشهورة من لغة العرب وقالوا إِنَّ القرآن هو أفصح كلام بل لا يمكن أَنْ يُقَرَّبَ بمثله فَلَا بُدَّ أَنْ يكون على أفصح اللغة . لذا نجد هم رَدُّوا القراءات التي وردت تخالف فصيح اللغة . وكان للبيضاوي موقف من هذا التأويل وله رأى فى توسيع القاعدة حتى جاءت القراءة موافقة لها وعلى فصيح اللغة . والمعلوم أَنَّ القراءات ثَبَّتَتْ بثلاثة أركان وهى صحة السلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقة الآية لرسم مصحف عثمان رضى الله عنه وهو الامام وموافقة الآية لوجه من وجوه لغة العرب . فالبيضاوي لوسع أفقه وعلمه الشر بلغة العرب كان من أَوْلَئِكَ الذين أدلوا بدلوهم فى توجيه القراءات توجيهاً يوافق لغة العرب . ففى قوله تعالى : " قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ " (١)

قال البيضاوي : (الارجاء التأخير أى آخر أمره وأصله أَرْجئه كما قرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب من أَرْجأتْ وكذلك أَرْجئه على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الأصل فى الضمير " وأَرْجئى " من أَرْجِين كما قرأ نافع فى رواية ورش واسماعيل والكسائى . وأما قراءته فى رواية قالون " أَرْجِهْ فَلَا كُتْفَاءَ بِالْكَسْرِ عَنْهَا " وأما قراءة حمزة وحفص " أَرْجِهْ بِسُكُونِ الْهَاءِ " فلتشبيهه المنفصل بالمتصل وجعل " جه " كإبل فى اسكان وسطه . وأما قراءة ابن عامر " أَرْجئه بالهمزة وكسر الهاء " فلا يرتضيه النحاة ، فَإِنَّ الْهَاءَ لَا تَكْسُرُ إِلَّا إِذَا كَانَ قَبْلَهَا كَسْرَةٌ أَوْ يَاءٌ سَاكِنَةٌ .

(١)

ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياءً أجريت مجراها () .

والشاهد في هذه الآية قراءة ابن عامر بالهمزة وكسر الهاء وهي قراءة لا يرضيها النحاة لأنَّ الهاء عند هم لا تكسر إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة . قال سييويه في الكتاب :

(٢) (فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة ، لأنها خفية) .

وفي قراءة ابن عامر أن الهاء جاءت بعد همزة ساكنة أي أنها لم تأت بعد ياء ساكنة ولا كسرة ومع ذلك جاءت مكسورة ، لذا وصفها العكبري بالضعف حين قال : (ويقرأ بكسر الهاء مع الهمزة وهو ضعيف ، لأن الهمزة حرف صحيح

ساكن فليس قبل الهاء ما يقتضى الكسر) (٣) . ووصفها ابن مجاهد بالوههم

فقال : (قرأ ابن عامر أرجئه - باشباع الضمة في رواية هشام بن عمار مثل أبي عمرو . وفي رواية ابن ذكوان أرجئه بالهمز وكسر الهاء وهمز مرجئون - وترجسى قال أبو بكر - أي ابن مجاهد - وقول ابن ذكوان هذا وهم لأن الهاء لا يجوز كسرها وقبلها همزة ساكنة ، وإنما يجوز إذا كان قبلها ياء ساكنة أو كسرة وأما الهمزة فلا) (٤) .

ووصفها ابن خالويه بالفلط فقال (وروى هشام بن عمار عن ابن عامر أرجئه بالهمز وكسر الهاء وهو عند النحويين غلط ، لأنَّ الكسر لا يجوز في الهاء

(١) تفسير البيضاوي ص ٢١٧

(٢) كتاب سييويه ١٩٥/٤ .

(٣) التبيان في اعراب القراء ٥٨٧/١

(٤) السبعة في القراءات ص ٢٨٨

إذا سكن ما قبلها كقوله (وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي) (١) (٢)

وقد وجه البيضاوي هذه القراءة فقال : إنَّ الهمزة لما كانت تغلب
ياءً أجريت مجراها . ولبعض النحاة توجيهات للآية تخالف توجيه البيضاوي
فعند ابن خالويه أن الهمزة لما كانت ساكنة وسكنت الهاء أيضاً على قراءة
سبعية أدى ذلك إلى التقاء الساكنين ، الهمزة الساكنة والهاء الساكنة
فتمحكت الهاء بالكسر تخلصاً من التقاء الساكنين . قال في الحجة : (له وجه
في العربية وذلك أنَّ الهمزة لما سكنت للأمر ، والهاء بعدها ساكنة على لغة
من سكن الهاء كسرهما لالتقاء الساكنين) (٣) .

ويرى العكبري أن الهاء كسرت تبعاً للجيم وأن الهمزة ليست حاجزاً
حصيناً يمنع الاتباع قال في التبيان : (ووجهه أنه اتبع الهاء كسرة الجيم
والحاجز غير حصين) (٤) .

والتوجيه الذي أراه راجحاً هو توجيه البيضاوي من أن الهمزة أجريت
مجرى الياء فكانت الهاء بعدها مكسورة ، لأن الهمزة كثيراً ما تبدل ياء في
لغة العرب قال سيويه : (واعلم أن كل همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف
مكسور فانك تبدل مكانها ياء في التخفيف وذلك قولك في العثر : مير . وفي يريد
أن يقرئك : يقرئك . من ذلك من غلام يبيك ، إذا أردت من غلام أبيك) (٥) .

(١) سورة طه آية ٣٢

(٢) الحجة في القراءات السبع ص ٦٠

(٣) الحجة في القراءات السبع ص ١٦٠

(٤) التبيان في اعراب القرآن ١/ ٥٨٢

(٥) كتاب سيويه ٣/ ١٤٣ .

ومن أخذ بهذا التأويل أبو حيان بقوله :

(ان الهمز لما كان كثيراً ما يبدل بحرف العلة أجرى مجرى حرف العلة
فى كسر ما بعده)^(١) . واليه ذهب القنوى والألوسى^(٢) .

وفى قوله تعالى : " قَالَ أَبَشِّرْهُنَّ عَلَىٰ أَن مَّسَّنَى الْكِبَرِ فِيمَ تَبْشُرُونَ " ^(٤)

قال البيضاوى : (قرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على
ادغام نون الجمع فى نون الوقاية ، وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون
الجمع استئثالا لاجتماع المثليين ودلالة بقاء نون الوقاية على الياء) ^(٥) .

موضع الشاهد فى الآية هو قراءة نافع تبشرون بكسر النون مخففة

فى آخر المضارع . ونون الرفع فى المضارع لا تجىء مكسورة ، لأن الفعل
المضارع اذا اتصلت به واو الجماعة فانه يرفع بثبوت النون ^(٦) وينصب بحذف النون ^{ويحذف}
وهى نون مفتوحة . والفعل تبشرون فى هذه الآية تجرد عن الناصب والجازم ،
ومع ذلك جاء مكسور النون على قراءة نافع ، والأصل أن تكون النون مفتوحة لأنها
علامة الرفع ولهذا تأولها النحاة . قال أبو حيان : " قرأ الحسن تبشرونسى
بنون مشددة وياء المتكلم ، أدغم نون الرفع فى نون الوقاية وابن كثير يشدها

(١) البحر المحيط ٣٦٠ / ٤

(٢) حاشية القنوى ٢٠٧ / ٣

(٣) روح المعانى ٢٢ / ٣

(٤) سورة الحجر ٥٤

(٥) تفسير البيضاوى ٣٤٨

(٦) شذور الذهب ص ٦٠

مكسورة دون ياء ، ونافع بكسرها مخففة وغلطة أبو حاتم وقال هذا يكون فسى
الشعر اضطراراً (١) .

وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي : (هذه القراءة - يعنى قراءة
نافع - طعن فيها جماعة لبعد مخرجها فى العربية ، لأنَّ حذف النون مع
الياء لا يحسن إلاَّ فى الشعر ، وان قدرت حذف النون الأولى حذفت علم
الرفع لغير ناصب ولا جازم ، ولأنَّ كسر النون التى هى علم الرفع قبيح ، إنما
حقها الفتح ، والاختيار فتح النون والتخفيف ، لأنه وجه الكلام ورتبة الاعراب ،
ولأنَّ عليه أكثر القراءة) (٢) .

وفى توجيه القراءة : اختلف النحاة إلى مذهبين وسبب اختلافهم أن الأصل
فى تبشرون . تبشرونى نون الرفع ونون الوقاية . فحذفت احدى النونين وبقيت
الكسرة علامة على الياء . فمن النحاة من قال إنَّ النون المحذوفة هى نون
الرفع ومنهم من قال : ان النون المحذوفة هى نون الوقاية . قال السيوطى :
(واختلف فى المحذوف فذهب سيبويه أنها نون الرفع ورجحه ابن مالك لأنها
قد تحذف بلا سبب ، ولم يعهد ذلك فى نون الوقاية ، وحذف ما عهد
حذفه أولى ، ولأنها نائبة عن الضمة . وقد عهد حذفها تخفيفاً فى نحو :
" إِنْ اللّٰه يَأْمُرْكُمْ " (٣) ، " وما يَشْعُرْكُمْ " (٤) فى قراءة من يسكن ، ولأنها جزء كلمة ،

(١) البحر المحيط ٥/ ٤٥٨ ط دار الفكر ١٣٦٨ هـ - ١٩٧٨ م

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ص ٣١

(٣) سورة البقرة آية ٦٧ وهى قراءة السوسى عن أبى عمرو

(٤) سورة الأنعام آية ١٠٩ .

ونون الوقاية ، حذف الجزء أسهل ، ولأنه لا يحتاج الى حذف آخر للجازم والناسبه ولا تغيير ثانٍ بكسرها بعد الواو والياء ، ولو كان المحذوف نون الوقاية لاحتيج إلى الأمرين . وذهب أكثر المتأخرين إلى أن المحذوف نون الوقاية ، وعليه الأخفش الأوسط والصغير والمبرد وابن جنى ، وأبو علي ، لأنها لا تدل على إعراب ، فكانت أولى بالحذف ، ولأنها إنما جئ بها لتقسي الفعل من الكسر ، وقد أمكن ذلك بنون الرفع ، فكان حذفها أولى ، ولأنها دخلت لغير عامل ، ونون الرفع دخلت لعامل ، فلو كانت المحذوفة لازم وجود مؤثر بلا أثر مع امكانه المقدّر كالموجود (١)

وتوجيه البيضاوى موافق لتوجيه سيبويه ومن وافقه من أن النون المحذوفة هي نون الجمع في قوله : (وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثليين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء) (٢)

وهو توجيه شديد وقوى وجهته به قراءة سبعية وهي حجة لا يجوز تضعيفها ورميها بالغلط ، ومن توجيه البيضاوى للقرآن التي اعترض عليها النحاة قوله في تفسير قوله تعالى : " حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ " (٣)

قال البيضاوى : (إذا الفجائية تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى :

هذا محذوف
يوسف اصيل

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ١ / ١٢٧ .

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣٤٨

(٣) سورة الأنبياء آية ٩٦ - ٩٧

"إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ" (١) فإذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط
فيتأكد (٢).

والشاهد في الآية وقوع إذا الفجائية مع فاء الجزاء في جواب الشرط
وهو محظور عنده النحاة لأن كل واحدة تنوب مناب الأخرى وكل واحدة عوض
عن الأخرى فلا يجوز الجمع بين العوض والمعوض .

قال سيوييه : (رغم الخليل أن اد خال الفاء على إذا قبيح ، ولو
كان اد خال الفاء على إذا حسناً لكان الكلام بغير الفاء قبيحاً ، فهذا
قد استغنى عن الفاء كما استغنت الفاء عن غيرها فصارت إذا هنا
جواباً لما صارت الفاء جواباً) (٣)

ولهذا عمد النحاة إلى تأويل ، منهم من قال الفاء للتأكيد ،
وهو قول البيضاوى ومن تبعه وقال بعضهم هي عاطفة وقيل غير ذلك قال
في الهمع : (وتلزمها الفاء داخله عليها - يعنى إذا الفائية - واختلف
فيها فقال المازنى : هي زائدة للتأكيد ، لأن إذا الفجائية فيها معنى
الاتباع . ولذا وقعت في جواب الشرط موقع الفاء ، وهذا ما اختاره ابن جنى .
وقال مبرمان : هي عاطفة لجملته إذا ومد خولها على الجملة قبلها . واختاره
الشلوبينى الصغير وأيده أبو حيان بوقوع ثم موقعها في قوله تعالى :
" ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ " (٤) وقال الزجاج : دخلت على حد دخولها

(١) سورة الروم آية ٣٦

(٢) تفسير البيضاوى ص ٤٣٧

(٣) كتاب سيوييه ٦٤/٣

(٤) سورة الروم آية ٢٠

هذا محذوف
بواسطة

في جواب الشرط . وزعم أبو عبيدة أن إذا قد تزداد واستدل بقوله :
(١) حتى إذا أسلكوهم في قتادة . شلا كما تطرد الجمالة الشرذا
قال فزادها لعدم الجواب فكأنه قال : حتى أسلكوهم ، وتأوله ابن جنى على
(٢) حذف جواب إذا .
والقول الذي أراه راجحاً هو جواز الجمع بين الفاء وإذا الفجائية
وهو مذهب الكوفيين قال أبو حيان في البحر المحيط : (ومذهب الكوفيين
(٣) وهم يجيزون زيادة الواو والفاء في " فإذا هي " قاله الجوفى) وهو قول
(٤) (٥) (٦) البيضاوى والألوسى والزمخشري والفخر الرازى وجمهور المفسرين .

.....

هذا محذوف
ليس في الأصل

(١) البيت لعبد بن مناف الهذلي انظر الأمالى ٣١/٢

(٢) همع الهوامع ١٨٢/٣ ، ١٨٣ .

(٣) البحر المحيط ٣٣٩/٦

(٤) روح المعاني ٩٣/٦

(٥) الكشف ٥٨٤/٢

(٦) مفاتيح الغيب ٢٢٢/٢٢

موقف من الاسرائيليات

الاسرائيليات جمع اسرائيلية نسبة إلى إسرائيل بن يعقوب وهى القصة أو الأسطورة أو الحادثة تروى عن أهل الكتاب وغالبيتهم من اليهود (١) وهى من الدخيل على التفسير، وخاصة ما فيه مبالغة ودس وكذب، وللأسف أن كثيراً من كتب التفسير دخلتها هذه الروايات .

والاسرائيليات من ناحية القبول والرد تنقسم إلى ثلاثة أقسام :
قال ابن كثير : (هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فانها على ثلاثة أقسام (أحدها) ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح (والثاني) ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه (والثالث) ما هو مسكون عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته) (٢)
أما البيضاوى فقد كان بصفة عامة يقلل الاسرائيليات

ولا يورد لها إلا أمثلة في تفسير قوله تعالى : " وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِّرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدَاً وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) " (٣)

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٣٥١ تعليق الأستاذ أمين الخولى ، تحت مادة : تفسير

(٢) سورة الاسراء الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٤٠٠

قال : " سَلَطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْفَرَسَ مَرَّةً أُخْرَى ففُتِزَاهُمْ مَلِكُ بَابِلَ
مِنْ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ اسْمُهُ جُودَرْنٌ وَقِيلَ حَرْدُوسٌ ، قِيلَ دَخَلَ صَاحِبُ الْجَيْشِ
مَذْبَحَ قَرَابِينِهِمْ فَوَجَدَ فِيهِ دَمًا يَغْلَى فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا دَمُ قَرِيانٍ لَمْ يَقْبَلْ
مِنَّا، فَقَالَ مَا صَدَقُونِي، فَقَتَلَ عَلَيْهِ أَلُوفًا مِنْهُمْ فَلَمْ يَهْدَأِ الدَّمُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ لَمْ
تَصْنُدْ قَوْنِي مَا تَرَكْتُ مِنْكُمْ أَحَدًا، فَقَالُوا إِنَّهُ دَمُ يَحْيَى فَقَالَ لِمَثَلِ هَذَا يَنْتَقِمُ
رَبُّكُمْ مِنْكُمْ ، ثُمَّ قَالَ يَا يَحْيَى قَدْ عَلِمَ رَبِّي وَرَبُّكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ مِنْ أَجْلِكَ فَاهْدَأْ
بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ لَا أَبْقَى أَحَدًا مِنْهُمْ فَهَذَا (١) .

وقال ابن كثير : (وقد روى ابن جرير في المكان حديثاً أسنده عن
حديثه مرفوعاً مطولاً، وهو حديث موضوع لا محالة لا يستترين في ذلك من عنده
أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره
وامامته، وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزني رحمه الله، بأنه
موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب (٢) . وقد وردت في هذا آثـار
كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها، لأنَّ منها ما هو موضوع من وضع
بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً ونحن في غنيه/ولله الحمد (٣) .

وأما ما رواه البيضاوي في ذلك فقد أخرجه ابن جرير قال : (حدثني
يونس بن عبد الأعلى . حدثنا ابن وهب . أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى
بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر بختنصر على الشام

(١) تفسير البيضاوي ص ٣٠١

(٢) تفسير الطبري ١٥/١٢

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٢٥

فخرب بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلى على كبا
فسألهم ما هذا الدم : فقالوا : أدركنا آبائنا على هذا ، وكلما ظهر عليه
الكبا ظهر ، قال فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم
فسكن^(١) قال ابن كثير : (وهذا صحيح إلى سعيد^(٢) المسيب وهذا هو

المشهور)^(٣) وقد أتى البيضاوي بهذه الرواية ونزل

أخباراً كثيرة واسرائيليات عديدة في هذا الموضع لم يلتفت إليها .

وفي موضع آخر نجد البيضاوي يستخف بالروايات الاسرائيلية ثم يؤولها
على ما يراه . ففي قوله تعالى : " وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ
سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ
عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ . وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا
نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ . فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ
بَضَّارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ
عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ " (٣)

(١) تفسير الطبري ٣٠ / ١٥

(٢) تفسير ابن كثير ٢٥ / ٣

(٣) سورة البقرة آية ١٠٢

قال البيضاوى عن هاروت وماروت : (هما ملكان أنزلا لتعليم السحرة ابتلاء من الله للناس وتمييزاً بينه وبين المعجزة . وما روى أنهما مُثَلَّان بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدتا الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر) . (١)

وخبر هاروت وماروت منقول من كتب بنى إسرائيل كما قال ابن كثير ، بعد أن أورد بعض الروايات عن ابن جرير وابن ابى حاتم فكلها ترجع الى كعب الأخبار نقلها من كتب بنى إسرائيل . (٢)

وفى موضع آخر نجد البيضاوى يبدأ بذكر الصحيح من الروايات وأشهرها ، ولكنه يأتى ويذكر الضعيف منها بعد ذلك ولا ينبه على ضعفه ولكن يذكره بلفظ قيل ، ففى تفسير قوله تعالى : " وَلَقَدْ قَتْنَا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " . (٣) قال البيضاوى : (وأظهر ما قيل فيه ما روى مرفوعاً أنه قال : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا . وقيل ولأله ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحاب)

(١) تفسير البيضاوى ص ٣٨

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ١٣٨

(٣) سورة ص آية ٣٤ ، ٣٥

فما شعر الا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه بأن لم يتوكل على الله .
وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته جراده فأحبها
وكان لا يرقا د معها جزعاً على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت
تغدو إليها وتروح مع ولاتها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فأخبره
آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج إلى الفلاة باكياً متضرعاً وكانت له
أم ولد اسمها أمينة إذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فأعطاها
يوماً فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر، وأخذ الخاتم وتختم به وجلس على
كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان
عن هيئته فأتاها لطلب الخاتم فطرده فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان
يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوماً عدد ما عبدت الصورة ففى
بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعت سمكة فوقعت في يده
فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد إليه الملك (١) .

أورد البيضاوى في تفسير هذه الآية ، الحديث الصحيح والضعيف من
قصص الاسرائيليات ، فبدأ بالحديث الصحيح (لأطوفن الليلة) فقد أخرجه
البخارى في كتاب الأنبياء فقال : (حدثنا خالد بن مخلد . حدثنا مغيرة بن
عبد الرحمن . عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " قال سليمان
ابن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد فى
سبيل الله . فقال له صاحبه : إن شاء الله فلم يقل ولم تحمل شيئاً إلا واحداً
ساقطاً احدى شقيه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو قالها لجاهدوا

(١) تفسير البيضاوى ص ١٤٩ .

(١)

فى سبيل الله) .

وأما الحديث الذى أثبت أن له ابناً قتلته الشياطين فألقته على الكرسي ، فقد ذكره السيوطى فى الدر المنثور فقال : (اخرج الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه بسندٍ ضعيفٍ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وَلَدٌ لِسُلَيْمَانَ وَلَدَ فَقَالَ لِلشَّيْطَانِ : تَوَارِيهِ مِمَّنْ الْمَوْتُ ؟ قَالُوا نَذْهَبُ بِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ . فَقَالَ يَصِلُ إِلَيْهِ الْمَوْتُ . قَالُوا فَالْى الْمَغْرِبِ . قَالَ يَصِلُ إِلَيْهِ . قَالُوا إِلَى الْبَحَارِ . قَالَ يَصِلُ إِلَيْهِ الْمَوْتُ . قَالَ نَضَعُهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ : إِنِّى أُمِرْتُ بِقَبْضِ نَسَمَةٍ طَلَبْتَهَا فِى الْبَحَارِ ، وَطَلَبْتَهَا فِى تَخُومِ الْأَرْضِ . فَلَمْ أَصِبْهَا ، فَبَيْنَمَا أَنَا صَاعِدٌ أَصِيبْتُهَا ، فَقَبِطْتُهَا ، وَجَاءَ جَسَدُهُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ ، فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ " وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ " (٢)

وأما الخبر الأخير فيما يتعلق بقصة خاتم سليمان ، فقد كثرت فيه الروايات وتنوعت القصص . وذكرت فيها حوادث وغرائب لا تليق بالأنبياء . قال ابن كثير بعد ذكره لعدد من الروايات فى هذه القصة : " إسناده إلى ابن عباس رضى الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان فى هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء ، فإنَّ المشهور عن مجاهد وغير واحدٍ من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصمه —

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب أحاديث الأنبياء ٢٧٠ / ٧ ، ومسلم

فى كتاب الايمان والندور باب الاستثناء فى اليمين وغيرها ١١٨ / ١١ صحيح

مسلم بشرح النووى .

(٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١٨١ / ٧ ، ١٨٢ .

عز وجل منه تشریفاً وتكريماً لنبيه عليه السلام . وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من - السلف رضى الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متفقة من قصص أهل الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب . (١)

وأما النوع الثالث من الاسرائيليات وهو المتوقف فيه . فقد أورد البيضاوى منه نماذج ، منها ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِنَّ قَرِبَا قُرْبَانَا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْهُوَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) "

قال البيضاوى : (ابنى آدم قابيل وهابيل أوحى الله سبحانه وتعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لأن توأمة كانت أجمل ، فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها . فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطاً وفعل ما فعل . وقيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب عجلًا سمياً . وتوعد أخوه بالقتل لغرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال إنما يتقبل الله من المتقين فى جوابه

(١) تفسير ابن كثير ٦٢/٦

(٢) سورة المائدة الآيات من ٢٧ الى ٣١

أى إِنَّمَا أُتَيْتَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِكَ بِتَرْكِ التَّقْوَى ، لَا مِنْ قَبْلِي ، فَلِمَ تَقْتُلْنِي ؟ وفيه إشارة إلى أَنَّ الحاسد ينبغي أَنْ يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً ، لَا في إزالة حظه . في ذلك مما يضره ولا ينفعه ، وَأَنَّ الطاعة لَا تقبل إِلَّا مِنْ مُؤْمِنٍ مُتَّقٍ . قيل كَانَ هَابِيلَ أَقْوَى مِنْهُ وَلَكِنْ تَخَرَّجَ عَنْ قَتْلِهِ وَاسْتَسْلَمَ لَهُ ، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لِأَنَّ الدَّفْعَ لَمْ يَبِحْ بَعْدُ ، أَوْ تَحْرِياً لِمَا هُوَ أَفْضَلُ . روى أَنَّ قَابِيلَ لَمَّا قَتَلَ هَابِيلَ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَدْرَ مَا يَصْنَعُ بِهِ ، إِذْ كَانَ أَوَّلَ مَيِّتٍ مِنْ بَنِي آدَمَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابَيْنِ فَاقْتَتَلَا فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ ، فَحَفَرَ لَهُ بِمَنْقَارِهِ وَرَجَلَيْهِ ثُمَّ أَلْقَاهُ فِي الْحُفْرَةِ . قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأَوَارِي سِوَاةَ أَخِي ، أَيْ لَا أَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ مَا أَهْتَدَى إِلَيْهِهِ وَالْمَعْنَى يَا وَيْلَتَى أَحْضَرِي فِهَذَا أَوَانُكَ ، وَالْوَيْلُ وَالْوَيْلَةُ الْهَلَكَةُ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ عَلَى قَتْلِهِ لِمَا كَابَدَ فِيهِ مِنَ التَّحَيَّرِ فِي أَمْرِهِ وَحَمَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ عَلَى مَا قِيلَ ، وَتَلَمَّذَتْهُ لِلْغُرَابِ وَاسْوَدَّادَ لَوْنُهُ وَتَبَرَّأَ أَبَوَيْهِ مِنْهُ ، إِذْ رَوَى أَنَّهُ لَمَّا قَتَلَ أَسْوَدَ جَسَدَهُ فَسَأَلَهُ آدَمُ عَنْ أَخِيهِ فَقَالَ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا فَقَالَ بَلْ قَتَلْتَهُ ، وَلِذَلِكَ اسْوَدَّ جَسَدُكَ وَتَبَرَّأَ مِنْهُ ، وَمَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ مِائَةَ سَنَةٍ لَا يَضْحَكُ ، وَعَدَمَ الظُّفْرَ بِمَا فَعَلَهُ مِنْ أَجْلِهِ (١) .

وأورد ابن كثير في هذه القصة روايات كثيرة عن السدي وابن عباس وغيرهما ،

أخرجهما ابن جرير وابن اسحاق وابن أبي حاتم وغيرهم . نذكر منها : " روى محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول أَنَّ آدَمَ أَمَرَ ابْنَهُ قَابِيلَ أَنْ يَنْكِحَ أخته تَوَامَةَ هَابِيلَ ، وَأَمَرَ هَابِيلَ أَنْ يَنْكِحَ أخته تَوَامَةَ قَابِيلَ ، فَسَلَّمَ لَذَلِكَ هَابِيلَ وَرَضِيَ ، وَأَبَى ذَلِكَ قَابِيلَ وَكَرِهَ تَكْرَمًا عَنْ أخته هَابِيلَ ، وَرَغِبَ بِأخته عَنْ هَابِيلَ

(١) تفسير البيضاوي بتصريف ١٤٨ ، ١٤٩ .

وقال نحن من ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختي ، ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قابيل من أحسن الناس ، فضن بها على أخيه وأرادها لنفسه والله أعلم أى ذلك كان فقال له أبوه : يا بنى انهما لا تحل لك فأبى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه . قال له أبوه : يا بنى قرب قربانا ويقرب أخوك هابيل قربانا ، فأيكما تقبل قربانه فهو أحقُّ بها . وكان قابيل على بذر الأرض ، وكان هابيل على رعاية الماشية ، فقرب قابيل قمحاً وقرب هابيل أبقاراً من أبقار غنمه وبعضهم يقول قرب بقرة ، فأرسل الله ناراً بيضاء ، فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، وبذلك كان يقبل القربان (١) إذا قبله " ومنها ما رواه محمد بن إسحاق فقال : " عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : لما قتله سقط في يده - يعنى هابيل - ولم يدرى كيف يواريه ، وذلك أنه كان فيما يزعمون أول قتيل في بنى آدم ، وأول ميت (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سواة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سواة أخى فأصبح من النادمين) قال وزعم أهل التوراة أن قابيل لما قتل أخاه هابيل ، قال الله عز وجل : يا قابيل أين أخوك هابيل ؟ قال ما أدري ما كنت عليه رقيباً ، فقال الله : إِنْ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ لَيَنَادِيَنِي مِنَ الْأَرْضِ الْآنَ ، أَنْتَ مَلْعُونٌ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي فَتَحْتَ فَاهَا فَتَلْقَتْ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ ، فَإِنَّ أَنْتَ عَمِلْتَ فِي الْأَرْضِ فَإِنَّهَا لَا تَعُودُ تَعْطِيكَ حَرْثَهَا حَتَّى تَكُونَ فَرْعاً تَائِهَا فِي الْأَرْضِ " (٢)

(١) تفسير ابن جرير ٢٠٦ / ١٠

(٢) تفسير ابن كثير ٥٥٠ / ٢

هكذا يورد البيضاوى الروايات والقصص الاسرائيلية بحذر فينبه على بعضها ويترك الأخرى ويختصر البعض ويذكر الصحيح فى كثير من الأحيان . وعلى العموم فالحذر من الروايات الاسرائيلية واجب وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من سؤال أهل الكتاب . وبوب البخارى لذلك فقال : " باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء " . (١)

والروايات الاسرائيلية ترجع إلى اليهود والنصارى ومن أصحابها ما روى عن كعب الأحبار ولكنه كان يخطئ فى بعض الأحيان ، لذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقفون فى ذكر الروايات الاسرائيلية حتى ولو كانت من كعب الأحبار . روى البخارى فقال : " قال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال : إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب " . (٢) ومعنى لنبلو عليه الكذب أى نتوقف ونختبر حديثه إن كان فيه خطأ أم لا . ولانتهمه بالكذب . قال السندى فى حاشيته على البخارى : " قوله لنبلو أى لنختبر وقوله عليه أى على كعب يعنى كان يخطئ فى بعض الأحيان ولم يرد أنه كذاب " . (٣)

والحق الذى بينه النبى صلى الله عليه وسلم . أن يكون مصدرنا فى التفسير وغيره كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء من أقوال الصحابة

(١) صحيح البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٢٧٠ / ٤

(٢) صحيح البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٢٧٠ / ٤

(٣) حاشية السندى على صحيح البخارى بالكتاب والسنة ٢٧٠ / ٤

والتابعين^(١) وأما ما جاء من أهل الكتاب فما وافق شرعنا أخذناه وما خالف تركناه غير أننا نؤمن بما أنزل إلينا وما أنزل إليهم قبل أن يدخله التبديل والتحريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل اليكم الآية " .^{(١) (٢)}

أما ما ورد في كتب التفسير من هذه الروايات في المفسرين من يذكر بعضها وينبئ عليه كابن كثير^(٢) ومنهم من يذكرها من غير تنبيه كالطبري والسيوطي والبغوي^(٣) ومنهم من يضرب الذكر عنها صفحاً في كثير من الروايات كالبيضاوي وكثير من كتب التفسير بالرأى .

.....

(١) سورة البقرة آية ٣٦

(٢) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٤ / ٢٧٠

الفصل الثالث

علوم القرآن في تفسيره

- ١- أسباب النزول .
- ٢- النسخ والمنسوخ .
- ٣- العام والخاص .
- ٤- الإعجاز البياني .
- ٥- موهم الاختلاف .

علوم القرآن فى تفسيره

علوم القرآن كثيرة ومتشعبة تحدث عنها القدماء والمحدثين فمنهم من أجمل فيها ومنهم من فصل ، وكل تحدث حسب تخصصه ومنهم من تناول آيات القرآن من جهة الحكم الشرعى ومنهم من تحدث فى البلاغة والفصاحة ومنهم من تناول الأحاديث التى تتعلق به من حيث التفسير وسبب النزول الى غير ذلك قال السيوطى : (وان كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها ، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شئ ، وأبان فيه كل هدى وغى ، فترى كل ذى فن منه يستمد ، وعليه يعتمد . فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام . والنحوى يبنى منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه فى معرفة خطأ القول من صوابه والبيانى يهتدى به الى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة فى صوغ الكلام ، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولى الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار ، الى غير ذلك من العلوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها) (١)

وقد ذكر جلال الدين السيوطى ثمانين نوعاً من هذه العلوم ، وتحدث عن كل نوع وأجزأ ذكر الأمثلة ، وساق الشواهد . وقد سبق السيوطى الزركشى وتحدث عن علوم القرآن وذكر منها ما يفتح الأذهان ، ويرشد إلى كنوز القرآن ، إلى غير ذلك مما ذكره المفسرون فى تفاسيرهم ، وما ذكره النحويون فى كتبهم .

و أمّا تفسير البيضاوى / ^{فقد جاء} حافلاً بعلوم القرآن . جمع فيه أقوال السابقين من الفقهاء والمحدثين والنحويين بايجاز غير مخل ، واختصار يؤدى إلى المعنى المقصود ،

ويبين ما أشار إليه القرآن من العلوم السامية والحكم الراقية والنكت العجيبة ،
والحقائق التي يقف دونها أرباب العقول . كأسباب النزول ، والناسخ
والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ،
الحقيقة والمجاز ، والاستعارة ، والأمثال ، والتعريض والكناية ، والخبر
والإنشاء ، والأقسام ، والجدل وفضائل القرآن ، وموهم التعارض والاختلاف
إلى غير ذلك من علوم القرآن . ولحصول الفائدة فأننا نختصر على ذكر أمثلة
منها يتضح من خلالها منهج البيضاوى فى تناوله لعلوم القرآن فنذكر منها :
١- أسباب النزول : -

وأسباب النزول تناوله المفسرون فى تفسيرهم وذكره عند تفسير الآيات ،
وأفرد به بعضهم فى كتب مستقلة ذكرها السيوطى فى الاتقان فقال : (أفرد به
بالتصنيف جماعة أقدمهم على بن المدينى شيخ البخارى ، ومن أشهرها كتاب
الواحدى على ما فيه من اعواز ، وقد اختصره الجعبرى فحذف أسانيدَه ولم
يزد عليه شيئاً . وألف فيه شيخ الاسلام أبو الفضل بن حجر كتاباً مات عنه
مسودة فلم نقف عليه كاملاً ، وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف
مثله فى هذا النوع سميت له باب النقول فى أسباب النزول) (١) .

ولأسباب النزول فوائد جمعة غير أنها تفسر الآيات وتخصص الحكم وتزيل
الأشكال إلى غير ذلك قال السيوطى : (منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على
تشريع الحكم . ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .
ومنها أن اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه فإذا عُرِفَ السبب قصر

(١) الاتقان فى علوم القرآن

التخصيص على ما عدا صورته فَإِنَّ د خول صورة السبب قطعى واخراجها
بالاجتهاد ممنوع كما حكى الاجماع عليه القاضى أبوبكر فى التقريب ، والالتفات
إلى مَنْ شَذَّ فَجَوَّزَ ذلك . ومنها الوقوف على المعنى وإزالة الأشكال . قال
الواحدى لا يمكن معرفة تفسير الآية د ون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .
وقال ابن د قيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى
القرآن . وقال ابن تيمية معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فَإِنَّ العلم
بالسبب يورث العلم بالسبب وقد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى :
” لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا
تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ” (١) وقال لئن كان كل امرئ
فرح بما أوتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين حتى بين
له ابن عباس أن الآية نزلت فى أهل الكتاب حين سألهم النبى صلى الله عليه
وسلم عن شئ فكتموه إياه وأخبروه بغيره وآروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه ،
واستحمدوا بذلك إليه أخرجه الشيخان ، وحكى عن عثمان بن مظعون وعمر بن
معدى كرب أنهما كانا يقولان : الخمر مباحة ويحتجبان بقوله تعالى ” لَيْسَ عَلَى
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ” (٢)

(١) سورة آل عمران آية ١٨٨

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ٣٠١/٩ ، ومسلم فى كتاب صفات
المنافقين وأحكامهم ١٢٤/١٧

(٣) سورة المائدة آية ٩٤ .

ولو علما سبب نزولها لم يقولوا ذلك وهو أن ناساً قالوا لما حرّمت
 الخمر، كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس ؟
 فنزلت أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما . (١) ومن ذلك قوله تعالى : " وَاللَّائِي
 يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ " . (٢) فقد
 أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الأيسة
 لها عدة عليها إذا لم ترتب . وقد بين ذلك سبب النزول وهو أنه لما نزلت
 الآية التي في سورة البقرة في عدد النساء، قالوا قد بقي عدد من عدد النساء
 لم يذكرن الصغار والكبار فنزلت أخرجه الحاكم عن أبي (٣) ، فعلم بذلك أن الآية
 خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن في العدة وارتاب هل عليهن عدة أو لا، وهل
 عدتهن كالآتي في سورة البقرة أو لا؟ فمعنى إن ارتبتم . ان أشكل عليكم حكمهن
 وجهلتم كيف يعتدون فهذا حكمهن . ومن ذلك قوله تعالى " فَأَيْنَمَا تُولَّوْا
 فَشِمَّ وَجْهُ اللَّهِ " . (٤) فانا لو تركنا ومدلول اللفظ لا يقتضي أن المصلي لا يجب
 عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً وهو خلاق الاجماع فلما عُرِفَ سبب نزولها
 علم أنها في نافلة السفر، أو فيمن صلى بالاجتهاد، وبأن له الخطأ على اختلاف
 الروايات في ذلك . ومن ذلك قوله : " إِنْ الصَّغَا وَالْمَرْؤَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ
 فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا " الآية (٥) . فَإِنَّ ظَاهِرَ

(١) أخرجه الترمذی فی کتاب أبواب التفسیر ٣٢١/٤

(٢) سورة الطلاق آية ٤

(٣) المستدرک علی الصحیحین کتاب التفسیر ٤٩٢/٢ ، ٤٩٣

(٤) سورة البقرة آية ١١٥

(٥) سورة البقرة آية ١٥٨ .

لفظها لا يقتضى أن السعى فرض وقد ذهب بعضهم الى عدم فرضيته
تمسكا بذلك ، وقد ردت عائشة على عروة فى فهمه ذلك بسبب نزولها وهو
أن الصحابة تأثموا من السعى بينما لأنه من عمل الجاهلية فنزلت (١) ومنها
دفع توهم الحصر قال الشافعى ما معناه فى قوله تعالى " قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا
أَوْحَى إِلَىٰ مَحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ
خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلْيَنْ
رَبِّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (٢) . ان الكفار لما حرّموا ما أحلّ الله وأحلّوا ما حرّم
الله وكانوا على المضادة والمحادّة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال :
لا حلال إلّا ما حرّمتموه ولا حرام إلّا ما أحللتّموه نازلا منزلة من يقول لا تأكل
اليوم حلاّة فتقول لا أكل اليوم إلّا حلاوة والغرض المضادة لا النفى والاثبات
على الحقيقة فكأنه تعالى قال : لا حرام الا ما أحللتّموه من الميتة والدم
ولحم الخنزير وما أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ولم يقصد حل ما وراءه ان القصد اثبات
التحريم لا اثبات الحل . قال إمام الحرمين وهذا فى غاية الحسن ولو لا
سبق الشافعى إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك فى حصر المحرمات فيما
ذكرته الآية . ومنها معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها ، ولقد
قال مروان فى عبد الرحمن ابن ابى بكر انه الذى أنزل فيه " والذى قال
لوالديه أف لكما " . حتى ردت عليه عائشة وبيّنت له سبب نزولها " قالت والله

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب الحج باب وجوب الصفا

والعروة ٣/٣٩٢ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٥ .

ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته " (١)

وأما منهج البيضاوى فى أسباب النزول ورواياتها فقد جاء على ثلاثة أقسام :

- ١ - قسم "ورد فى الصحيحين .
- ٢ - قسم "يوافق ما فى الصحيحين .
- ٣ - قسم "يخالف ما ورد فى الصحيحين .

أما القسم الأول فنورد له أمثلة . منها ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى : " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . الآية " (٢) قال البيضاوى : (يريد ما ملكت أيمانكم من اللاتى سُبَيْنَ ولهنَّ أزواجٌ كُفَّارٌ ، فهن حلال للسابِين والنكاح مرتفع بالسبى) لقول أبى سعيد : " أصبنا سبياً يوم أُوطاس (٣) ولهنَّ أزواجٌ فكرهنا أَنْ نَقَعَ عليهن فسالنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية " (٤) .

وحدث أبى سعيد رواه مسلم فقال : (حدثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريرى حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن صالح أبى الخليل عن أبى علقمة الهاشمى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بعث جيشاً إلى أوطاس فلقوا عدواً فقاتلوهم فظهروا عليهم وأصابوا لهم سباياً فكان ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم تخرجوا من غشيانهم من أجل أزواجهن من المشركين فأنزل

(١) الاتقان فى علوم القرآن ٢٨/١ ، ٢٩٠

(٢) سورة النساء آية ٢٤

(٣) أوطاس موضع عند الطائف .

(٤) تفسير البيضاوى ص ١٠٨

الله عز وجل في ذلك " والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيامنكم " أي
فهن لكم حلال اذا انقضت عدتهن (١)

والمراد بقوله "انقضت عدتهن" أي استبراهن، وهى بوضع الحمل عن
الحامل وبحيضة من الحائض، واختلف العلماء في نكاح السبايا من عبدة
الأوثان هل يجوز قبل إسلامهن أم لا؟ قال النووي : (اعلم أن مذهب
الشافعى ومن قال بقوله من العلماء أن المسبية من عبدة الأوثان وغيرهم من
الكفار الذين لا كتاب لهم لا يحل وطؤها بملك اليمين حتى تسلم فما دامت
على دينها فهى محرمة، وهؤلاء المسبيات كن من مشركى العرب عبدة الأوثان)
فيقول هذا الحديث وشبهه على أنهم أسلمن، وهذا التأويل لا بد منه والله
أعلم (٢)

ومنها ما جاء في سبب نزول قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ
مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (٣)

قال البيضاوى : (روى أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة أو حفصة)
فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرّم مارية فنزلت وقيل شرب عسلاً عند
حفصة فوطأت عائشة سودة وصفية، فقلت له انا نشتم منك رائحة المغافير (٤)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الرضاع باب جواز وطء المسبية ١٠ / ٣٤ ، ٣٥

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم كتاب الرضاع باب جواز وطء المسبية ١ / ٣٥ ، ٣٦

(٣) سورة التحريم آية ١

(٤) المغافير جمع مغفور بضم أوله وهو صمغ " حلّوله رائحة كريهة .

فَحَرَّمَ الْعَسَلَ فَتَزَلَّتْ^(١) .

والرواية الثانية أخرجها البخارى فى صحيحه فقال : (حدثنا فردة بن أبى المفراء حدثنا على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلوى ، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نساءه فيدنو من إحداهن ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ، فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى : أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل^(٢) ، فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة . فقلت أما والله لنحتالن له ، فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك ، فإذا دنا منك فقللى : أكلت مغافير ؟ فإنه سيقول لك لا فقللى له ما هذه الريح التى أجد منك ؟ فإنه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل ، فقللى له جرس نحل العرْفُط^(٣) ، وسأقول ذلك . وقولى أنتِ يا صفية ذاك . قالت تقول سودة : فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتنى به فرقا منك . فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول الله أكلت مغافير ؟ قال لا ، قالت : فما هذه الريح التى أجد منك ؟ قال سقتنى حفصة شربة عسل . فقالت جرس نحل العرْفُط فلما دار إلى قلت له نحو ذلك . فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك . فلما دار إلى حفصة قالت يا رسول الله : ألا أسقيك

(١) تفسير البيضاوى ص ٧٤٥

(٢) العكه بضم العين وتشديد الكاف أصغر من القرية للسمن وهو رقيق صغير وجمعها عكاك وعكاك بضم العين وفتحها انظر لسان العرب فصل العين حرف

الكاف ٣٥٦/١٢ .

(٣) العرْفُط بضم المهملة والفاء بينهما راء ساكنة وآخره طاء مهملة هو الشجر الذى صمغه المغافير .

منه ؟ قال لا حاجة لى فيه . قالت تقول سودة والله لقد حرماه قلت لهما
أسكتى (١)

ومنها ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى : " وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا
انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا . قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ " (٢) قال البيضاوى (روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب
للجمعة فمرت غير تحمل الطعام فخرج الناس إليهم إلا اثني عشر فنزلت (٣)

والحديث أخرجه البخارى فقال : (حدثنى محمد قال حدثنى محمد بن فضيل
عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر رضى الله عنه قال : أقبلت غير
ونحن نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم الجمعة ، فانفض الناس إلا اثني عشر
رجلاً فنزلت هذه الآية . " وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا " (٤)

وأما ما جاء موافقاً لما فى الصحيحين فمعه ما جاء فى سبب نزول قوله
تعالى : " أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ
لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ . الآية " (٥)

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب الطلاق ٣٢٤/٩ ، ٣٢٥

(٢) سورة الجمعة الآية ١١

(٣) تفسير البيضاوى ص ٧٣٦

(٤) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب البيوع ٣٠٠/٤

(٥) سورة البقرة آية ١٨٧ .

قال البيضاوى : (روى أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حلّ لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا) ثم إن عمر رضى الله تعالى عنه باشر بعد العشاء فندم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت (١).

والحديث رواه البخارى بمعناه فى كتاب الصوم وكتاب التفسير مع اختلاف فى الألفاظ ، فقال فى كتاب الصوم : (حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسراييل عن أبى إسحاق عن البراء رضى الله عنه قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ، ولا يومه حتى يمسى . وإن قيس بن حزمة الأنصارى كان صائماً ، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها أعندك طعام ؟ قالت لا ، ولكن انطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل ، فغلبته عيناه ، فجاءته امرأته ، فلما رآته قالت خيبة لك ، فلما انتصف النهار غشى عليه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية . (أُلْحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ * ففرحوا بها فرحاً شديداً ، ونزلت * وكلوا وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود * . (٢)) يبدو واضحاً من رواية البخارى أن معنى سبب النزول لا اختلاف فيه ، وهو أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يواصلون الصوم إذا صلوا العشاء الآخرة أو رقدوا ، وهو متفق عند البيضاوى والبخارى ، ولكن جاءت فى البخارى زيادة قصة قيس بن حزمة الأنصارى وما حدث له حين نام قبل أن يفطر .

(١) تفسير البيضاوى ص ٣٩

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب الصوم ٤ / ١٢٩ .

وأما ما أورده البخارى فى كتاب التفسير قال فيه : (حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء ح وحدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة قال حدثنى إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء رضى الله عنه : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون أنفسهم ، فأنزل الله " علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم " (١)

وجاءت فى تفسير البيضاوى زيادة فى سبب النزول وهى قصة عمر رضى الله عنه حين باشر بعد العشاء وهذه الزيادة رواها أحمد والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل قال : (أحل الصيام ثلاثة أحوال : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصيام يوم عاشوراء ، ثم إن الله فرض عليه الصيام فأنزل الله : " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم الى هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً ، فأجزى ذلك عنه ثم ان الله أنزل الآية الأخرى " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس الى قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض وللمسافر وشبث الاطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام فهذا ان حولان كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا ثم ان رجلاً من الأنصار يقال له حرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى فجاء الى أهله ف صلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب التفسير ١٨١ / ٨ .

فأصبح صائماً قال فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهداً شديداً
 قال مالي أراك قد جهدت جهداً شديداً، قال يا رسول الله انى عملت أمس
 فجئت حين جئت فألقيت نفسي فتمت وأصبحت صائماً . وكان عمر قد أصاب
 من النساء من جارية أو حرة بعد ما نام، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
 ذلك له، فأنزل الله أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائك إلى قوله ثم أتموا
 (١)
 الصيام الى الليل . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .
 ومن الموافق لما فى الصحيحين ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى : " وَلَا تُكْرِهُوا
 فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ
 فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (٢) . قال البيضاوى : (كانت لعبد الله
 ابن أبى ست جوارٍ يكرههنَّ على الزنا وضرب عليهن الضرائب، فشكا بهضهن إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت) (٣)
 وجاء سبب النزول عند مسلم بمعناه فقال : (حدثنى أبو كامل الجحدري حدثنا
 أبو عوانة عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبى ابن
 سلول يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة فكان يكرههما على الزنا فشكنا ذلك
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله لا تكرهوا فتياتكم على البغاء إلى قوله
 (٤)
 غفور رحيم).

(١) مستدرك الحاكم كتاب التفسير ٢/٢٧٤ . وأخرجه أحمد فى مسند ٥٠/٢٤٦ ،

٢٤٧

(٢) سورة النور آية ٣٣

(٣) تفسير البيضاوى ص ٥٨

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التفسير ١٨/١٦٣ .

ومن الموافق لما فى الصحيحين ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى :
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
 بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ
 يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (١) .

قال البيضاوى : (روى أن ثابت بن قيس كان فى أذنه وقر وكان جهورياً فلما
 نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقد ه ودعاه فقال يا رسول الله :
 لقد أنزلت إليك هذه الآية وانى رجلٌ جهير الصوت فأخاف أن يكون على قد
 حبط فقال عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك
 من أهل الجنة . ثم قال البيضاوى قيل كان أبو بكر وعمر بعد ذلك يسرانـه
 حتى يستفهمهما (٢) .

وقد أورد البخارى فى سبب نزول الآية حديثين يوافقان ما أورد ه البيضاوى
 مع زيادة فى التوضيح الأول ما جاء فى شأن أبى بكر وعمر والثانى ما جاء فى
 قصة ثابت بن قيس . قال البخارى فى الحديث الأول : (حدثنا يسرة بن
 صفوان بن جميل اللخمي : حدثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبى مليكة قال :
 كاد الخمران أن يهلكا : أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، رفعاً أصواتهما عند
 النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركبٌ بنى تميم فأشار أحدهما بالأقرع
 ابن حابس أخى بنى مجاشع . وأشار الآخر برجل آخر ، قال نافع لا أحفظ

(١) سورة الحجرات آية ٢ ، ٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٩٧ .

اسمه ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي . قال ما أردت خلافتك
فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
الآية قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر (١) .

وأما حديث ثابت بن قيس فقد قال فيه البخاري : (حدثنا علي بن
عبد الله . حدثنا أزهر بن سعد : أخبرنا ابن عون قال أنبأني موسى بن أنس
عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن
قيس فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده جالسا في بيته
منكسا رأسه . فقال له ما شأنك ؟ فقال شر ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي
صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو من أهل النار فأتى الرجل النبي صلى الله
عليه وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا ، فقال موسى فرجع اليه المرة الآخرة ببشارة
عظيمة . فقال ان هب إليه فقل له انك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل
الجنة) (٢) .

تلك أمثلة من الروايات التي أتى البيضاوي فيها بما جاء في الصحيحين
وأخرى توافق ما جاء في الصحيحين وتحمل المعنى الذي تدل عليه رواية
الصحيحين .

وأما القسم الثالث هو الروايات التي أورد ها البيضاوي في أسباب النزول
تخالف رواية الصحيحين ونذكر منها أمثلة : -

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب التفسير ٢١٣ / ١٠

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب التفسير ٢١٣ / ١٠ ، ٢١٤

منها ما جاء في سبب نزول قوله تعالى : " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " (١) .

قال البيضاوى : (نزل في عبد الله بن سوريا يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ينزل عليه فقال جبريل ، فقال ذاك عدونا عادانا مرارا ، وأشد ها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرجه بختنصر ، فبعثنا من يقتله فرآن ببابل فدفع عنه جبريل ، وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه ، وإلا بما تقتلونهم ؟ . وقيل دخل عمر رضى الله عنه مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل ، فقالوا ذاك عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وأنه صاحب كل خسف وعذاب ، وميكائيل صاحب الخصب والسلام ، فقال وما منزلتهما من الله ، قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، وبينهما عداوة ، فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ، ولانتم أكفر من الحمير ، ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله ، ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر) (٢) .

وأما ما ورد في البخارى فهو يخالف ما ذكره البيضاوى في سبب نزول الآية وقد علمنا أن البيضاوى قال : أن الآية نزل في عبد الله بن سوريا وقال البخارى أنها نزلت في عبد الله بن سلام . قال البخارى : (حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر حدثنا حميد عن أنس قال : سمع عبد الله بن سلام بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أرضي بختر ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني سألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي :

(١) سورة البقرة آية ٩٧

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٠

فما أول أشرطة الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال أخبرني بهن جبريل أنفاً . قال جبريل ؟ قال نعم . قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة . فقرأ هذه الآية . " مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ " . أما أول أشرطة الساعة فنارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزع . قال : أشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله . يا رسول الله إن اليهود قوم بُهتٌ ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني . فجاءت اليهود ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أي رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال رأيتم إن أسلم عبد الله ابن سلام ؟ فقالوا أعاناه الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال : فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله (١) .

انظر كيف اختلفت رواية البيضاوي عن رواية البخاري . فرواية البيضاوي الأولى عن عبد الله بن سوريا أخرجها الواحدى في أسباب النزول ، فقال : (قال ابن عباس أن حمراً من أخبار اليهود من فدك يقال له عبد الله ابن سوريا ، حاج النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن أشياء فلما اتجهت الحجة إليه ، قال أي ملك يأتيك من السماء قال جبريل ، ولم يبعث الله نبياً إلا وهو وليه ، قال ذاك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمننا بك إن جبريل نزل بالعذاب

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، كتاب التفسير ١٦٥ / ٨

والقتال والشدة فانه عادنا مراراً كثيرة، وكان أشد ذلك علينا أن الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يدى رجل يقال له بختنصر وأخبرنا بالحين الذى يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بنى اسرائيل فى طلب بختنصر ليقنتله، فانطلق يطلبه، حتى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً ليست له قوة فأخذه صاحبه ليقنتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبه، ان كان ربكم الذى أذن فى هلاككم فلا تسلط عليه، وان لم يكن هذا، فعلى أى حق تقتله فصدقه صاحبه، ورجع الينا وكبر بختنصر وقوى وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذة عدواً فأنزل الله هذه الآية (١).

وأما الرواية الثانية وهى مناظرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه اليهود، فقد أخرجهما الطبرى فى تفسيره فقال : (حدثنى موسى بن هارون قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال حدثنا أسباط عن السدى : " قل من كان عدواً لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله مصداً لما بين يديه ". قال : كان لعمر بن الخطاب أرضٌ بأعلى المدينة ، فكان يأتيها ، وكان مره على طريق مدارس اليهود ، وكان كلما دخل عليهم سمع منهم . وانه دخل عليهم ذات يوم فقالوا يا عمر ، ما فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد أحب إلينا منك ، انهم يعمرون بنا فيؤذوننا ، وتعمر بنا فلا تؤذينا ، وانا لنطمع فيك ، فقال لهم عمر : أى يمين فيكم أعظم ؟ قالوا الرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء . فقال لهم عمر : فانشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء ، أتجدون محمداً صلى الله عليه وسلم عندكم ؟ فأسكتوا فقال

(١) أسباب النزول للواحدى ص ٢٠

تكلّموا ، ما شأنكم ؟ فوالله ما سألتكم وأنا شاك فى شيء من دينى .
فنظر بعضهم إلى بعض ، فقام رجل منهم فقال : أخبروا الرجل لتخبرنه
أو لأخبرنه . قالوا نعم ، إنا نجده مكتوباً عندنا ، ولكن صاحبه من الملائكة
الذى يأتيه بالوحى هو جبريل ، وجبريل عدونا وهو صاحب كل عذاب أو قتال
أو خسف ، ولو أنه كان وليه ميكائيل ، إذّا لآمنا به فإنّ ميكائيل صاحب كل
رحمة وكل غيث ، فقال لهم عمر : فانشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على
موسى بطور سيناء ، أين مكان جبريل من الله ؟ قالوا جبريل عن يمينه ،
وميكائيل عن يساره قال عمر : والذى هو عدو للذى عن يساره ، عدو للذى
هو عن يمينه ، وأنه من كان عدوهما ، فانه عدو لله . ثم رجع عمر ليخير النسبى
صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحى ، فدعاه النبى صلى الله عليه
وسلم فقرأه عليه فقال عمر : والذى بعثك بالحق ، لقد جئتكم وما أريد إلاّ
أن أخبركم (١) .

والرواية التى أراها أرجح فى سبب النزول هى روايات البيضاوى ، وأن
الآية نزلت فى عبد الله بن سوريا أو فى مناظرة عمر لليهود وأما رواية البخارى
من أن الآية نزلت فى عبد الله بن سلام لا توافق السياق وان كانت صحيحة
ولعل سؤال عبد الله بن سلام للنبى صلى الله عليه وسلم كان بعد نزول الآية
فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم بها ، وإلى هذا رأى ذهب ابن حجر فقال :
(ظاهر السياق أنّ النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى قرأ الآية ردّاً لقول
اليهود ، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ وهذا هو المعتمد - إلى أن قال -

(١) تفسير الطبرى ٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥

ويدل على أن سبب نزول الآية قول اليهودى المذكور لا قصة عبد الله بن سلام وكان النبی صلی الله علیه وسلم لما قال له عبد الله بن سلام ان جبریل عدو اليهود تلا علیه الآية مذكراً له سبب نزولها والله أعلم (١).

ومن أمثلة ما خالف فيه البيضاوى ما جاء فى الصحيحين فى أسباب النزول ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى : " هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ شِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يَصْبُ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ " (٢) قال البيضاوى : (هم المؤمنون والكافرون . وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود : نحن أحق بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم . وقال المؤمنون : نحن أحق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب . وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسداً فنزلت) (٣).

وجاء البخارى بحدیثین یغایران رواية البيضاوى قال فى الحديث الأول : (حدثنا حجاج بن منهال : حدثنا هشيم ، أخبرنا أبو هاشم ، عن أبى محرز ، عن قيس بن عباد ، عن أبى ذر رضى الله عنه أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية - هذان خصمان اختصموا فى ربهم - نزلت فى حمزة وصاحبيه يوم برزوا فى يوم بدر) (٤).

(١) أنظر فتح البارى كتاب التفسير ٢٣٢/٩ ، ٢٣٣

(٢) سورة الحج آية ١٩

(٣) تفسير البيضاوى ص ٤٣

(٤) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب التفسير ٢٩/١٠

وقال فى الحديث الثانى : (حدثنا حجاج بن منهل : حدثنا معتمر بن سليمان . قال سمعت أبى قال حدثنا أبو محلز عن قيس بن عبّاد عن على رضى الله عنه قال : أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس وفيهم نزلت - هذان خصمان اختصموا فى ربهم - قال هم الذين بارزوا يوم بدر على حمزة وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة (١) .

وأما مسلم فروايته توافق البخارى وتخالف البيضاوى حيث قال : أن الآية نزلت فى الذين خرجوا للمبارزة يوم بدر فروى الحديث بسنده فقال : (حدثنا عمرو بن زرارة عن هشيم عن أبى هاشم عن أبى محلز عن قيس بن عبّاد قال : سمعت أبا ذر يقسم قسماً " أن هذان خصمان اختصموا فى ربهم " أنها نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة (٢) .

ورواية البيضاوى الأولى أن سبب نزول الآية اختلاف المؤمنين والكافرين ، قد أخرجها الطبرى فى تفسيره فقال : (حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين ، قال حدثنى حجاج ، قال حدثنا أبو تُمَيْلَة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعطاء بن أبى رباح وأبى قزعة عن الحسين قال : هم الكافرون والمؤمنون اختصموا فى ربهم (٣) .

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب التفسير ٥٩/١٠

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التفسير ١٦٦/١٨

(٣) تفسير الطبرى ١٣٢/١٧ .

وأما رواية البيضاوى الثانية من أن الذين اختصموا فى ربهم هم المؤمنون وأهل الكتاب فقد أخرجها الطبرى ، أيضا فقال : (حدثنى محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال حدثنى عمى ، قال حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) قال هم أهل الكتاب ، قالوا للمؤمنين : نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً ، ونبينا قبل نبيكم . وقال المؤمنون : نحن أحق بالله ، آمنا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم ، وبما أنزل الله من كتاب ، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ، ثم تركتموه وكفرتم به حسداً وكان ذلك خصومتهم فى ربهم (١))

واختار الطبرى الرواية التى تقول أن الآية نزلت فى الكفار والمؤمنين ودافع عنه فقال : (وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، وأشبهها بتأويل الآية قول من قال : عنى بالخصمين جميع الكفار من أى أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين ، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ، لأنه تعالى ذكروه ذكراً قبل ذلك صنفين من خلقه : أحدهما أهل طاعة له بالسجود له . والآخر أهل معصية له قد حَقَّ عليه العذاب ، فقال " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ " (٢) ثم قال (وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) (٣) . ثم اتبع ذلك صفة الصنفين كليهما ، وما هو فاعلُ بهما ، فقال : " فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن تَارٍ " (٤) ، وقال الله : " إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ

(١) تفسير الطبرى ١٢/١٣٢

(٢، ٣) سورة الحج آية ١٨

(٤) سورة الحج آية ١٩

(١)
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَكَانَ بَيْنَهُمْ أَمْسِكُ
أن ما بين ذلك خبر عنهما .

فان قال قائل : فما أنت قائل فيما روى عن أبي ذر في قوله (إِنَّ ذَلِكَ)
نزل في الذين بارزوا يوم بدر ؟ قيل ذلك ان شاء الله كما روى عنه ، ولكن
الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب ،
وهذه من تلك ، وذلك ان الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر
بالله ، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له ، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما ،
في أنه لأهل الإيمان خصم ، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما ،
في أنه لأهل الشرك خصم .

فتأويل الكلام : هذا خصمان اختصموا في دين ربهم . واختصاصهم في
ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إياه على دينه (٢) .

وهذا الرأي الذي ذهب اليه الطبري ودافع عنه هو رواية البيضاوي
الأولى ولكن الذي أراه أن سبب نزول الآية هو ما رواه الشيخان البخاري ومسلم
في أنه الآية نزلت في الذين تبارزوا يوم بدر لأن أبا ذر رضي الله عنه أقسم
بذلك وهذا يدل على يقين منه . فتحقق أمران بحدو شهما يرجح القول - الأول
أن الرواية صحيحة جاءت في الصحيحين الثاني وجود النص الصريح وهو قسم أبي
ذر أن الآية نزلت في المبارزين يوم بدر ، ولهذا أنا أرجح رواية الصحيحين في
أنها سبب نزول الآية . وأما دافع الطبري رحمه الله عن الرواية الأولى وقوله أن

(١) سورة الحج آية ٢٣

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ١٣٣

الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب ، لا ينفي أن الآية نزلت في المبارزين يوم بدر بل يثبت حكما ساغ عند جمهور العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولكن ليس هذا موضع الاختلاف ولكن موضع الاختلاف أن الآية في من نزلت ثم عمت بعد ذلك على كل من شمله ذلك السبب فالرواية الصحيحة ترشدنا على أن الآية نزلت في الذين برزوا للمبارزة يوم بدر بل ويؤكد أبو ذر رضى الله عنه ذلك بالقسم فثبت أن الآية نزلت في المبارزين يوم بدر . وأن روايات البيضاوى ومن وافقه من أن الآية نزلت في الكفار والمؤمنين أو في المؤمنين وأهل الكتاب شمله عموم اللفظ الخاص بالمبارزين يوم بدر .

.....

ومن علوم القرآن في تفسير البيضاوي النسخ والمنسوخ .

٢ - النسخ والمنسوخ

~~~~~

جاء النسخ في اللغة بمعنى الازالة وبمعنى الانتقال وبمعنى الابطال ، قال الجوهري : ( نسخت الشمس الظل وانتسخته : أزالته . ونسخت الريح آثار الدار غيرتها . ونسخت الكتاب ، وانتسخته ، واستنسخته كله بمعنى . والنسخة بالضم اسم المنتسخ منه ونسخ الآية بالآية : ازالة مثل حكمها ، فالثانية ناسخة والأولى منسوخة . والتناسخ في الميراث أن يموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم (١)

وأما النسخ عند علماء الأصول فقد قال فيه الغزالي : ( حدّده أنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه . وانما أثرنا لفظ الخطاب على لفظ النص ليكون شاملاً للفظ والفحوى والمفهوم وكل دليل إذ يجوز النسخ بجميع ذلك (٢)

فكان النسخ في الشرع بمعنى رفع الحكم الثابت بالخطاب ويسمى المنسوخ بحكم آخر متراح يسمى الناسخ . والذي يعنينا في هذا المقام هو ناسخ القرآن ومنسوخه ، أو الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، والنسخ في القرآن ثابت بالكتاب والسنة والاجماع . فمن الكتاب قوله تعالى : " مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (٣) وقوله تعالى :

---

(١) الصحاح للجوهري فصل النوت باب الخاء ٤٣٣/١

(٢) المستصفي من علم الأصول ١٠٧/١

(٣) سورة البقرة آية ١٠٦ .

”يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ“ (١) قال ابن عباس رضى الله عنهما يبدل ما يشاء من القرآن فينسخه ويثبت ما يشاء فلا يبدل له وعنده أم الكتاب : جملة ذلك عنده فى أم الكتاب الناسخ والمنسوخ وما يبدل . (٢)

وأما دليله من السنة فأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخت بخمس رضعات معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن . (٣)

وحكى السيوطى الاجماع فقال : ( وقد أجمع المسلمون على جوازه وأنكره اليهود ) (٤)

ولكن اختلف العلماء فى الذى ينسخ القرآن . هل هو القرآن أم السنة قال ابن الجوزى : ( اتفق العلماء على جواز نسخ القرآن بالقرآن والسنة بالسنة ، فأما نسخ القرآن بالسنة ، فالسنة تنقسم قسمين : أحدهما : - ما ثبت بنقل متواتر كنقل القرآن . فهل يجوز أن يُنسخ القرآن بمثل هذا ، حكى فيه شيخنا على بن عبيد الله روايتين عن أحمد قال : والمشهور

---

(١) سورة الرعد آية ٣٩

(٢) تفسير الطبرى ١١٣/١٣

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الرضاع ٢٩/١٠ . قال النووى : ( النسخ

بخمس رضعات تأخر انزاله جدا حتى أنه صلى الله عليه وسلم توفى وبعض الناس يقرأ عشر رضعات ويجعلها قرآنا متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده .

(٤) الاتقان فى علوم القرآن ٢١/٢

أنه لا يجوز وهو مذهب الثوري والشافعي . والرواية الثانية يجوز ، وهو قول أبي حنيفة ومالك . قال ووجه الأولى قوله تعالى " ما ننسخ أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " والسنة ليست مثلاً للقرآن ، وروى الدارقطني من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( كلامى لا ينسخ القرآن ، والقرآن ينسخ بعضه بعضاً )<sup>(١)</sup> .

ومن جهة المعنى ، فإن السنة تنقص عن درجة القرآن فلا تقدم عليه ، ووجه الرواية الثانية قوله تعالى : " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ " <sup>(٢)</sup> والنسخ فى الحقيقة بيان مدة المنسوخ فاقترضت هذه الآية قبول هذا البيان .

قال وقد نسخت الوصية للوالدين والأقربين بقول النبى صلى الله عليه وسلم ( لا وصية لوارث ) <sup>(٣)</sup> ونسخ قوله تعالى : " وَلَا تَقَاتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ " <sup>(٤)</sup> يأمره عليه الصلاة والسلام أن يقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة . <sup>(٥)</sup>

---

(١) رواه الدارقطني فى النوادر ١٤٥/٥ وفى اسناده جبرون بن واقد قال الذهبى عنه أنه ليس بثقة روى هذا الحديث عن سفيان عن الزبير بقلّة حياء أنظر المغنى فى الضعفاء ص ١٢٧ .

(٢) سورة النحل آية ٤٤

(٣) رواه ابن ماجه ٩٠٥/٢ قال البصيرى فى زوائد ابن ماجه اسناده صحيح .

(٤) سورة البقرة آية ١٩١

(٥) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٧٦/٩

ومن جهة المعنى أَنَّ السنة مفسّرة للقرآن وكاشفة لما يغمض من معناه فجواز أن ينسخ بها . والقول الأول هو الصحيح لأنَّ هذه الأشياء تجري مجرى البيان للقرآن لا النسخ وقد روى أبو داود السجستاني قال : سمعت أحمد ابن حنبل رضى الله عنه يقول : السنة تفسر القرآن ، ولا ينسخ القرآن إلا القرآن وكذلك قال الشافعى : إِنَّمَا ينسخ الكتاب الكتاب والسنة ليست ناسخة له .

والقسم الثانى : الأخبار المنقولة بنقل الآحاد فهذه لا يجوز بها نسخ القرآن ، لأنَّها لا توجب العلم ، بل تفيد الظن ، والقرآن يوجب العلم ، فلا يجوز ترك المقطوع به لأجل المظنون ، وقد احتج مَنْ رأى جواز نسخ التواتر بخبر الواحد بقصة أهل قباء لما استداروا بقول واحد ، فأجيب بأنَّ قبلة بيت المقدس لم تثبت بالقرآن فجاز أن تتسخ بخبر الواحد (١) .

وقد قرّرت السيوطى بين المنسوخ والمنسأ/ ما أمر به لسبب ثم يزول كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال فقال : ( وهذا فى الحقيقة ليس نسخاً بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى أو ننسأها فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفى حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية فى ذلك منسوخة بآية

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب التفسير ٩ / ٢٤٠ وصحيح مسلم

بشرح النووى ١٠ / ٥

(٢) نواسخ القرآن لابن الجوزى من ٩٢ الى ١٠١

(٣) أو ننسأها قراءة ابن كثير وأبو عمرو أنظر حجة القراءات ص ١٠٩

السيف وليس كذلك بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما، لعلة تقتضى ذلك الحكم بل ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ إنما النسخ الازالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله (١).

كما فرق السيوطى بين الأوامر والأخبار فى النسخ فقال : ( لا يقع النسخ إلا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر . أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل فى كتب النسخ كثيراً من آيات الأخبار والوعد والوعيد (٢) .

والنسخ جاء فى القرآن على ثلاثة أقسام :

- ١ - قسم نسخ رسماً وحكماً . بمعنى أنه نسخت تلاوته وحكمه .
  - ٢ - قسم نسخ رسماً وبقي حكمه . بمعنى أنه نسخت تلاوته وبقي حكمه .
  - ٣ - قسم نسخ حكماً وبقي رسماً . بمعنى أنه نسخ حكمه وبقيت تلاوته .
- قال الطحاوى : - قال أهل العلم بالتأويل أن النسخ وجهان :  
أحدهما : نسخ العمل بما فى الآية المنسوخة وإن كانت الآية المنسوخة قرآناً كما هى .

والآخر : أخراجها من القرآن وهى محفوظة فى القلوب أو خارجة من القلوب غير محفوظة .

فالمنسوخ من القرآن مما نسخ العمل به وبقي قرآناً هو كمثل قول الله عز وجل فى سورة الأنفال : " إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ

(١) الاتقان فى علوم القرآن ص ٢١

(٢) المرجع السابق .



مِنْكُمْ مِائَةً يَغْلِبُوا أَلْفًا<sup>(١)</sup> . ثم نسخ الله عزَّ وجلَّ ذلك بقوله : -  
 " الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا  
 مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ<sup>(٢)</sup> " ومثل ذلك في سورة المزمل قوله  
 تعالى : " يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ  
 زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا<sup>(٣)</sup> " . ثم نسخ ذلك " عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضًى  
 وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنْهُ<sup>(٤)</sup> " . فهذا المنسوخ العمل به الباقي قرآنًا كما كان قبل  
 ذلك .

وأما المنسوخ الذي يُخْرَجُ من القرآن فينقسم قسمين :  
 أحدهما : يخرج من قلوب المؤمنين حتى لا يبقى فيها منه شيء من ذلك .  
 كما في الأثر، حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عبد الله بن وهب . أخبرني  
 يونس بن يزيد عن ابن شهاب . حدثني أبو أمامة بن سهل ونحن في مجلس  
 سعيد بن المسيب لا ينكر ذلك أن رجلاً كانت معه سورة فقام في الليل ليقرأها ،  
 فلم يقدِر عليها وقام آخر فقرأها فلم يقدِر ، وقام آخر كذلك فأصبحوا فأتوا رسولَ  
 الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا عنده فقال بعضهم يا رسول الله قمت البارحة  
 لأقرأ سورة كذا وكذا فلم أقدر عليها وقال الآخر ما جئت إلا لذلك وقال الآخر

( ١ ) سورة الأنفال آية ٦٥

( ٢ ) سورة الأنفال آية ٦٦

( ٣ ) سورة المزمل آية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤

( ٤ ) سورة المزمل آية ٢٠

(١) وأنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إِنَّهَا نَسَخَتِ الْبَارِحَةَ )  
والقسم الآخر أن يخرج من القرآن ويبقى في صدور المؤمنين على أنه ليس  
بقرآن ومن ذلك ما قد حدثنا يوسف بن يزيد . حدثنا يعقوب بن إسحاق  
حدثنا نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة . قال  
قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف ألم تجد فيما أنزل الله علينا جاهدوا  
كما جاهدتم أول مرة . قال بلى قال فَإِنَّا لم نجد لها قال أسقطت فيما أسقط  
من القرآن قال أخشى أن يرجع الناس كفاراً قال ما شاء الله قال لئن رجع الناس  
كفاراً ليكون أمراً هم بنو فلان ) (٢)

وروى الطحاوي أحاديث أخرى بهذا المعنى .

من هذا يتضح معنى الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم وما يتعلق به ،  
وأما الآيات التي وقع فيها النسخ اختلف فيها العلماء .  
قال السيوطي : ( قال بعضهم سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام .  
قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ وهو ثلاثة وأربعون سورة الفاتحة ويوسف ويس  
والحجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحريم والملك والهاقة ونسوح  
والجن والمرسلات وعم والنازعات والانفطار وثلاث بعد ها والفجر وما بعد ها إلى  
آخر القرآن الا التين والعصر والكافرون وقسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمس  
وعشرون البقرة وثلاث بعد ها والحج والنور وتالياها والأحزاب وسبأ والمؤمن ،  
والشورى والذاريات والطور والواقعة والمجادلة والمزمل والمدثر وكورت والعصر .

---

(١) مشكل الآثار ١/١٧٢

(٢) مشكل الآثار ١/١٨٤

وقسم فيه الناسخ فقط وهو ستة الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والأعلى .

(١)

وقسم فيه المنسوخ فقط وهو الأربعون الباقية وفيه نظر .

وعلى ضوء ما تقدم/ أن نعرف منهج البيضاوى فى الناسخ والمنسوخ من

القرآن وما هى الآيات الناسخه عنده وما هى الآيات المنسوخة .

قال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : ( مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ) (٢) . النسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشئ ، وإثباتها فى غيره ،

كنسخ الظل للشعر والنقل ، ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الأثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً ، وانساؤها إذا هابها عن القلوب وقرأ أبو عمرو نساها أى نؤخرها من النسيء . والآية دللت على جواز النسخ وتأخير الانزال ، إن الأصل اختصاص أن وما يتضمنها بالأمر المحتملة وذلك لأن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد ، وتكمل نفوسهم فضلاً من الله ورحمة ، وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش ، فإن النافع فى عصر قد يضر فى عصر غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل ، أو ببذل أثقل ، ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلاً ، والسنة ليست كذلك والكل ضعيف إذ قد يكون عدم الحكم أو الأثقل أصلح ، والنسخ قد يعرف بغيره ، والسنة مما أتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ٢١/٢

(٢) سورة البقرة آية ١٠٦

فان التغير والتفاوت من لوازمه وأجيب بأنهما من عوارض الأمور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم (١) .

- تبين من تفسير هذه الآية منهج البيضاوى فى نسخ القرآن :
- أولا : عرفه تعريفاً يشمل أنواع النسخ الثلاثة المنسوخ حكماً وتلاوة والمنسوخ حكماً وياقٍ تلاوة والمنسوخ تلاوة وياقٍ حكماً بقوله ( نسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد فهما أو بهما جميعاً ) .
- ثانياً : بيّن الحكمة من النسخ وأنه رحمة من الله لعباده ومراعاة لمصالحهم .
- ثالثاً : ردّ على من منع النسخ بلا بدل وقال قد يكون عدم البدل أصلح لهم .
- رابعاً : ردّ على الذين اشترطوا أن يكون الناسخ أخف من المنسوخ فى التكليف بقوله قد يكون البدل الأثقل أصلح للعباد .
- خامساً : جوّز نسخ السنة للقرآن بقوله أن السنة وحى من الله تعالى، وبيّن أن الخيرية ليست فى الناسخ عينه وإنما فى الحكم الذى أتته به .
- سادساً : ردّ على المعتزلة القائلين بحدوث القرآن وان التغير والتبدل من لوازم الحادث . فقال أن القرآن هو صفة الله تعالى وكلامه ليس مخلوقاً، فالله تعالى من صفاته أنه يفعل ما يشاء فينسخ ويثبت ويحكم لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل .
- وقد أورد البيضاوى الناسخ والمنسوخ من الآيات فى تفسيره غير أن آيات النسخ عنده على ثلاثة أقسام : -

---

( ١ ) تفسير البيضاوى بتصرف ص ٣٩

- ١ - قسم قال بالنسخ فيه أَوْ رَجَّحَ نسخه على عدم النسخ .
  - ٢ - قسم اعترض على نسخه وأبطل حجة القائلين بالنسخ .
  - ٣ - قسم سكت عن نسخه وعدمه في حين أن العلماء اختلفوا في نسخه .
- أما القسم الأول وهو الآيات التي قال بالنسخ فيها نذكر منها أمثلة :
- منها ما جاء في قوله تعالى : " وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ " (١)
- قال البيضاوي : ( رخص لهم في ذلك في أول الأمر لما أمروا بالصوم فاشتد عليهم لأنهم لم يتعودوه ثم نسخ ) (٢) .

ويؤيد ما ذهب إليه البيضاوي في القول بالنسخ ما رواه البخاري في صحيحه فقال : ( حدثنا قتيبة . حدثنا بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن بكير بن عبد الله عن يزيد مولى سلمة بن الأكوع ، عن سلمة قال : لما نزلت : " وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ " كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها ) (٣) .

أما القول بعدم النسخ فهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومن وافقه فقد أخرجه البخاري في كتاب الصوم فقال : ( حدثني إسحاق : أخبرنا روح . حدثنا زكريا ابن إسحاق . حدثنا عمرو بن دينار . عن عطاء : سمع ابن عباس يقرأ " وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ " . قال ابن عباس ليست بمنسوخة ) (٤) هو

(١) سورة البقرة آية ١٨٤ .

(٢) تفسير البيضاوي ص ٥٣

(٣) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب النفي ٩/ ٢٤٧

(٤) يطوقونه بفتح الطاء وتشديد الواو مبني للمفعول قراءة ابن مسعود .

الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كل يوم مسكيناً (١) .

والقول الذى أراه راجحاً هو قول البيضاوى ومن وافقه وهو القول بالنسخ - صحيح أن الأحاديث صحيحة ومتعارضة لكن قراءة ابن مسعود قراءة شاذة لا تثبت حكماً كمال ابن الجوزى : ( هذه القراءة لا يلتفت لها لوجوه : أحدها : أنها شاذة خارجة عما اجتمع عليه المشاهير فلا يعارضها ثبت الحجة بنقله .

والثانى : أنها تخالف ظاهر الآية ، لأن الآية تقتضى الاطاعة لقوله ( وأن تصوموا خير لكم ) (٢) وهذه القراءة تقتضى نفيها .

والثالث : ان الذين يطيقون الصوم ويعجزون عنه ينقسمون إلى قسمين : أحدهما : - من يعجز لمرض أو لسفر ، أو لشدة جوع أو عطش فهذا يجوز له الفطر ويلزمه القضاء من غير كفارة .

والثانى : من يعجز لكبر السن فهل يلزمه الكفارة من غير قضاء إلى أن قال فعلى هذا البيان يكون النسخ أولى من الآية بأحكام ، يدل على ما قلنا قوله تعالى فى تمام الآية " وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ " (٣)

ومن الآيات التى قال بالنسخ فيها قوله تعالى : " إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ " (٤)

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب التفسير ٢٤٦/٩

(٢) سورة البقرة آية ١٨٤ .

(٣) نواسخ القرآن ص ١٧٧

(٤) سورة الأنفال آية ٧٢

قال البيضاوى : ( أولياء بعض فى الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بقوله : " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله " ) (١) (٢)

والقول بالنسخ قال به ابن عباس ومن وافقه، أخرج ذلك ابن جرير فى تفسيره فقال : ( حدثنى المثنى قال حدثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ " . يعنى فى الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوى الأرحام قال الله : " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَبْهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِنْ وَلَا يَتَّبِعِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا " يقول مالكم من ميراثهم من شىء وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية : " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله " . فى الميراث فنسخت التى قبلها وصار الميراث لذوى الأرحام ) (٤)

وروى آثارا أخرى عن عكرمة والحسن والسدى وقتادة كلها تقول بالنسخ وقد ذهب الطبرى والفخر الرازى وابن الجوزى إلى عدم النسخ .

قال الفخر الرازى : ( إعلم أَنَّ الله تعالى لما ذكر هذين القسمين فى هذه الآية قال ( أولئك بعضهم أولياء بعض ) واختلفوا فى المراد بهذه الولاية

---

( ١ ) سورة الأنفال آية ٧٥

( ٢ ) تفسير البيضاوى ص ٢٤٦

( ٣ ) سورة الأنفال آية ٧٢

( ٤ ) تفسير الطبرى ٣٦/١٠ ، ٣٧

فنقل الواحدى عن ابن عباس والمفسرين كلهم أَنَّ المراد هو الولاية فى الميراث ( وقالوا جعل الله تعالى سبب الأثر الهجرة والنصرة دون القرابة . وكان القريب الذى آمن ولم يهاجر لم يرث من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر ، واعلم أن لفظ الولاية غير مشعر بهذا المعنى ، لأنَّ هذا اللفظ مشعر بالقرب على ما قررناه فى مواضع من هذا الكتاب . ويقال السلطان ولى من لا ولى له ولا يفيد الأثر ، وقال تعالى : " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (١) ولا يفيد الأثر بل الولاية تفيد القرب فيمكن حمله على غير الأثر ، وهو كون بعضهم معظماً للبعض مهتماً بشأنه مخصوصاً بمعاونته ومناصرته ، والمقصود أن يكونوا يداً واحدة على الأعداء ، وأن يكون حب كل واحد لغيره جارياً مجرى حبه لنفسه ، وإذا كان اللفظ محتملاً لهذا المعنى كان حمله على الأثر بعيداً على دلالة اللفظ ، لا سيما وهم يقولون إِنَّ ذلك الحكم صار منسوخاً بقوله تعالى فى آخر الآية : " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض " وأى حاجة تحملنا على حمل اللفظ على معنى لا اشعار لذلك اللفظ به ، ثم الحكم بأنه صار منسوخاً بآية أخرى مذكورة معه . هذا فى غاية البعد ، اللهم إلّا إذا حصل اجماع المفسرين على أن المراد ذلك فحينئذ يجب المصير إليه إلّا أن دعوى اجماع بعيد (٢) . ووافقه على ذلك الطبرى (٣) وابن الجوزى (٤) . أقول أن الذى أراه راجحاً

(١) سورة يونس آية ٦٣

(٢) التفسير الكبير ٢٠٩/١٥

(٣) تفسير الطبرى ٤٠/١٠

(٤) زاد المسير ٣٨٥/٣



أن الآية منسوخة كما قال البيضاوى وهو قول جمهور المفسرين وأما كلام الرازى هذا فالرد عليه يحمله فى طياته وهو أن كل المفسرين الأوائل قالوا المراد بالولاية الولاية فى الميراث فهم أدرى بالتفسير من غيرهم .  
وبذلك نرى أن البيضاوى قد أصاب ووافق الجمهور فى أن الآية منسوخة .  
ومن الآيات التى قال البيضاوى بالنسخ فيها قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر " فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم " ( ١ )

قال البيضاوى : ( اختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله : " أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات " ( ٢ ) وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولاً ) ( ٣ ) .

ورواية النسخ رواها الحاكم فى مستدركه والطبرى فى تفسيره . قال الطبرى : ( حدثنا أبو كريب ، قال حدثنا ابن ادريس ، قال سمعت ليشا ، عن مجاهد قال . قال على رضى الله عنه : آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى ، كان عندى دينار فصرفته بعشرة دراهم ، فكنت إذا جئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم ، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلى ( يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ) ( ٤ ) .

( ١ ) سورة المجادلة الآية ١٢

( ٢ ) سورة المجادلة الآية ١٣

( ٣ ) تفسير البيضاوى ٧٢٢

( ٤ ) تفسير الطبرى ٢٠ / ٢٦ ومستدرك الحاكم ٤٨٢ / ٢ وصححه .

كما روى الطبرى آثاراً عن ابن عباس رضى الله عنه بنسخ الآية، وأن الآية التى نسختها ( أأشفقتم أن تقدوا بين يدي نجواكم صدقات " وبه قال جمهور العلماء من المفسرين .

وأما الآيات التى اعترض على النسخ فيها نذكر منها أمثلة منها ما جاء فى قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم " (١)

قال البيضاوى بعد ذكر سبب النزول ( الآية لا تدل على قتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى كما لا تدل على العكس وليس لأحد أن يدعى أنها منسوخة بقوله تعالى " النفس بالنفس " (٢) لأنه حكاية فى التوراة فلا ينسخ ما فى القرآن واحتجت به الحنفية على أن مقتضى العمدة القود وحده وهو ضعيف إذ الواجب على التخيير صدق عليه أنه واجب وكتب، ولذلك قيل التخيير بسين الواجب وغيره ليس نسخاً (٣) .

ورواية النسخ أوردها ابن أبى حاتم فى تفسيره عن عطاء عن سعيد بن جبير (٤) .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٨ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٥

(٣) تفسير البيضاوى بتصرف ص ٥١

(٤) تفسير ابن أبى حاتم المخطوط ورقه ١٠٢ من الجزء الأول .

وأما رواية النسخ فهي عن ابن عباس والحسن البصري أخرج ذلك أبو محمد مكي ابن أبي طالب القيسي في كتابه الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (١).  
وأما الذين وافقوا البيضاوي في عدم النسخ فكثير من العلماء منهم مكي ابن أبي طالب حيث قال في قوله تعالى " النفس بالنفس " : ( هذه الآية أوجبت قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل والعبد بالحر وهذا لا يجوز عند جماعة من العلماء لأن ما فرضه الله علينا لا ينسخه ما حكى الله لنا من شريعة غيرنا إنما أخبرنا الله في المائدة بما شرع لغيرنا ، لم يفرضه علينا فيكون ناسخا لما تقدم من سنة الفرض علينا ولكن الآيتان محكمتان لا نسخ في واحدة منهما ) (٢).  
وذ هب بعض العلماء إلى تعليل القول بأن الآية محكمة فمنهم من قال أنها مخصوصة ومنهم من قال أنها مفسرة وغير ذلك منهم الشعبي والسدي وأبو عبيد حكى ذلك عنهم مكي ابن أبي طالب .

فقال عن الشعبي : ( قال الشعبي وغيره آية البقرة مخصوصة نزلت في قوم تقاتلوا فقتل منهم خلق كثير وكانت إحدى الطائفتين أعز من الأخرى فقالت العزيزة : لا يقتل العبد منا إلا بالحر منكم ، ولا بالأنثى منا إلا بالرجل منكم فنزلت الآية في ذلك ، ثم هي في كل من أراد أن يفعل كفعلمهم فهي محكمة ) .  
وقال عن السدي : ( قال هي مخصوصة في فريقين تقاتلوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ووقع بينهما قتلى فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يفادي بينهم ديات النساء بديات النساء وديات الرجال بديات الرجال فهي في شيء بعينه

---

(١) الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١١٤

(٢) الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١١٤ ، ١١٥

وهي تعبد لمن يأتي بعدهم فهي محكمة ) .

وقال عن أبي عبيد ( قال آية المائدة مفسرة لآية البقرة لأنَّ أنفس الأحرار متساوية فيما بينهم ، وعلى هذا أكثر الفقهاء يقتل الحرُّ بالحرِّ والأنثى بالأنثى بآية البقرة وآية المائدة ، ويقتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل آية المائدة والآية عند مالك محكمة ) (١) .

تبين من ذلك أنَّ جمهور العلماء على أنَّ الآية محكمة وليست منسوخة ، وتوجيه الآية بأنَّها مخصوصة أو مفسرة توجيه مقبول ، ولكن الردُّ على من قال بالنسخ من أن آية " النفس بالنفس " خطاب لأهل الكتاب ولا تنسخ شرعنا أقوى حجة ، وأسطح بياناً ، وهو قول البيضاوى ومكي ابن أبي طالب .

ومن الآيات التي اعترض البيضاوى على نسخها ما جاء في قوله تعالى :  
" كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ أَنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ " (٢)  
قال البيضاوى : ( كان هذا الحكم في بدأ الاسلام فنسخ بآية المواريث ويقول عليه الصلاة والسلام . " إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ أَلَا لَوْصِيَّةٌ لَوَارِثٍ " . (٣)

وفيه نظرٌ لأنَّ آية المواريث لا تعارضه بل تؤكد من حيث أنَّها تدل على تقديم الوصية مطلقاً والحديث من الأحاد ، وتلقى الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ، ولعلَّه احترز عنه مَنْ فسَّر الوصية بما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين

---

(١) الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٠

(٣) أخرجه أبو داود في سننه باب ما جاء في الوصية سنن أبي داود مع عون المعبود ٧٢/٨ وأحمد في مسنده ١٨٨/٥ والترمذي في سننه ٤٣٣/٤ وقال هذا حديث حسن صحيح .

بقوله يوصيكم الله أو بإيصاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى الله به عليهم) (١).

والقول بنسخ الوصية للوالدين والأقربين أخرجه البخارى فى صحيحه ، فقال : ( باب لا وصية لوارث - حدثنا محمد بن يوسف ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجييم عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين ، فنسخ الله من ذلك ما أحب ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس ، وجعل للمرأة الثمن والربع ، وللزوج الشطر والربع ) (٢).

وأما الذين قالوا بعدم النسخ وجهوا الآية فمنهم من قال إنَّ الوصية كانت ندباً لا واجباً كالشعبى ، والنخعى . قال ابن الجوزى : ( وهذا مذهب جماعة منهم الشعبى والنخعى واستدلوا بقوله بالمعروف قالوا : المعروف لا يقتضى الإيجاب ويقولون على المتقين والواجب لا يختص به المتقون ) (٣).

وحكى مكى ابن أبى طالب عن الشعبى والنخعى ، بأن الوصية للوالدين والأقربين فى الآية على الندب لا على الفرض ، فمنعت السنة من جواز الوصية للوالدين وبقيت الوصية للأقربين على الندب . (٤)

ومنهم من قال إنَّ الآية مخصوصة بآية الفرائض مثل طائوس وغيره قال ابن حجر : ( قيل إنَّ الآية مخصوصة لأن الأقربين أعم من أن يكونوا وراثاً ، وكانت الوصية واجبة

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٥٢

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب الوصايا ٣٠١/٦ ، ٣٠٢

(٣) نواسخ القرآن ص ١٥٨

(٤) انظر الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٢٢ .

لجميعهم فخص منها مَنْ ليس بوارث بآية الفرائض ويقولُه صلى الله عليه وسلم  
 " لا وصية لوارث " وبقي حق مَنْ لا يرث من الأقربين من الوصية على حاله .  
 قاله طاوس وغيره (١) .

والذى أرجّحه أَنَّ الآية منسوخة إمّا بآية الفرائض أو بالحديث 'ودعوى  
 البيضاوى بعدم النسخ تصدّم بالدليل، وهى الرواية الصحيحة عن ابن عباس  
 كما أورد البخارى .

ومن الآيات التى اعترض البيضاوى على نسخها ما جاء فى قوله تعالى : -  
 " يسألونك ماذا يُنفقون قل ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين والأقربين واليتامى  
 والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خيرٍ فإنَّ الله به عليم " . (٢)  
 قال البيضاوى : " ليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به (٣)  
 قال بعض العلماء هذه الآية منسوخة بآية الزكاة وقال البعض غير منسوخة لحكى  
 ابن الجوزى الخلاف فقال : -

" يسألونك ماذا يُنفقون " . اختلفوا هل هذه منسوخة أم محكمة ؟  
 روى السدى عن أشياخه أنه يوم نزلت هذه لم تكن زكاة ، وإنما هى نفقة الرجل  
 على أهله ، والصدقة يتصدقون بها فنسختها الزكاة ، وروى عن على ابن أبى  
 طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نسخت هذه بآية الصدقات فى براءة .  
 وروى أبو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نسخ منها الصدقة

(١) فتح البارى، شرح صحيح البخارى ٣٠٢/٦

(٢) سورة البقرة آية ٢١٥

(٣) تفسير البيضاوى ص ٥٩

على الوالدين، وصارت الصدقة لغيرهم الذين لا يرثون من الفقراء والمساكين والأقربين . وقال الحسن البصري : المراد بها التطوع على من لا يجوز إعطاؤه الزكاة كالوالدين والمولودين، وهى غير منسوخة، وقال ابن زيد، وهى فى النوافل وهم أحق بفضلك ( ١ ) .

ولم يتعرض كثير من المفسرين للنسخ فى الآية والطبرى بعد أن أورد رواية السدى فى أن الآية نزلت قبل فرض الزكاة لم يذكر اعتراضاً ولا تأييداً لقول السدى فقال : " قول ممكن أن يقال كما قال ، ويمكن غيره ولا دلالة فى الآية على صحة ما قال لأنه ممكن أن يكون قوله . " قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين " حثاً من الله جل ثناؤه على الانفاق على من كانت نفقته غير واجبة من الآباء والأمهات والأقرباء ومن سقى معهم فى هذه الآية وتعريفاً من الله لعباده مواضع الفضل التى تصرف فيها النفقات كما قال فى الآية الأخرى " وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة " ( ٢ ) ( ٣ ) .

وهو قول وجيه يوافق ما قاله البيضاوى وهو الذى أراه راجحاً، وأن الآية ليست منسوخة إذ لا تعارض بين هذه الآية وآية الزكاة والآية التى أورد هـ الطبرى وهى قوله " وأتى المال على حبه " خير شاهد على جمع ذوى القربى وغيرهم مع الزكاة .

( ١ ) نواسخ القرآن ص ١٩١ ، ١٩٢ .

( ٢ ) سورة البقرة آية ١٧٧ .

( ٣ ) تفسير الطبرى ٤ / ٢٩٤ - ٢٩٥ .

وأما القسم الثالث: الآيات التي سكت عنها البيضاوى فلم يقل بنسخها أو عدمه ، فى حين أن بعض العلماء قال بنسخها .

منها ما جاء فى قوله تعالى : " فَإِنْ جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ " (١) .  
قال البيضاوى : ( تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تحاكموا إليه بين الحكم والاعراض . ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان إلى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعى ) والأصح وجوبه إذا كان المترافعان أو أحدهما ذمياً ، لأننا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم ، والآية ليست فى أهل الذمة وعند أبى حنيفة تجب مطلقاً (٢) .

لم يتعرض البيضاوى فى هذه الآية للقول بالنسخ وعدمه ، كما أنها لم يذكر فيها شىء من ذلك وقد ورد فيها أثر صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما رواه الحاكم فى مستدركه فقال : " حدثنى محمد بن صالح بن هانى . حدثنا السرى بن خزيمة . حدثنا سميد بن سليمان الواسطى حدثنا عباد بن العوام . حدثنا سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : آيتان منسوختان من سورة المائدة : " فاحكم بينهم أو أعرض عنهم " . فأنزل الله عز وجل : " وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ " (٣) . (٤)  
قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبى .

(١) سورة المائدة آية ٤٢

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٥٢

(٣) سورة المائدة آية ٤٩

(٤) المستدرک على الصحيحين كتاب التفسير ٢ / ٣١٢ .



وقال الجصاص فى أحكام القرآن : ( روى الحكم عن مجاهد قال : لم ننسخ من المائدة الا هاتان الآيتان : " لا تَحْلُوا شعائر الله ولا الشَّهْرَ الحرام ولا الهدى ولا القلائد " (١) . نسختها . " فَاَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ " (٢) . و " ان جازك فاحكم بينهم " نسختها . " وان احكم بينهم بما أنزل الله " (٣) .

وقال الطبرى : ( وقال آخرون بل التخيير منسوخ وعلى الحاكم إذا احتكم إليه أهل الذمة أن يحكم بينهم بالحق ، وليس له ترك النظر بينهم ) ، وروى آثاراً عن الحسن البصرى والسدى وعكرمة ومجاهد . (٤)

تبيين من ذلك أن كثيراً من العلماء قال بنسخ الآية ووردت فيها آثارٌ صحيحة منها ما رواه الحاكم وصححه وأقره عليه الذهبى ثم هؤلاء الأعلام من المفسرين قالوا بنسخها ولكن البيضاوى لم يذكر ذلك ولم يلتفت إليه .

ومما سكت عنه البيضاوى من الآيات التى تناولها النسخ قوله تعالى : " ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً (٦٨) يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً (٦٩) الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً " (٥) .

(١) سورة المائدة آية ٢.

(٢) سورة التوبة آية ٥.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٢٩٣/٣.

(٤) تفسير الطبرى ٣٣٠/١٠ ، ٣٣١.

(٥) سورة الفرقان من الآية ٦٨ الى الآية ٧٠.

فَسَّرَ الْبَيْضَاوَى الْآيَاتِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ نَاسِخٍ وَلَا مَنْسُوخٍ فِي حِينَ أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا بِالنَّسْخِ فِيهَا .

قال ابن الجوزي في زاد المسير : ( ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها منسوخة<sup>(١)</sup> ، وفي ناسخها ثلاثة أقوال أحدها : - أنه قوله تعالى : " وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ " <sup>(١)</sup> قاله ابن عباس وكان يقول هذه مكية - يعنى قوله تعالى " إِلَّا مَنْ تَابَ . . الآية " والتي في النساء مدنية . والثاني : - أنها نسخت بقوله : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ " <sup>(٢)</sup> . والثالث : أَنَّ الْأَوَّلَى نَسَخَتْ بِالثَّانِيَةِ وهى قوله : " إِلَّا مَنْ تَابَ " .

<sup>(٣)</sup> والقول الثاني : أنها محكمة والخلود إنما كان لانضمام الشرك الى القتل والزنا <sup>(٤)</sup> والقول بالنسخ رواه الطبرى عن زيد بن ثابت وابن عباس .

ومما سكنت عنه البيضاوى من الآيات التى تناولها النسخ قوله تعالى : - " وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ " <sup>(٥)</sup> قال البيضاوى : -

( هو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهو يخالف وصفهم )

( ١ ) سورة النساء آية ٩٣ - ليست في النساء

( ٢ ) سورة النساء آية ٤٨

( ٣ ) زاد المسير في علم التفسير ١٠٦/٦

( ٤ ) تفسير الطبرى ٤٤/١٩

( ٥ ) سورة الشورى آية ٣٩ .

بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم . والحلم عن العاجز محمود، وعن المتغلب مذموم لأنه اجراء واغراء على البغى، ثم عقيب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي (١) .

انظر كيف أعرض البيضاوى عن ذكر النسخ فى الآية فى حين أن بعض العلماء قالوا بنسخها وعدّها الواحدى من الآيات المنسوخة فى سورة الشورى، فقال الآية الخامسة قوله تعالى : " والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون " والتى تليها نسخ ذلك بقوله : " لَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " (٢) . (٣) وروى الطبرى الرواية بالنسخ فقال : ( حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى " والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون " من المشركين "وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح " ) الآية ليس أمرهم أن تعفوا عنهم لأنه أحبهم، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل، ثم نسخ هذا كله وأمره بالجهاد ) فعلى قول ابن زيد هذا تأويل الكلام "وجزاء سيئة من المشركين إليكم سيئة مثلها منكم اليهم وإن عفوتهم وأصلحتهم فى العفو فأجركم فى عفوك عنهم إلى الله إنه لا يحب الكافرين " (٤) .

هكذا نهج البيضاوى فى الناسخ والمنسوخ من الآيات فأتى بذكر النسخ

---

( ١ ) تفسير البيضاوى ١٧٥ / ٢

( ٢ ) سورة الشورى آية ٤٣

( ٣ ) الناسخ والمنسوخ للواحدى ص ٢٧١ ، ٢٧٢

( ٤ ) تفسير الطبرى ٢٣ / ٢٤ .

فى الآيات التى يرى فيها النسخ ويعترض على الآيات التى يرى فيها عدم  
النسخ، وقال قوم بنسخها ولكنه سكت على كثير من الآيات التى ورد القول  
بالنسخ فيها عند بعض المفسرين، وذكرنا أمثلة لكل قسم من هذه الأقسام  
نمودجا على منهجه فى الناسخ والمنسوخ .

.....

### ٣ - الاعجاز البياني في تفسيره

القرآن الكريم هو معجزة النبي صلى الله عليه وسلم التي تحدى بها قومه وقد كان لكل نبي معجزة خارقة للعادة، أما حسية كعصى موسى وناقة صالح وإماماً معنوية كالقرآن الكريم . فالقرآن الكريم معجز خارق للعادة ففى أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمفريات ، سارداً لقصص الأولين مبينا لأخبارهم . كما أخبر بالمستقبل وما يجد فى الدنيا من أمور وما يحدث فى اليوم الآخر من غيبات لا تعلم الا بالوحى . بالاضافة لما فيه من أحكام ونظم وشرائع وحدود جاءت بأسلوب بليغ وفصاحة عالية . قال السيوطى نقلاً عن الزمكاى : ( وجه الاعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة ، وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن فى مرتبته العليا فى ( ١ ) اللفظ والمعنى ) .

وقد تحدى الله سبحانه وتعالى العرب وهم أفصح الناس . تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن قال تعالى : " فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين " . ( ٢ ) ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور منه فى قوله تعالى : " أم يقولون افتراء " ، قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفترياتٍ وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله . " ثم تحداهم بسورة فى قوله : " أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم

---

( ١ ) الاتقان فى علوم القرآن ص ١٥١

( ٢ ) سورة الطور آية ٣٤

( ٣ ) سورة هود آية ١٣ ، ١٤٦

(١)

من دون الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ". وفى قوله تعالى : " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ  
 مما نزلنا على عبدنا فَأْتُوا بْسُورَةٍ مِثْلِهِ".<sup>(٢)</sup> فلما عجزوا عن معارضته والاتيان  
 بسورة من مثله وقد كان فيهم البلفاء والفصحاء، وكانت لهم القصائد العجيبة  
 والرجز الغافر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والنثر  
 البليغ ، كل ذلك فيهم والقرآن يتحداهم فلا يستطيعون معارضته فلما تبين  
 عجزهم أظهر إعجازه فقال : " قل لئن اجتمعت الأنس والجِنُّ على أن يأتُوا  
 بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً".<sup>(٣)</sup>

والاعجاز البياني للقرآني أورده البيضاوى فى تفسيره ، كالأمثال  
 والتشبيه والاستعارة وغير ذلك كُبيّن وجه البلاغة فيه. وأشار إلى الفصاحة وعلو  
 الأسلوب بعبارات مختصرة تؤدى المعنى وتوضح اعجاز الآية .  
 ونذكر منها أمثلة :

ففى أمثال القرآن قال فى قوله تعالى : " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ  
 انزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا  
 أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَطْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا  
 أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
 يَتَفَكَّرُونَ".<sup>(٤)</sup>

(١) سورة يونس آية ٣٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٣

(٣) سورة الاسراء آية ٨٨

(٤) سورة يونس آية ٢٤

قال البيضاوى : ( إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي حَالِهَا الْعَجِيبَةِ فِي سُرْعَةِ تَقْضِيهَا وَذَهَابِ نَعِيمِهَا بَعْدَ اقْبَالِهَا وَاغْتِرَارِ النَّاسِ بِهَا ، كَمَا أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، فَاشْتَبِكَ بِسَبَبِهِ حَتَّى خَالَطَ بَعْضُهُ بَعْضًا ) ، مَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ مِنَ الزَّرْعِ وَالْبَقُولِ وَالْحَشِيشِ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأُزِينَتْ تَزِينَتْ بِأَصْنَافِ النَّبَاتِ وَأَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا الْمَخْتَلِفَةِ كَعُرُوسٍ أَخَذَتْ مِنْ أَلْوَانِ الثِّيَابِ وَالزَّيْنَةِ وَتَزِينَتْ بِهَا ، وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا مَتَمَكِّنُونَ مِنْ حَصْدِهَا وَرَفْعِ غَلَّتِهَا ، أَتَاهَا أَمْرُنَا ، ضَرَبَ زَرْعَهَا مَا يَجْتَا حَصِيلَهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَا زَرْعَهَا حَصِيدًا شَبِيهًا بِمَا حَصَدَ مِنْ أَصْلِهِ كَأَنَّهُ لَمْ يَفْنَى زَرْعَهَا ، أَيْ لَمْ يَلْبَثْ وَالْمُضَافُ مَحْذُوفٌ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلْمُبَالَغَةِ ، وَهُوَ مِثْلُ فِي الْوَقْتِ الْقَرِيبِ وَالْمِثْلُ بِهِ مَضْمُونُ الْحِكَايَةِ ، وَهُوَ زَوَالُ خُضْرَةِ النَّبَاتِ فَجَاءَ وَذَهَابُهُ حَطَامًا بَعْدَ مَا كَانَ غَضًّا وَالتَّفْ وَزَيْنَ الْأَرْضِ حَتَّى طَمَعَ فِيهِ أَهْلُهُ وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ سَلِمَ مِنَ الْجَوَائِحِ ( ١ ) .

وهذا المثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن اغتر بالحياة الدنيا واطمئن إليها وظن أن نعيمها باق يتمتع به أبد الأبد في حين أن نعيم الدنيا معرض للزوال في أي لحظة بل ربما زال في أوج عظمته ومنتهى ذروته زوالاً مفاجئاً من غير تدرج كالزراع المخضر عند ما استوى وكسا الأرض بلونه ورونقه وأعجب ناظره آتته جائحة من السماء كالصاعقة والزوبعة وغيرها قد مرته وتركته أثراً بعد عين . ذلك مثل الحياة الدنيا لا يجوز الركون إليها ولا الاطمئنان إليها بل يجب توقع زوال نعيمها واغتنام الوقت في العمل للنعيم الباقي وهو نعيم الآخرة .

( ١ ) تفسير البيضاوى ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

قال ابن القيم في أمثال القرآن : ( شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتزوقه بزینتها وتعجبه فيميل إليها ويهواها اغتراراً منه بها حتى إذا ظنَّ أنه مالك لها قادر عليها ، سلبها بغته ، أحوج ما كسان إليها وحيل بينه وبينها فشبَّهها بالأرض الذي ينزل الغيثُ عليها فتعشب ويحسن ثباتها ويروق منظرها للناظر فيغتر به ويظن أنه قادر عليها مالك لها فيأتها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة فتصبح كأنَّ لم تكن قبل فيخيب ظنُّه ، وتصبح يداه صفراً منهما فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء ، وهذا من أبلغ التشبيه والقياس ، فلما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات والجنة سليمة منها قال تعالى : " وَاللَّهُ يُدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ " (١) فسامها هنا دار السلام لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في الدنيا فعم بالدعوة إليها وخصَّص بالهداية من شاء فذاك عدله وهذا فضله (٢)

ومن أمثال القرآن ما ذكره البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : \* أَفَمَنْ أَكْسَرَ  
بِنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَكْسَرَ بِنْيَانَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَارٍ  
فَانهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* (٣)

قال البيضاوي : ( أَمِنَ أُسُسَ بِنْيَانِهِ "بِنْيَانُ دِينِهِ" عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ "عَلَى قَاعِدَةٍ مُحْكَمَةٍ هِيَ التَّقْوَى مِنَ اللَّهِ وَطَلَبُ مَرْضَاتِهِ بِالطَّاعَةِ وَوَأَمِنَ مِنْ أُسُسِ بِنْيَانِهِ عَلَى شِفَا جِرْفٍ هَارٍ" عَلَى قَاعِدَةٍ تَقْضِي أَصْعَفَ الْقَوَاعِدِ وَأَرْخَاهَا وَوَأَمِنَ نَارَ بَيْتٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ "فَأَدَّى بِهِ لِحُورِهِ وَقِلَّةِ إِسْتِمْسَاكِهِ إِلَى السَّقُوطِ فِي النَّارِ وَأَمَّا وَضْعُ شِفَا الْجِرْفِ وَهُوَ مَا جَرَفَهُ الْوَادِي الْهَائِثُ فِي مَقَابِلَةِ التَّقْوَى تَحْشِيلًا لَهَا يَنْوِي عَلَيْهِ أَمْرٌ دِينِيٌّ فِي الْبَطْلَانِ وَسُرْعَةُ الْأَنْطِمَاسِ ثُمَّ رَشْحُهُ بِإِنْهِيَائِهِ فِي النَّارِ وَوَضْعُهُ فِي مَقَابِلَةِ الرِّضْوَانِ تَنْتِيبًا عَلَى أَنَّ تَأْسِيسَ ذَلِكَ عَلَى أَمْرِ

(۱) سورۃ یونس آیہ ۷۵ (۲) امثال القرآن ص ۷۰

(٣) سورة التوبة آية ١٠٩ (٤)



يحفظه ويوصله إلى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة أدناها، وتأسيس  
هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم إن مصيرهم  
إلى النار لا محالة (١).

وقال القرطبي : اختلف العلماء في قوله تعالى " فانهار به في نار  
جهنم " هل ذلك حقيقة أو مجاز على قولين : الأول أن ذلك حقيقة وأن النبي  
صلى الله عليه وسلم إن أرسل إليه فهدم رأى الدخان يخرج منه . وقال بعضهم  
كان الرجل يدخل فيه سعة من سعف النخل فيخرجها سوداء محترقة .  
وذكر أهل التفسير أنه كان يحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج منه دخان .  
والثاني أن ذلك مجاز : والمعنى صار البناء في نار جهنم فكأنه انهار إليه  
وهوى فيه وهذا كقوله تعالى : " فأماه أوىة " (٢) . والظاهر الأول إذ لا محالة  
في ذلك والله أعلم (٣) . ورجح القرطبي القول بالحقيقة في الآية وأنها ليس  
فيها تشبيه ولا مجاز على خلاف البيضاوي الذي أتى بالتمثيل من أول مرة من  
غير أن يذكر قولاً يخالف ذلك وجعل التمثيل بين الحق والباطل وأن الذي  
يعمل في رضوان الله ويسير في طريق الحق ، كتأسيس مساجد الله على تقوى  
من الله ورضوان ، فإن هذا الفعل محفوظ بحفظ الله تعالى موصل إلى ببر  
السلامة وجنة المأوى ومقابله من عمل في سخط الله وسار في طريق الباطل  
كتأسيس المساجد على سخط الله وتفريق كلمة المسلمين ومحاربة لله ورسوله .

---

(١) تفسير البيضاوي ص ٢٦٧ ، ٢٦٨

(٢) سورة القارة آية ٩

(٣) انظر تفسير القرطبي ٣١٠٢/٤

فهذا الفعل هو طريق الهلاك بعينه يردى صاحبه فى المهاك ويهوى به فى نار جهنم يوم القيامة .

قال الفخر الرازى : ( المعنى أَمِنَ أَسَّسَ بِنْيَانِ دِينِهِ عَلَى قَاعِدَةٍ قَوِيَّةٍ مُحْكَمَةٍ وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِى هُوَ تَقْوَى اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ خَيْرٌ ، أَمِنَ أَسَّسَ عَلَى قَاعِدَةٍ هِيَ أَوْسَعُ الْقَوَاعِدِ وَأَقْلَمُهَا بَقَاءً وَهُوَ الْبَاطِلُ ؟ وَالنِّفَاقُ الَّذِى مِثْلُهُ مِثْلُ شِفَا جَرَفٍ هَارٍ مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ فَلِكُونِهِ شِفَا جَرَفٍ هَارٍ كَانَ مُشْرِفًا عَلَى السَّقُوطِ وَلِكُونِهِ عَلَى طَرِيقِ جَهَنَّمَ ، كَانَ إِذَا انْهَارَ فَاِنْمَا يَنْهَارُ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ ، وَلَا نَرَى فِي الْعَالَمِ مِثَالًا أَكْثَرَ مِطَابَقَةً لِأَمْرِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ هَذَا الْمِثَالِ ! وَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَحَدُ الْبِنَائَيْنِ قَصْدُ بَانِيهِ بِنَائُهُ تَقْوَى اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ ، وَالْبِنَاءُ الثَّانِى قَصْدُ بَانِيهِ بِنَائِهِ الْمَعْصِيَةِ وَالْكَفْرِ ، فَكَانَ الْبِنَاءُ الْأَوَّلُ شَرِيفًا وَاجِبَ الْإِبْقَاءِ ، وَكَانَ الثَّانِى خَسِيسًا وَاجِبَ الْهَدْمِ ) ( ١ ) .

ومن الاعجاز البيانى فى تفسيره الاستعارة فى التشبيه مثال ذلك فى قوله تعالى : " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ " ( ٢ ) .

قال البيضاوى : ( استعار الذوق لادراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الازاقة عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير :

---

( ١ ) تفسير الرازى ١٩٧/١٦

( ٢ ) سورة النحل آية ١١٢

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً      علقت لضحكته رقاب المال (١)

فانه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقي عليه وأضاف إليه القمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء وقد ينظر إلى المستعار كقوله :

ينازعنى ردائى عبد عمرو      رويدك يا أخا عمرو بن بكر (٢)

لى الشطر الذى ملكت يمينى      ودونك فاعتجز منه بشطر

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجز نظراً إلى المستعار (٣).

أقول والاستعارة فى الآية الكريمة فى لفظ "أذاقها" فهى تستعمل فى المحسوس ، وقد استعملت فى الآية فى غير المحسوس على سبيل الاستعارة ، وقد كثر ذلك الاستعمال عند العرب . وكذلك لفظ "لباس الجوع والخوف" فاللباس يستعمل كذلك فى المحسوس وفى الآية استعمل فى غير المحسوس على سبيل الاستعارة وهو أيضاً يكثر استعماله عند العرب كما بين ذلك البيضاوى واستدل عليه بالشعر .

وقال الآلوسى : ( شبه أثر الجوع والخوف وضررها الفاشى باللباس بجامع الإحاطة والاشتغال ، فاستعير له اسمه وأوقع عليه الأذاقة المستعارة للإصابة ، وأوثر للدلالة على شدة التأثير التى تفوت لو استعملت الإصابة ، ويؤيد العلاقة بأن المدرك من أثر الضرر شبه بالمدرك من طعم المر البشع من باب استعارة

(٢) مجالس العلماء للزجاجى ص ٧١

(٣) تفسير البيضاوى ص ٣٦٨

(١١) ديوان كثير ٩٠/٤ والبيت فى المدح وجاء فى تاج العروس !  
(ومن المجاز رجل غمر الرداء بالفتح وكذلك غمر الخلف أى  
كثير المعروف سنى واسع الخلف ، وإن كان رداؤه صغيراً . )

تاج العروس ١٢/٥٥٩

محسوس لمعقول لأن الوجدانيات لذَّة في قرن العقليات ، وكذا يقال فسى الأول . ولشيوخ استعمال الازاقة في ذلك وكثرة جريانها على الألسنة جرت مجرى الحقيقة ولذا جعل ايقاعها على اللباس تجريداً ، فإن التجريد إنما يحسن أو يصح بالحقيقة أو ما ألحق بها من المجاز الشائع ، فلا فرق في هذا بين أذاقها إياه وأصابها به ، وإنما لم يقل فكأها إيثاراً للترشيح لئلا يفوت ما تقيد به الازاقة من التأثير والادراك وطعم الجوع لما في اللباس من الدلالة على الشمول ( ١ ) .

ومن الاستعارة أيضاً ما جاء في قوله تعالى : " قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعاك رب شقياً " ( ٢ ) .

قال البيضاوى : ( شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم أخرج مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال إلى الرأس ، الذى هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزاً أيضاً للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد يغنى عن التقييد ( ٣ ) .

وهنا أيضاً أتى الله سبحانه وتعالى بلفظ اشتعل وهى تستعمل في النار فأتى بها في بياض الشعر من الشيب لقريضة بين اشتعال النار في الوقود وانتشار بياض الشيب في الرأس وهى شدة السرعة في الانتشار فلما كثر هذا التشبيه استعير لفظ الاشتعال إلى الرأس في انتشار الشيب فيه وتسمى استعارة مكنية .

( ١ ) روح المعانى ٢٤٣/٥

( ٢ ) سورة مريم آية ٤

( ٣ ) تفسير البيضاوى ٤٠٣

قال الشوكاني : ( الاشتعال في الأصل انتشار شعاع الرأس ، فشبه بسبه انتشار بياض شعر الرأس في سداده بجامع البياض والانارة ، ثم أخرج مخرج الاستعارة بالكناية ، بأن حذف المشبه به وأداة التشبيه ، وهذه الاستعارة من أبدع الاستعارات وأحسنها . قال الزجاج : يقال للشيب إذا كثُرَ جداً قد اشتعل رأس فلان . وأنشد لبيد :

( ١ )  
فإن ترى رأسى أمسى واضحاً      سلط الشيب عليه فاشتعل ) .

تلك أمثلة مختارة من الأمثال في القرآن الكريم والتشبيهات والاستعارات . والله سبحانه وتعالى إن يضرب هذه الأمثال يقصد بذلك أموراً عديدة منها تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب ، ومنها الاقتناع بفكرة من الأفكار ، ومنها الترغيب أو التثفير ومنها المدح أو الذم ، ومنها شحذ ذهن المخاطب وغير ذلك في تصوير دقيق وأسلوب رائع من واقع البيئة ليسهل ادراك المعنى وتحصل الفائدة .

.....

## ٤ - العام والخاص

العام والخاص في القرآن الكريم نواتج أنواع علوم القرآن وقد جاء في القرآن على ثلاثة أقسام :

الأول : عام باقٍ على عمومته . مثل : " واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " . (١) وقوله : " إِنْ اللَّهَ لَا يَظِلُّمُ النَّاسَ شَيْئًا " . (٢) وقوله : " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ " . (٣) ينتقد دليل الزركشي في العموم .

الثاني : العام المراد به الخصوص كقوله تعالى : " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ " . (٤) والقاتل واحد هو نعيم بن مسعود أو أعرابي من خزاعة . وقوله : " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ " . (٥) والمحسود رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث : العام المخصوص : والتخصيص إما متصل كقوله " والمحصناتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " . (٦) وقوله : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ " . (٧) وقوله : " وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " . (٨) والمنفصل آية أخرى في محل آخر كقوله تعالى :

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢

(٢) سورة يونس آية ٤٤

(٣) سورة النساء آية ٢٣

(٤) سورة آل عمران ١٧٣

(٥) سورة النساء آية ٥٤

(٦) سورة النساء آية ٢٤

(٧) سورة البقرة آية ١٨٧

(٨) سورة آل عمران آية ٩٧

" والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قُرُوء <sup>(١)</sup> . " خص بقوله : " اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدّة <sup>(٢)</sup> " وبقوله : " وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن <sup>(٣)</sup> . " (٤)

والعام والخاص فى تفسير البيضاوى قد تناول القسمين الأخيرين ؛ وهما العام الذى قصد به الخصوص، والعام المخصوص . وقد تعرض البيضاوى للتخصيص فى القرآن عند تفسيره للآيات التى ورد فيها التخصيص وسين المخصص من الآيات . نذكر فيما يلى أمثلة يتبين منها موقف البيضاوى من العام والخاص فى القرآن الكريم .

ففى تفسير قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير <sup>(٥)</sup> . "

قال البيضاوى بعد تفسيره للآية : ( الأظهر أنها محكمة لكنها مخصوصة <sup>(٦)</sup> ببقوله : " حرّض المؤمنين " وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه <sup>(٧)</sup> فى الحرب )

(١) سورة البقرة آية ٢٢٨

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٩

(٣) سورة الطلاق ٤

(٤) انظر الاتقان ٢/ ٢١ ، ٢٢٠

(٥) سورة الأنفال آية ١٥ ، ١٦

(٦) سورة الأنفال آية ٦٥

(٧) تفسير البيضاوى ص ٢٣٦

والخلاف في الآية ، هل الفرار يوم الزحف مخصوص بيوم بدر أم هو عام في كل زحف إلى يوم القيامة ؟ .

فقال نافع والحسن وقتادة ويزيد بن أبي حبيب والضحاك أَنَّ ذلك خاصُّ بأهل بدر ، فلم يكن لهم أن ينحازوا ، ولو انحازوا لانحازوا للمشركين ، ولم يكن في الأرض يومئذٍ مسلمون غيرهم ، ولا للمسلمين فئة إلاَّ النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس وجمهور العلماء أَنَّ الآية باقية إلى يوم القيامة والدليل على ذلك أَنَّ الآية نزلت بعد القتال وانقضاء الحرب . ( ١ )

والبيضاوي ذكر قولين متشابهين يقابلان قول الجمهور فقال : الأظهر أنَّها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرّض المؤمنين . وقال قيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه في الحرب . وكلا القولين يدلان على معنى واحد لأنَّ الفئة هي فئة النبي صلى الله عليه وسلم وأنَّ التولى ممنوع في ذلك الوقت وهو وقت غزوات النبي صلى الله عليه وسلم . وأما القولُ بأنَّ الآية عامة في كل زحف للمؤمنين إلى يوم القيامة لم يذكره البيضاوي وهو قول الجمهور وهو القول الذي أميل إليه لمورود الحديث الصحيح في ذلك قال مسلم : ( حدثني هارون بن سعيد الأيلي حدثنا بن وهب قال حدثني سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هنَّ ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف

---

( ١ ) انظر أحكام القرآن لابن العربي ١ / ٨٤٣ ، ٨٤٤ وتفسير القرطبي ٤ / ٢٨١٧



وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات<sup>(١)</sup> . فعَدَّ التولى يوم الزحف أحـد  
الموبقات فكل هذه السبعة محرمة إلى يوم القيامة، فثبت أن الزحف محرّم الى  
يوم القيامة .

ومن أمثلة العموم والخصوص فى تفسير البيضاوى ما جاء فى قوله تعالى :  
” يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبىِّ إلاَّ أن يؤذنَ لكم الى طعامٍ غيرِ  
ناظرينَ إناهُ ولكنَّ إذا دُعيتُمْ فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديثٍ  
إنَّ ذلكم كان يؤذي النبىَّ فيستحي منكم والله لا يستحي من الحقِّ ” .<sup>(٢)</sup>

قال البيضاوى الآية خطاب لقوم يتحिनون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم، وإلاَّ لما جاز لأحدٍ  
أن يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام، ولا اللبث بعد الطعام لهم<sup>(٣)</sup> .

خصَّ البيضاوى الآية بقوم كانوا يدخلون بيت النبى صلى الله عليه وسلم )  
ويقعدون منتظرين الطعام فنهاهم الله عن ذلك فمنعهم من الدخول إلاَّ  
بإذنٍ وأن لا يكون دخولهم لانتظار طعام لم يتهيا، فكانت الآية خاصة بهم والى  
هذا ذهب الزمخشري فقال : ( ” أن يؤذن لكم ” فى معنى الظرف تقديره :  
وقت أن يؤذن لكم . و ” غير ناظرين ” حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على  
الوقت والحال معاً كأنه قيل : لا تدخلوا بيوت النبى صلى الله عليه وسلم إلاَّ  
وقت الاذن ، ولا تدخلوها الا غير ناظرين ، وهؤلاء قوم كانوا يتحिनون طعام

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الايمان ٨٢/٢ ، ٨٣ ،

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٣

(٣) تفسير البيضاوى ص ٥٦١

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ، ومعناه :  
لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين  
اناه ، والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصاً لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النسبي  
صلى الله عليه وسلم الا أن يؤذن له اذناً خاصاً وهو الاذن الى الطعام فحسب<sup>(١)</sup>.  
قلت : سبب نزول الآية ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :  
( لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنة جحس دعا القوم فطعموا  
ثم جلسوا يتحدثون . واذ اهو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام  
فلما قام من قام وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذ  
القوم جلوس ثم انهم قاموا ، فانطلقت فجئت فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم ،  
أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ،  
فأنزل الله : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية " <sup>(٢)</sup> . وأخرجه  
مسلم في كتاب النكاح .

وأما ما أورده البيضاوي من أن الآية خطابٌ لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فهو قول ابن عباس لا يقاوم ما في الصحيحين ، واذ كان سبب  
نزول الآية هو مكث أولئك النفر في بيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم زواجه  
بزينب بنت جحس إلا أن حكم الآية عام لكل من اتصف بصفة هؤلاء النفر - ويسمون  
بالثقلاء - لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والى هذا ذهب كثير من

---

(١) الكشف ٣/ ٢٧٠ ، ٢٧١

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب التفسير ١٠/ ١٤٧ ،

(١) (٢) (٣)  
المفسرين كالقرطبي والفخر الرازي والقاسمي وغيرهم .

ومن أمثلة العام والخاص في تفسير البيضاوي ما جاء في تفسير قوله تعالى :  
أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (١) الله فاهدٌ وهم إلى  
صراطٍ الجحيم (٢) .

قال البيضاوي : ( هو عام مخصوص بقوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْهَا  
الْحَسَنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . . . الآية (٣) وفيه دليل على أن الذين ظلموا  
هم المشركون ) (٤) .

قال ابن الجوزي : ( " الذين ظلموا " من حيث هم ، وفيهم قولان :  
أحدهما : - أنهم المشركون . والثاني أنه عام في كل ظالم ) (٥) .  
والذي أراه أن الآية تخص المشركين وأن الظلم الحقيقي هو الكفر كما بيّن  
الفخر الرازي ذلك حين قال : ( ثم ذكر من صفات الذين ظلموا كونهم عابدين  
لغير الله وهذا يدل على أن الظالم المطلق هو الكافر ، وذلك يدل على أن كل  
وعيد ورد في حق الظالم فهو معروف إلى الكفار ، وما يؤكد هذا قوله تعالى :

(١) تفسير القرطبي ٢٢٤/١٤

(٢) تفسير الرازي ٢٢٤/٢٥

(٣) تفسير القاسمي ٢٩٤/١٣ ، ٢٩٥

(٤) سورة الصافات الآيات ٢٢ ، ٢٣

(٥) سورة الأنبياء آية ١٠١

(٦) تفسير البيضاوي ص ٥٩١

(٧) زاد المسير في علم التفسير ٥٢/٧

(١) (٢)

"والكافرون هم الظالمون" .

وبهذا يكون المعنى - والله أعلم - أن الله سبحانه وتعالى توعد المشركين وأمثالهم ومن سار على نهجهم توعدهم بأن يحشرهم في سواء الجحيم، إلا الذين سبق لهم الحسنى وهم المؤمنون الذين سينجيهم الله بفضله وكرمه من شر ذلك اليوم ويدخلهم جنة المأوى .

تلك أمثلة ذكرناها للبيان منهج البيضاوى فى العام والخاص فى القرآن الكريم . وهو نوع من أنواع البلاغة القرآنية وقد جاء القرآن بما ألفه العرب من هذا النوع من البلاغة من العام الذى أريد به الخصوص، أو العام المخصص، أو العام الباقي على عمومته .

.....

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٤

(٢) التفسير الكبير ٢٥ / ١٣١ .

## ٥ - المطلق والمقيد

قال السيوطي : ( المطلق هو الدال على الماهية بلا قيد ، وهو مسموع القيد كالعام والخاص قال العلماء : متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فنلا ، بل يبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده ، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب ) (١)

ومثال المطلق ما جاء في الشهادة في قوله تعالى : " وأشهدوا إذا تباعتم " (٢) وفي قوله تعالى : " فإذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم " (٣) فأطلق الشهادة في البيع ، وفي دفع المال لليتامى . وقد جاءت الشهادة مقيدة بالعدالة في الرجعة والفراق والوصية في قوله تعالى : " وأشهدوا ذوي عدل منكم " (٤) وقوله : " شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم " (٥) وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة في القرآن .

وقد جاء تفسير البيضاوي ذاكراً بذكر المطلق والمقيد ، مبيناً مواضعه مستشهداً بالدليل نذكر من ذلك على سبيل المثال : ما جاء في قوله تعالى : " ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم " (٦)

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٠

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢

(٣) سورة النساء آية ٦

(٤) سورة الطلاق آية ٢

(٥) سورة المائدة آية ١٠٦

(٦) سورة البقرة آية ٢١٧

قال البيضاوى : ( قيد الردة بالموت عليها فى احباط الأعمال كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى ) والمراد بها الأعمال النافعة (١) .  
مذهب البيضاوى على مذهب الشافعى أن احباط العمل مقيد بالموت على الكفر .  
وقد خالفهم المالكية فى ذلك فقالوا : إن احباط العمل غير مقيد بالموت على الكفر بل هو بمجرد الكفر ، أورد الخلاف ابن العربى فقال : ( اختلف العلماء رحمة الله عليهم فى المرتد ، هل يحبط عمله نفس الردة أم لا يحبط إلا الموافاة على الكفر ؟

فقال الشافعى : لا يحبط له عمل إلا بالموافاة كافراً . وقال مالك يحبط بنفس الردة .

ويظهر الخلاف فى المسلم اذا حج ثم ارتد ثم أسلم ، فقال مالك : يلزمه الحج لأن الأول قد حبط بالردة . وقال الشافعى : لا إعادة عليه لأن عمله باق .

واستظهر عليه علماؤنا بقوله تعالى : " لئن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ " (٢) .

وقالوا هو خطاب النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لأنه صلى الله عليه وسلم يستحيل منه الردة شرعاً .

وقال أصحاب الشافعى بل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على طريق التغليب على الأمة ، وبيان أن النبى صلى الله عليه وسلم على شرف منزلته ، لو أشرك لحبط عمله ، فكيف أنتم ؟ لكنه لا يشرك لفضل مرتبته كما قال الله تعالى :

---

( ١ ) تفسير البيضاوى ص ٥٩

( ٢ ) سورة الزمر آية ٦٥

(١) " يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين " .

وذلك لشرف منزلتهن ، والا فلا يتصور اتيان فاحشة منهن ، صيانة لصاحبهن  
المكرم المعظم .

قال ابن عباس حين قرأ : " ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة  
لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما " . (٢) : والله ما بغت امرأة  
نبي قط ولكنهما كفرتا .

وقال علماؤنا : إنما ذكر الموافاة شرطاً ها هنا ، لأنه علق عليها الخلود في النار  
جزاء ، فمن وافى كافراً خلوه في النار بهذه الآية ، ومن أشرك حبط عمله بالآية  
الأخرى ، فهما آيتان مفيدتان لمعنيين مختلفين وحكمين متغايرين ، وما خوطب  
به النبي صلى الله عليه وسلم فهو لأئمة حتى يثبت اختصاصه به ، وما وردت فيسى  
أزواجه صلى الله عليه وسلم فانما قيل ذلك فيهن لبيان أنه لو تصور لكان هتكاً  
لحرمة الدين وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكل هتك حرمة عقاب ، ينزل  
ذلك منزله من عصى في شهر حرام ، أو في البلد الحرام أو في المسجد الحرام ،  
فإن العذاب يضاعف عليه بعد ما هتك من الحرمات والله الواقى لا رب غيره (٣) .

والقول الذي أميل إليه هو قول البيضاوى الذى هو مذهب الشافعى ، أن الآية  
مقيدة . وأن الردة في احباط العمل مقيدة بالموت على الكفر . فان أسلم المرتد  
ومات على الايمان كان له من عمله ما سبق الردة ، لأن الله تعالى لا يضيع أجر

(١) سورة الأحزاب آية ٣٠

(٢) سورة التحريم آية ١٠

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١/١٤٧ ، ١٤٨ .

من أحسن عملا . والله أعلم .

ومما أورد ه البيضاوى من المطلق والمقيد ما جاء فى تفسير قوله تعالى :

" وربائبكم اللاتي فى حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن " ( ١ )

قال البيضاوى : ( الربائب جمع ربيبة والريبب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربه كما يربى ولده فى غالب الأمر فعيل بمعنى مفعول وإنما لحقته التاء لأنه صار اسما ، ومن نسائكم متعلق بربايبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع ) ( ٢ )

معنى كلام البيضاوى أن الاطلاق الذى ورد فى تحريم الربائب مقيد بالربائب من النساء المدخول بهن وهو قول الجمهور وجاءت به السنة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أجاز زواج بنت المرأة إذا طلق أمها قبل أن يدخل بها . وأما قوله تعالى " فى حجوركم " . تقوية للعلة وتكملة لها وليس تقيداً للتحريم لقول جمهور العلماء بذلك .

ومن أمثلة المطلق والمقيد فى تفسير البيضاوى ، ما جاء فى تفسير قوله تعالى :

" والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتأسوا " . ( ٣ )

قال البيضاوى فى تحرير الرقبة : ( أى فعلتهم أو فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايان قياساً على كفارة القتل ) ( ٤ )

---

( ١ ) سورة النساء آية ٢٣

( ٢ ) تفسير البيضاوى ص ١١٤

( ٣ ) سورة المجادلة آية ١٢

( ٤ ) تفسير البيضاوى ص ٢٢٠ / ٢



والمعلوم أن البيضاوى يقول بقول الشافعى وهو تقييد الرقبة بالايمان، وهو قول مالك أيضا وخالفهما أبو حنيفة فى ذلك فانه لم يقيد الرقبة بالايمان بل جعلها عامة فى المؤمن والكافر . أورد الخلاف الفخر الرازى فى تفسيره فقال : قال أبو حنيفة رحمه الله هذه الرقبة تجزى سواء كانت مؤمنة أو كافرة، لقوله تعالى : " فتحرير رقبة " فهذا اللفظ يفيد العموم فى جميع الرقاب . وقال الشافعى : لا بُدَّ وأن تكون مؤمنة ودليله . وجهان : -

الأول : أنَّ المشرك نجس لقوله تعالى : " إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ " . (١) وكل نجس خبيث باجماع الأمة وقال تعالى : " وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ " . (٢)

الثانى : أجمعنا على أن الرقبة فى كفارة القتل مقيدة بالايمان . فهكذا هاهنا ، والجامع أن الاعتاق انعام . فتقيده بالايمان يقتضى صرف هذا الانعام إلى أولياء الله وحرمان أعداء الله ، وعدم التقييد بالايمان قد يفضى الى حرمان أولياء الله ، فوجب أن يتقيد بالايمان تحصيلاً لهذه المصلحة . (٣) واضح من ذلك أنَّ قول الشافعى قوى تسنده الأدلة وقد قال به البيضاوى ، وأورد من غير ذكر المعارض واكتفى بقياس الآية على كفارة القتل، ولو ذكر رد الشافعى هذا على أبى حنيفة لوضح الأمر واطمأنت إليه النفس.

وعلى كل فالبيضاوى فى تفسيره دقيق التعبير ولكنه مختصر العبارة فيذكر الآيات التى تقيد المطلق وتخصص العام وغير ذلك فى ايجاز واختصار .

---

( ١ ) سورة التوبة آية ٢٨

( ٢ ) سورة البقرة آية ٢٦٧

( ٣ ) التفسير الكبير ٢٩ / ٢٥٩ .

## ٦ - موهم الاختلاف

وردت في القرآن الكريم بعض الآيات التي في ظاهرها الاختلاف والتعارض، فقام بعض العلماء في الجمع بين الآيات وإزالة شبه الاختلاف وقد كان للبيضاوي دور في هذا المجال ودلو مع الدلاء . فكان له في تفسيره مواقف في جمع الآيات التي في ظاهرها التعارض . مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : " فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ " (١) .

قال البيضاوي : ( لا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض ) " وأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون " (٢) . لأنه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (٣) .

وهو توجيه جيد للآية لأن يوم القيامة مواقف فعند النفخة الثانية يجتمع الخلائق كل مع فئته يجمع بينهم الإيمان وعدمه والعمل الصالح والطالح، لا يجمع بينهم النسب كما في الدنيا، ولا يسأل أحدٌ أحداً، لأنه لا ينفع هناك مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فما دام النفع لا يتأتى من أقرب الأقربين، فلا داعي للكلام والسؤال، لأنه لا طائل تحته . وأما بعد المحاسبة واجتماع أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، يسأل أهل الجنة بعضهم بعضاً عن أخبار الدنيا وما كان فيها، وكذلك أهل النار بل ويسأل أصحاب الجنة أصحاب النار وغير ذلك من الكلام والسؤال فلا تعارض بين الآيات .

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٠١

(٢) سورة الصافات آية ٢٧

(٣) تفسير البيضاوي ص ٤٦٠

ومنها ما جاء في قوله تعالى : " والذين يَجْتَبُونَ كِبَاءَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم يُنفقون . والذين إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ " (١) . قال البيضاوى : ( والذين إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ عَلَى مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ كِرَاهَةً التَّدَلُّلِ . وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل . وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فإنه ينبئ عن عجز الغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم لأنه اجراء واغراء على البغى ) (٢) ومنها ما جاء في قوله تعالى : " وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ " (٣) . قال البيضاوى : ( والمعنى سل ربنا أن يقضى علينا من قضى عليه إِذَا أَمَاتَهُ وهو لا ينافى ابلاسهم . في قوله تعالى : " لَا يَقْتَرِعْنَهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ " (٤) فإنه جَوَّار وتَمْنَى للموت من فرط الشدة ) (٥) .

والابلاس في اللغة معناه اليأس والحزن جاء في مختار الصحاح : ( اَبْلَسَ من رحمة الله أى يئس ومنه سُمِيَ إبليس وكان اسمه عزازيل والابلاس أيضا الانكسار والحزن يقال اَبْلَسَ فلان إِذَا سَكَتَ غَمًّا ) (٦) .

(١) سورة الشورى ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩

(٢) تفسير البيضاوى ص ٦٤١

(٣) سورة الزخرف آية ٧٧

(٤) سورة الزخرف آية ٧٥

(٥) تفسير البيضاوى ص ٦٥٤

(٦) مختار الصحاح ص ٦٣

فالبيضاوى جمع بين سوء ال أصحاب النار مالك ليضى الله عليهم وسين  
يأسهم وهو بلاسهم وسكوتهم حزنا فييد أون بالسؤال والصراع وتمنى الموت فحينما  
يعلمون أنهم ماكنون فى النار ولا اجابة لطلبهم يحصل لهم البلاس ، وعبارة  
البيضاوى مختصره لا يتبين منها المعنى بوضوح .

ومنها ما جاء فى قوله تعالى : " وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبدون " ( ١ )  
قال : ( لما خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم  
متعلقاً بها مبالغة فى ذلك ، ولو حمل على ظاهره مع أن الدليل يمنعه لنافى  
ظاهر قوله : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس " ( ٢ ) وقيل معناه  
لأنهم بالعبادة ، أو ليكونوا عباداً لى ( ٣ ) .

وقال الكازرونى فى حاشيته على البيضاوى : ( يمكن الجمع بجعل اللام لجهنم  
للعاقبة كما فى قوله تعالى : " فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً " ( ٤ ) . ( ٥ )  
وأورد القرطبى أقوالاً كثيرة فى الجمع بين الآيات فقال : ( قيل إنَّ هذا خاص  
فيمى سبق فى علم الله أنه يعبد ه ، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص . والمعنى :  
وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلاَّ ليوحدون . قال القشيرى : والآية  
دخلها التخصيص على القطع ، لأنَّ المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى

---

( ١ ) سورة الذاريات آية ٥٦

( ٢ ) سورة الاعراف آية ١٧٩

( ٣ ) تفسير البيضاوى ص ٦٩٣

( ٤ ) سورة القصص آية ٨

( ٥ ) حاشية الكازرونى على تفسير البيضاوى ٩٨ / ٥

يقال أراد منهم العبادة ، وقد قال الله تعالى : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس<sup>(١)</sup> . ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة ، فالآية محمولة على المؤمنين منهم ، وهو كقوله تعالى : " قالت الأعرابُ آمنا " .<sup>(٢)</sup> وإنما قال فريقٌ منهم . ذكره الضحاك والكلبي والفراء والقتبي . وفي قراءة عبد الله . " وما خلقت الجن والانس من المؤمنين إلا ليعبدون " . وقال على رضى الله عنه : أى وما خلقت الجن والانس إلا لأمرهم بالعبادة واعتمد الزجاج على هذا القول ويدل عليه قوله تعالى : " وما أمروا إلا ليعبدوا لها واحداً<sup>(٣)</sup> . فإن قيل : كيف كفروا وقد خلقهم للاقرار بربوبيته والتذلل لأمره ومشيتته ؟ قيل : قد تذللوا لقضائه عليهم ، لأنَّ قضاءه جار عليهم لا يقدرّون على الامتناع منه ، وإنما خالفهم من كفر فى العمل بما أمره به ، فأما التذلل لقضائه فإنه غير مستنع منه . وقيل إلا ليعبدون : أى إلا ليقروا لى بالعبادة طوعاً أو كرهاً . رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس . فالكره ما يرى فيهم من أثر الصنعة وقال مجاهد : إلا ليعرفونى . وقال الثعلبي : وهذا قول حسن ، لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده . ودليل هذا التأويل فى قوله تعالى : " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله " .<sup>(٤)</sup> و " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم " .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) سورة الاعراف آية ١٧٩

( ٢ ) سورة الحجرات آية ١٤

( ٣ ) سورة التوبة آية ٣١

( ٤ ) سورة الزخرف آية ٨٧

( ٥ ) سورة الزخرف آية ٩

وما أشبه هذا من الآيات . وعن مجاهد أيضاً : **إِلَّا لَأْمُرْهُمْ وَأَنْهَاهُمْ** ، وعن زيد بن أسلم : **هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة ، فخلق السعداء من الجن والإنس للعبادة ، وخلق الأشقياء منهم للمعصية . وعن الكلبي أيضاً :**  
**إِلَّا لِيُوحِدُونَ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُوحِدُهُ فِي الشَّدَةِ وَالرِّخَاءِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُوحِدُهُ فِي الشَّدَةِ وَالْبَلَاءِ دُونَ النِّعَةِ وَالرِّخَاءِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : " وَإِذَا غَشِيَهِمْ مَوِجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " .**<sup>(١)</sup> **الآية وقال عكرمة : إِلَّا لِيُعْبَدُونَ وَيُطِيعُونَ فَأُثِيبَ الْعَابِدُ وَأَعَاقِبَ الْجَاهِدُ . وقيل المعنى إِلَّا لَأَسْتَعْبِدَ لَهُمْ . والمعنى متقارب تقول عبد بين العبودية والعبودية ، وأصل العبودية الخضوع والذل . والتعبد التذليل يقال طريق معبد . قال :**

**ووظيفاً وظيفاً فوق مورٍ معبد (٢) .**

**والتعبد والاستعباد وهو أن يتخذه عبداً . وكذلك الاعتبار . والعبادة الطاعة ، والتعبد : التنسك . فمعنى ليعبدون ليزلوا ويخضعوا ويعبدوا .**<sup>(٣)</sup>  
 هذه هي الأقوال التي ذكرها القرطبي وقد ذكر البيضاوي جزءاً منها وهي قوله لنا مرهم بالعبادة ، وقوله ليكونوا عباداً لي ، ولكي القول الذي أرجحه هو القول الأول الذي قال به الضحاك والكلبي والفراء والقنبري ، وهو **أَنَّ** الآية جاءت بلفظ العموم وهي خاصة بأهل السعادة من المؤمنين فهؤلاء خلقوا

(١) سورة لقمان آية ٣٢

(٢) القائل هو طرفه بن العبد والبيت من معلقته وصورة تبارى عتاقا ناجيات وأتبع والوظيفة عظم الساق . وقوله أتبعته وظيفا وظيفا أي أبعته وظيف يد ها وظيف رجلها ويستحب من الناقة أن تجعل رجلها في موضع يد ها اذا سارت ، والمور الطريق .

(٣) تفسير القرطبي ٥٥/١٧ ، ٥٦ .

لتوحيد الله تعالى وأما الكفار فقد خلقهم الله لجهنم وأرجح هذا القول لعدة أسباب :-

منها أنه يوافق قراءة عبد الله بن مسعود "وما خلقت الجن والانس من المؤمنين إلا ليعبدون". فانها وان كانت شاذة فهي قراءة تفسيرية ومنها أنه يزيح الاشكال ويوافق السياق، وأن اللفظ العام يراد به الخصوص كثيراً في القرآن الكريم كما أوردنا من قبل .

ومنها أنه قول جمهور العلماء كالضحاك والكلبى والفراء والقتبى والقشيري .

ومن أمثلة الجمع بين الآيات التي يظن أن ظاهرها التعارض ما جاء في تفسير قوله تعالى : "عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنَدٌ خَضِرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ" وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا" (١)  
 ﴿وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾  
 قال البيضاوى : ( عطف على ويطوف عليهم . ولا يخالفه قوله أساور من ذهب لا مكان الجمع ، والمعاقبة والتبعيض ، فَإِنَّ حَلَّى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَعْمَالِهِمْ . فَعَلَّاهُ تَعَالَى يَفِيزُ عَلَيْهِمْ جَزَاءً لِمَا عَمَلُوهُ بِأَيْدِيهِمْ حَلِيًّا وَأَنْسَوْرًا تَتَفَاوَتُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ . أَوْ حَالٍ مِنَ الضَّمِيرِ فِي عَالِيَهُمْ بِاضْمَارٍ قَدْ وَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا لِلْخَدَمِ وَذَاكَ لِلْمَخْدُومِينَ ) (٢).

فالبيضاوى حاول الجمع بين قوله تعالى : " وحلوا أساور من فضة " . وبين قوله تعالى : " يحلون فيها من أساور من ذهب " . (٣) حاول الجمع

(١) سورة الانسان آية ٢١

(٢) تفسير البيضاوى ص ٧٧٦

(٣) سورة الكهف آية ٣١

فقال بالمعاقبة والتبعيض . وهو أن يلبسوا الذهب والفضة كل حسب عمله ،  
فما فضل أخيه لبس ذهباً والمفضول لبس الفضة ، أو يلبسون حيناً ذهباً  
والحين الآخر فضة ، أو يلبس الخدم وهم الولدان الفضة ويلبس المخدومين  
وهم المؤمنين الذهب . هكذا حاول البيضاوى الجمع بين الآيات التي في  
ظاهرها التعارض في تفسيره مستعيناً بالآثار وأقوال المفسرين وما يوصله إليه  
اجتهاده .

.....



# الباب الثالث

## البيضاوى وتفسيره فى الميزان

### فصوله

- الفصل الأول :  
آراء العلماء فيه والماخذ التى اخذت عليه .
- الفصل الثانى :  
تفسيره بين كتب التفسير بالرأى .
- الفصل الثالث :  
ميزة تفسيره وقيمة العلمية .

# الفصل الأول

آراء العلماء فيه والمآخذ عليه

- ١- آراء العلماء فيه .
- ٢- المآخذ التي أخذت عليه .

## آراء العلماء فيه

~~~~~

تفسير البيضاوى كغيره من التفاسير تناوله العلماء بالنقد والدراسة ،
والتعليق . فتتبعوا آراءه بالنقد . وتحقيقاته بالدراسة وأسلوبه بالتعليق
فمنهم من مدح وأثنى وفض الطرف عن الكبوات واعتذر عن الأخطاء والهفوات ،
ومنهم من أحق الحق وأبطل الباطل فمدحه فى مواضع الاجادة وذمه فى مواطن
الأخطاء والعثرات فسبحان الذى اتصف بصفات الكمال وتنزه عن الأخطاء والنقصان
وجعل النقص فى خلقه علامة على الاحتياج إليه إنه هو العلى المقدير .

ومن العلماء الذين تحدّثوا عن تفسير البيضاوى ، حاجى خليفة صاحب
كتاب كشف الظنون ، فأشار/مصادره التى أخذ عنها ، وما أودعه من البلاغة
وعلم الكلام فقال : (وتفسيره هذا كتاب عظيم الشأن ، غنى عن البيان . لخص
فيه من الكشف ما يتعلق بالإعراب والمعانى والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق
بالحكمة والكلام ، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق
ولطائف الاشارات . وضمّ إليه ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة ، فجلا رين
الشك عن السريرة ، وزاد فى العلم بسطة وبصيرة ، كما قال مولانا المنشى :

أولوا الألباب لم يأتوا بكشف قناع ما يتلى

ولكن كان للقاضى يد بيضاء لا تبلى

ولكونه متبحراً جال فى ميدان فرسان الكلام ، فأظهر مهارته فى العلوم حسبما
يليق بالمقام . كشف القناع تارة عن وجوه محاسن الإشارة وملك الاستعارة ، وهتك
الاستنار أخرى عن أسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها ، وترجمان المناطقة
وميزانها . فحل ما أشكل على الأنام وذلك لهم صعب العرام (١) .

(١) كشف الظنون ١/١٢٧ .

وتحدث حاجي خليفة عن منهج البيضاوي في تناوله للمباحث العلمية وإيراده للأدلة وذكره للمراجع والمرجوح فقال : (وأورد في المباحث الدقيقة ما يؤمن به عن الشبه المضلة ، وأوضح لهم مناهج الأدلة ، والذي ذكره من وجوه التفسير ثانياً أو ثالثاً أو رابعاً بلفظ قليل ، فهو ضعيف ضعف المرجوح أو المردود) (١) .

وتحدث حاجي خليفة أيضاً عن موقف البيضاوي من آيات الصفات والسمعيات وذكر مذهب التأويل الذي سار عليه علماء الكلام في ذلك الوقت كالأشاعرة والماتريدية وبعض المعتزلة واستحسن ذلك المذهب حاجي خليفة ودافع عنه ونسبه إلى أهل السنة والجماعة فقال : (وأما الوجه الذي تفرّد فيه ، وظنّ بعضهم أنه مما لا ينبغي أن يكون من الوجوه التفسيرية السنية ، كقوله : (وحمل الملائكة العرش وحفيهم حوله ، مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له) ونحوه ، فهو ظنّ لعله يقصر فهمه عن تصور مبانيه ، ولا يبلغ علمه إلى الاحاطة بما فيه ، فمن اعترض بمثله على كلامه كأنه ينصب الحباله للعنقاء ، ويروم أن يقتض نسر السماء ، لأنّه مالك زمام العلوم الدينية ، والفنون اليقينية على مذهب أهل السنة والجماعة وقد اعترفوا قاطبة بالفضل المطلق ، وسلموا إليه (٢) .

وهذا الكلام لا يخلو من التناقض ، فمرة يذكر أنه تفرّد بهذا القول ومرة ينسبه إلى أهل السنة والجماعة وقد تقدّم الكلام في ذلك وأن مذهب السلف

(١) كشف الظنون ١٢٧/١

(٢) نفس المرجع .

الصالح هو الايمان بالصفات وامرارها كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل .
ثم تحدث حاجي خليفة عن ايراد البيضاوى للأحاديث الموضوعة والضعيفة
فى أواخر السور واعتذر له عذراً لا يفي بالغرض ولا تقوم به حجة فقال :
(وأما أكثر الأحاديث التى أوردها فى أواخر السور ، فإنه كونه ممن
صفت مرآة قلبه ، وتعرض لنفحات ربه ، تسامح فيه وأعرض عن أسباب
التجريح والتعديل ، ونحا نحو الترغيب والتأويل ، عالماً بأنها مما فاه
صاحبه بزور ، ودلى بفرور) (١)

ثم ذكر الحواشى والتعليقات التى أتى بها العلماء فى دراستهم للبيضاوى
وعده منها ما يفوق الخمسين نذكرها فى موضعها إن شاء الله .

ومن هذه الحواشى حاشية جلال الدين السيوطى التى سماها (نواهد
الأبكار وشواهد الأفكار) قال فيها : (إنَّ القاضى ناصر الدين البيضاوى
لخص هذا الكتاب فأجاد ، وأتى بكل مستجد ، ومار فيه أماكن الاعتزال ،
وطرح موضع الدسائس وأزال ، وحرر مهمات ، واستدرك تنمات ، فظهر كأنه
سبيكة تضار ، واشتهر اشتهاى الشمس فى رائحة النهار ، وعكف عليه العاكفون ،
ولم يهج بذكر محاسنه الواصفون . وذاق طعم دقائقه العارفون . فأكبَّ عليه
العلماء تدريساً ومطالعة ، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارة) (٢)

ومن أصحاب الحواشى الذى علقوا على تفسير البيضاوى ومد حوه "الشهاب
الخفاجى" صاحب الحاشية المسماة : (عناية القاضى وكفاية الراضى) . قال فى

(١) كشف الظنون ١ / ١٢٨

(٢) نقلاً عن التفسير والمفسرون ١ / ٣٠١ ، ٣٠٢

مقدمة الحاشية : (وتفسير البيضاوى له من بينها اليد البيضاء لاقتناصه
روائع الأصولين ، وبدائع الشريعة الفراء ، وقد تقدم رتبة وان جاز منه أخيراً ،
فلسان حاله يتلو ولا يأتونك بمثل الا جهنك بالحق وأحسن تفسيراً . وان
أمعنت فى تأويله نظراً ليس حسراً ولا كليلاً فهو خير وأحسن تأويلاً (١) .
وبالغ فى المدح المسجوع والتكلف الظاهر المصنوع . إلا أنه تتبع
الأحاديث التى أتى بها البيضاوى فى فضائل السور ، وهى الأحاديث التى حكم
عليها بالوضع تتبعها الشهاب الخفاجى وعلق عليها حديثاً حديثاً .
ومن العلماء الذين تحدثوا عن البيضاوى محمد حسين الذهبى فى كتابه
التفسير والمفسرون فأثنى على البيضاوى خيراً وقال انه اختصر تفسيره من الكشاف ،
ولكنه جرده من الاعتزالات التى ذهب إليها الزمخشري . ولكن الذهبى سرعان ما
بدأ فى مآخذ البيضاوى وأوضح تتبعه لصاحب الكشاف فى اعتقادات تخالف
ما ذهب إليه جمهور العلماء فقال : (وقد اختصر البيضاوى تفسيره من الكشاف
للمزمخشري ، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات ، وإن كان أحياناً يذهب إلى ما يذهب
إليه صاحب الكشاف . ومن ذلك أنه عندما فسّر قوله تعالى : " الذين يأكلون
الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس . . الآية " (٢)
وجدناه يقول : (إلا كقيام المصروع ، وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان
يخبط الانسان فيصرع . . . ثم يفسر المس بالجنون ويقول : وهذا أيضاً
من زعماتهم أن الجن يمس الرجل فيختلط عقله) (٣) . ولا شك أن هذا

(١) غناية القاضى وكفاية الراضى ٣/١

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٥

(٣) تفسير البيضاوى ٢٦٧

موافق لما ذهب إليه الزمخشري من أن الجن لا تسلط لها على الإنسان
إلاَّ بالسوسة والاغواء (١).

ويستمر محمد حسين الذهبي في ذكر المآخذ على البيضاوي فيتعرض
الى أحاديث فضائل السور ويلومه عليها كل اللوم. ثم يتعرض إلى أسلوب
البيضاوي ومنهجه وموقفه من القراءات والنحو وآيات الأحكام، فيقول :
(وكذلك استمد البيضاوي تفسيره من التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب
للغفر الرازي ، ومن تفسير الراغب الأصفهاني ، وضم لذلك بعض الآثار
الواردة عن الصحابة والتابعين ، كما أنه أعمل فيه عقله ، فضمنه نكتاً بارعة ،
ولطائف رائعة ، واستنباطات دقيقة ، كل هذا في أسلوب رائع موجز ،
وعبارة تدق أحياناً وتخفى ، إلاَّ على ذي بصيرة ثاقبة ، وفطنة نيرة ، وهو
لهتم أحياناً بذكر القراءات ، ولكنه لا يلتزم المتواتر منها فيذكر الشاذ ، كما
أنه يعرض للصناعة النحوية ، ولكن بدون توسع واستفاضة ، كما أنه يتعرض
عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية بدون توسع منه في ذلك ، وإن كان
يظهر لنا أنه يعميل غالباً لتأييد مذهبه وترويجه . . .) (٢) ثم يذكر الذهبي
موقف البيضاوي من الاسرائيليات ويمدحه على تحذره منها وإيرادها قليلة فسي
تفسيره ويضرب مثلاً لذلك فيقول : (والبيضاوي رحمه الله مقل جداً من ذكر
الروايات الاسرائيلية . وهو يصدر الرواية بقوله : روى أوقيل ، اشعاراً منه
بضعفها . فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : " فمكث غير بعيد " فقال أحطت بما

(١) التفسير والمفسرون ص ٢٩٨

(٢) التفسير والمفسرون ص ٢٩٨

(١) لم تُحِطْ به وجئتُك من سبيلٍ نبأ يقينٌ . يقول بعد فراغه من تفسيرها : (روى أنه عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج . . الخ) القصة التي يقف البيضاوى بعد روايتها موقف الموجز لها ، غير القاطع بصحتها حيث يقول ما نصه : (وَلَعَلَّ فِي عَجَائِبِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَمَا خَصَّ بِهِ خَاصَّةَ عِبَادِهِ أَشْيَاءَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ يَسْتَكْبِرُهَا مَنْ يَعْرِفُهَا وَيَسْتَنْكَرُهَا مَنْ يَنْكَرُهَا) (٢) .

ويختم الذهبي كلامه بالشناء على تفسير البيضاوى ويقول : (وجملة القول ، فالكتاب من أمهات كتب التفسير ، التي لا يستغنى عنها مَنْ يريد أن يفهم كلام الله تعالى ، ويقف على أسرارهِ ومعانيهِ . وهو مطبوع منه طبعات ومتوسط فى حجمه) (٣) .

ومن العلماء الذين تحدّثوا بأسهابٍ عن البيضاوى وتفسيره وبيان منزلته بين كتب التفسير بالرأى "محمد الفاضل بن عاشور" الذى بيّن مصادر البيضاوى ومنهجه فى كتابه التفسير ورجاله . فقال : (وكان المنهج المتبع فى تصنيف البيضاوى والأسلوب المحتذى فى تحريره ، هما المنهج والأسلوب اللذين جرى عليهما مصطلح التأليف العلمية فى عامة الفنون من أول القرن السابع - من حيث الاختصار ، ودقة التعبير والتزام المصطلح العلمى ، والإشارة إلى ما يتفرّع عن التعبير من معانٍ يكتفى بحضورها فى الذهن عن ذكرها ثم تؤخذ مبانى لما يأتى به التعبير بعدها .

(١) سورة النمل آية ٢٢

(٢) تفسير البيضاوى ص ٥٠٢

(٣) التفسير والمفسرون ص ٣٠٤

فأصبح من مجموع هذه الخصائص لتفسير البيضاوى ميزه واضحة مزجت بين طريقته وبين مألوف الطباع ومتعلق الميول يومئذٍ من طرائف شاعت ففى التأليف وبنيت عليها المناهج الدراسية ، وبذلك عظم صيت الكتاب وطار ذكره وأقبل الناس عليه ، إن وجدوا فيه الضالة المنشودة من التفسير العلمى على الطريقة التحليلية اللفظية ، التى عظمت بها من قبل شهرة تفسير الكشاف ، فى ما يحب الناس منه ، وخلص أو كاد مما ينفروهم من الكشاف ويساعد بينهم وبينه على نحو قول الأحوص :

إِنِّى لَاصْنَعُ الصَّدْوَدَ وَأَنْصَنِي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدْوَدِ لِأَمِيلِ

وانه ما يلاحظ فى هذا الصدد أن تفسير الكشاف لم يعظم رواجه ويتعلق به علماء أهل السنة هذا التعلق المزيج من الحب والحذر ، إلا ففى ذلك القرن السابع ، إن انصرف الكاتبون الى التعليق عليه بالتنبيه على مواقع الأنظار الاعتزالية منه وتمييزها وردها ، إن ظهر من هؤلاء فى النصف الثانى من القرن السابع ، معاصرون للبيضاوى أو متقدمون عليه بقليل ، أمثال ابن المنير الاسكندرى صاحب " الانتصاف " فكان بروز البيضاوى بتفسيره ملخصاً من الكشاف زائداً عليه مبرراً من سقطاته برداً وسلاماً على تلك القلوب التى كانت تهفو الى الكشاف وتتهيبه . وبذلك أصبح تفسير البيضاوى ، منذ اشتهاره ورواجه مروجاً للكشاف مدخلاً اياه فى معاهد وبيئات علمية لم يكن يتصل بها من قبل . لأن الدارسين للبيضاوى قد تعلقوا فى سبيل الاتقان دراسته والوفاء بحق البيان لاشاراته والكشف عن مرامى عباراته ، إلى الوقوف على كلام صاحب الكشاف وتبعه وتحليله ، فأصبحت دراسة البيضاوى دراسة للكشاف بواسطة ،

وبذلك لم تتوفر حواشى الكشاف إلا فى القرن الثامن وما بعده ، ولم تطلع غالباً إلا من الآفاق العلمية التى كانت مستتيرة بالبيضاوى وتأليفه ، بحيث أصبحت الأنظار متجاذبة والبحوث متبادلة بأطراف بين حواشى الكشاف وحواشى البيضاوى ، كأن محرريها مجتمعون فى مجلس واحد ، على نحو ما يرى من مباحث جدلية بين حواشى ابن التمجيد ، والعصام ، وسعدى وعبد الحكيم السيالكونى على البيضاوى ، مع حواشى الطيبى والقطبين الرازى والشيرازى ، والسعد التفتازانى ، والسيد الجرجانى على الكشاف ، حتى إن كلام الواحدة من تلك الحواشى على الكشاف كانت أوعلى البيضاوى ، لا يكاد يتضح معناه الا بالوقوف على كلام الأخرى من حواشى البيضاوى أو حواشى الكشاف كذلك . وما هذا المعنى من المنازع إلا أثر تلك الدروس الحافلة لتفسير البيضاوى التى استوعب فرسان ميادينها ما حول الكتابين ، تفسير البيضاوى والكشاف فعرضوها فى معرض التقرير الحكيم ، ثم ناقشوها بالنقد والمقارنة والمعارضة ، حتى اتصل ما بين بعضها وبعض فى تلك المجالات التقريرية العالية اتصالاً كوّن بينها لحمة نظرية فجعلها عناصر وحدة موضوعية متكاملة ، وبذلك كان كل جيل من أجيال العلماء ينقضى يترك وراءه من تلك البحوث الصعبة أوقاراً على ظهور الجيل الناشئ يزد بها تدريس البيضاوى على متعاطيه مشقة وصعوبة ، حتى أصبح تدريسه منتهى مبلغ الهمم العلمية وميزان الملكات والمواهب ، فوضع فى أعلى الهيكل الهرمى لمواد التخرج فى العلوم الاسلامية ، وعت منزلته تلك أقطار الاسلام فى المشرق والمغرب ، فتأصلت منزلته أولاً فى الشرق الأوسط والشرق الأقصى ، والتزم فى المناهج الدراسية ببلاد فارس وبلاد الأفغان

والأقطار الهندية ، ثم كان فى جملة ما تسرب من الملتزمات التعليمية من البلاد الفارسية الى آسيا الصغرى وعموم الممالك العثمانية ، واشتهر بمصر من قبل الفتح العثمانى ، إذ كان من الكاتبين عليه من العلماء المصريين فى أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر ، القاضى زكريا الأنصارى ، والإمام السيوطى ، وعظم شأنه فى القرن العاشر بانتظام أهم معاهد العلم فى البلاد العربية فى تاج الخلافة العثمانية ، وخاصة الجامع الأزهر ، وجامع الزيتونه . وبذلك تقاربت مناهج التعليم بين البلاد الاسلامية كلها ، على الطريقة الأعجمية ، فأصبح تفسير البيضاوى ملتزم التدريس من أقاصى الهند إلى المغرب الأقصى ، وزاد اعتزازا فى القرن الحادى عشر بالحاšيتين الشهيرتين اللتين كتبتا عليه : احدهما بلاهور عاصمة بلاد البنجاب من الباكستان الغربية وهى حاشية المحقق عبد الحكيم السىالكوتى ، التى سارت مثلاً فى التحقيق والتحليل وصواب النظر ، ورشاقة العبارة ، والاغراق فى الإشارة ، حتى اعتبرت عنقاء الدارسين وأبدة الناظرين . والحاشية الثانية من حواشى القرن الحادى عشر هى حاشية العلامة المصرى الأزهرى النشأة شهاب الدين الخفاجى التى سماها : " عناية القاضى وكفاية الراضى " . وهى تامة بخلاف حاشية عبد الحكيم ، وواسعة كثيرة المباحث والفوائد وسعت دائرة تفسير البيضاوى علما أكثر مما وسعتها نقداً وبحثاً .

وان الذى عُدَّ فى كتاب كشف الظنون فقط من الحواشى والتعليق على تفسير البيضاوى ليقرب عدة من خمسين ، فضلاً عما لم يذكر فيه مما كتب بعد مثل الحاشيتين الهامتين ، حاشية عبد الحكيم وحاشية

(١)

الخافجى) .

ثم تعرض ابن عاشور الى مآخذ البيضاوى فذكر ما أورده البيضاوى من الأحاديث الموضوعة والضعيفة فى أواخر السور وقال إِنَّ البيضاوى وقع فى ما وقع فيه صاحب الكشاف فى التهاون فى ذكر الأحاديث وعدم التحرى فسى درجة الصحة وهو خطأ لا ينجى منه تأويل المتأولين واعتذار المعتذرين .
تلك أمثلة من أقوال العلماء على البيضاوى وتفسيره وما فيها من احقاق حق وابطال باطل أو اعتذار فى غير موضعه .

.....

الماخذ التي أخذت عليه

أخذت على البيضاوى فى تفسيره بعض المآخذ ، منها ما هو خطير يصعب الاعتزاز عنه ، ومنها ما هو يسير يمكن الاعتزاز عنه ، والتماس المخارج له .

ومن أخطر ما أخذ على البيضاوى فى تفسيره ذكره الأحاديث الموضوعة وخاصة الأحاديث التى تذكر فضائل السور ، فقد أورد ها البيضاوى فى عقب كل سورة ولم ينبّه على وضعها وتركها للقارىء من غير تعليق وهو مأخذ كبير على تفسيره .

والأحاديث الموضوعة فى كتب التفسير تشكل أمراً هاماً وخطيراً يجب التنبيه له والتحذير منه ، وقبل ذكر الأحاديث الموضوعة فى تفسير البيضاوى يحدو بنا المقام أن نتعرض إلى قصة الوضع فى التفسير من ناحية عامة والأسباب التى أدت الى ذلك وكيفية التخلص من هذه المشكلة .

.....

الوضع فى التفسير

ظهر الوضع فى التفسير عند ظهور الفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج ، فظهر أهل الأهواء والبدع وتعصبوا لأهوائهم وبدعهم، وجعلت كل طائفة من هذه الطوائف أن تؤيد مذهبها بالأحاديث الموضوعة فى تفسير القرآن وغيره ، فنسب الشيعة إلى عليٍّ وغيره من أهل البيت رضى الله عنهم أقوالاً كثيرةً فى التفسير تشهد لمذهبهم . كما وضع الخوارج كثيراً من التفسير يشهد لمذهبهم ، وكان أكثر نسبة الأحاديث الموضوعة إلى عليٍّ وابن عباس . وكذلك من أسباب الوضع فى التفسير ما وضعه أعداء الإسلام الذين اندسوا بين المسلمين متظاهرين بالإسلام لهدم الدين، بعد أن عجزوا عن ذلك بالحرب والقوة . ومن أسباب الوضع فى التفسير السُّدُج الذين وضعوا الأحاديث بحسن نية ظناً منهم أن المسلمين انشغلوا بغير القرآن واعترفوا بوضعها .

وقبَّح الله سبحانه وتعالى لكل تلك الأصناف رجالاً ذبُّوا عن القرآن والسنة المطهرة تلك الموضوعات وبينوا الصحيح من الموضوع من الضعيف، وهو نوع من أنواع حفظ الدين الذى قال الله تبارك وتعالى فيه : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " . (١)

قال السخاوى فى شرحه لألفية الحديث للزوين العراقى :

(الواضعون جمع واضع وهم جمع كثيرون معروفون فى كتب الضعفاء . خصوصاً الميزان للذهبي ولسانه لشيخنا، بل أفردهم الحافظ البرهان الحلبي فى تأليف سماه الكشف الحثيث عن رمى بوضع الحديث) ، ويختلف حالهم فى الكثرة والقلّة

وفى السبب الحاصل لهم على الوضع فكانوا فى ذلك أصنافاً صنف كالزنادقة وهم المبطنون للكفر المظهرون للإسلام، أو الذين لا يتدينون بدِينٍ يفعلون ذلك استخفافاً بالدين ينقلوا به الناس .

فقد قال حماد بن زيد فيما أخرجه العقيلي أنهم وضعوا أربعة عشر ألف حديث ، وقال المهدي فيما روينا عنه أقرَّ عندى رجل من الزنادقة بوضع مائة حديث فهي تجول فى أيدي الناس .

ومنهم الحارث الكذاب الذى ادعى النبوة ، ومحمد بن سعيد المصلوب والمغيرة بن سعيد الكوفي وغيرهم ، كعبد الكريم بن أبي العوجاء خال معن ابن زائدة الذى أمر بقتله وصلبه محمد بن سليمان بن على العباسي أمير البصرة فى زمن المهدي، بعد الستين ومائة واعترف حينئذ بوضع أربعة آلاف حديث يحرم حلالها ويحل حرامها (١) .

ثم ذكر السخاوي أمثلة من فرق الشيعة المختلفة وتعهد هم الوضع تعصباً لمذهبهم كالرافضة والسلمية ، وكذلك أهل القدر كانوا يضعون الحديث أيضاً ليدخلوا بها الناس فى القول بالقدر .

ويستمر العراقى فى ذكر الذين افتروا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذكر منهم الذين وضعوا الأحاديث فى فضائل السور، مثل أبي عصمة نوح بن أبي مريم القرشي الملقب بالجامع، لجمعه بين التفسير والحديث، والمغازي والفقهاء مع العلم بأمور الدنيا، إذ زعم أن الخلق أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي ابن اسحاق، فاختلق للناس من عند نفسه حسبة باعترافه

(١) فتح المغيبيث ٢٣٨/١ ، ٢٣٩ .

حسبما نقله عنه أبو عمار أحد المجاهيل، أحاديث في فضائل السور كلها
سورة سورة، ورواها عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأبي ابن كعب
(١)
رضي الله عنه .

وجاء المفسرون ووضعوها هذه الأحاديث في تفاسيرهم كأبي الحسن
على بن أحمد الواحدى، وأبي بكر ابن مردويه، وأبي اسحاق الثعلبي، وأبي
القاسم الزمخشري، وفي فضائل القرآن كأبي بكر بن أبي داود . كلهم ساقوا
الأسانيد إلا الزمخشري والبيضاوى، وآتيا بالأحاديث بصيغة الجزم ، حتى
يتوهم القارىء أنها صحيحة وهو خطأ كبير وشيء دخيل على التفسير .

وأما الأحاديث الموضوعة التي أوردها البيضاوى في تفسيره في فضائل
السور كثيرة جداً، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

ما جاء في سورة الحجرات . عن النبي صلى الله عليه وسلم : من قرأ
سورة الحجرات أعطى من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه .

ومنها ما جاء في سورة (ق) . عن النبي صلى الله عليه وسلم : من قرأ
سورة (ق) هون الله عليه : آرات الموت وسكراته .

ومنها ما جاء في سورة النجم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : من قرأ
سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمدٍ وجحد به بمكة .
قال ابن همام القرشي الدمشقي : كلها موضوعة ، رواها الثعلبي وابن مردويه
والواحدى من حديث أبي بن كعب . (٢)

(١) انظر فتح المغيث ١/ ٢٤١ ، ٢٤٢

(٢) اتحاف الراوى فى تخريج أحاديث البيضاوى مخطوط مصور بمكتبة جامعة
أم القرى برقم ٢١٨٧ - حديث - رقم اللوحة ٢٨٩ ، ٢٩١ .

وأما غير الموضوع فيشمل الصحيح والحسن والضعيف . نذكر لكل نوع أمثلة لاحقاق الحق وإبطال الباطل .
ومن أمثلة الأحاديث الضعيفة :

ما جاء في سورة الأنعام . حديث ابن عمر مرفوعاً : (أنزل علىَّ سورة الأنعام جملةً واحدةً ، شيعها سبعون ألف ملك لهم جزل بالتسبيح والتحميد) . أخرجه الطبراني في الصغير^(١) . وأبو نعيم في الحلية^(٢) . وفي مسنده ضعيفان . يوسف بن عطية الصفار^(٣) ، وإسماعيل بن عمرو بن نجيم^(٤) كما للذهبي فسي ميزان الاعتدال .

ومنها ما جاء في سورة الكهف ، حديث معاذ بن أنس : (من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء) . أخرجه أبو بكر بن السني في عمل اليوم والليلة^(٥) . وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو من الضعفاء . قال البيهقي ليس بقوي^(٦) .

ومنها ما جاء في سورة الدخان . حديث الحسن عن أبي هريرة . (من قرأ أصبح مغفوراً له)
حم الدخان ليلة الجمعة ، رواه الترمذي وفي سنده هشام أبو المقدام . وهو

(١) المعجم الصغير للطبراني ٨١/١

(٢) حلية الأولياء ترجمة عبد الله بن عوف ٤٤/٣

(٣) ميزان الاعتدال ٤٦٨/٤ ، ٤٦٩

(٤) ميزان الاعتدال ٢٣٩/١

(٥) عمل اليوم والليلة ١٩٥

(٦) تهذيب التهذيب ٣٧٣/٥

ضعيف . قال الترمذى : هشام أبو المقدام يَضَعُّف ولم يسمع الحسن من
أبى هريرة هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد . (١)

ومن الحديث الحسن ما جاء فى سورة الفاتحة . (حديث أبى هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابی بن كعب : أَلَا أَخْبِرُكَ بِسُورَةٍ لَمْ
يَنْزَلْ فِي الْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ مِثْلُهَا ؟ قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ :
فَاتِحَةُ الْكِتَابِ إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ) .
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . (٢)

ومن الحديث الحسن ما جاء فى سورة الاخلاص . (حديث أبى هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَجِبْتَ قُلْتَ مَا وَجِبْتَ قَالَ الْجَنَّةُ) .
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ . (٣)

ومن الأحاديث الصحيحة . ما جاء فى سورة الفاتحة . حديث ابن عباس :
(بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتَاهُ مَلَكٌ قَالَ : أَبَشِّرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا
لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ . فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . لَنْ تَقْرَأَ حَرْفًا
مِنْهَا إِلَّا أُوتِيَتْهُ) . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ . (٤)

ومنها ما جاء فى سورة البقرة حديث ابن مسعود . (أن النبی صلى الله

(١) سنن الترمذى أبواب فضائل القرآن ١٩ / ١١

(٢) سنن الترمذى أبواب ثواب القرآن فضل فاتحة الكتاب ٦٠٢ / ١١

(٣) سنن الترمذى أبواب فضائل القرآن ٢٥ / ١١

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل فاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة ٩١ / ٦

عليه وسلم قال : من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه (.
أخرجه البخارى (١) .

ومنها ما جاء في سورة الاخلاص . أنها تعدل ثلث القرآن . أخرجه
البخارى . (٢)

وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة فكان ينبغي له
أن يميز الخبيث من الطيب ويخرج على الأقل الأحاديث الموضوعة إذ لم يسرد
أن يخرج الأحاديث الضعيفة ، حتى لا يضل القارئ للتفسير فيتوهم أنه
يقرأ السنة الصحيحة ، لأن البيضاوي أورد كل الأحاديث بصيغة الجزم ، وتبع
في ذلك الزمخشري فلم يورد سنداً ولم يحكم على حديث .

.....

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب فضائل القرآن فضل سورة البقرة

٠٤٣١/١٠

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب فضائل القرآن فضل سورة الاخلاص

٠٤٣٥/١٠

ومن المآخذ متابعته للزمخشري :

ومن المآخذ على البيضاوي متابعته للزمخشري في ما يجوز وما لا يجوز ، فتابعه في كثير من الأمور وخالف في ذلك جمهور العلماء والمفسرين ، منها ما جاء في تفسير قوله تعالى : " فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " (١) . ففسر البيضاوي الحجارة بحجارة الأصنام التي كانوا يعبدونها في الدنيا ، وذكر في آخر كلامه أن البعض يفسرها بحجارة الكبريت ، واعترض على هذا التفسير ثم ذهب إلى تأويله متبعاً في ذلك الزمخشري ، واليك نص البيضاوي . قال : (والحجارة جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الأصنام التي نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعاً في شفاعتها والانتفاع بها ، واستدفاع المضار بمكانتها ويدل عليه قوله تعالى : " انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم " (٢) . عدلوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه أو بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم ، وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكتزونها ويفترون بها ، وعلى هذا لم يكن لتخصيص أعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه ، وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل ، وإبطال للمقصود ، إذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها ، بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها ، والكبريت يتقد به كل نار وإن ضعفت ، فإن صحح هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلعله أراد به أن الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران) (٣) .

-
- (١) سورة البقرة آية ٢٤
(٢) سورة الأنبياء آية ٩٨
(٣) سورة البيضاوي ١٩/١

وهو تلخيص لما قاله الزمخشري وفي ما يلي نص الكشاف :

(. . . .) فَإِنْ قُلْتَ لِمَ قَرَنَ النَّاسُ بِالْحَجَارَةِ وَجَعَلْتَ الْحَجَارَةَ مَعَهُمْ وَقُودٌ ؟
 قلت لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله
 أنداداً وعبدوها من دونه ، قال الله تعالى : " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ " (١) وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه بقوله " إِنَّكُمْ وَمَا
 تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ " ، في معنى الناس والحجارة و " حَصْبُ جَهَنَّمَ " . في
 معنى وقودها . ولما اعتقد الكفار في حجارتهن المعبودة من دُونِ اللَّهِ أنها
 الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم
 بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محبة في نار جهنم ابلاغاً في إيلاهم
 واغراقاً في تحيرهم ، ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم
 عدّة وذخيرة ، فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحى عليها في نار
 جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم . وقيل هي حجارة الكبريت ، وهو تخصيص
 بغير دليل ، وذهب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاننى
 التنزيل (٢) .

وإلى تفسير الحجارة بالكبريت ذهب جمهور المفسرين فقد أخرج الطبري
 عن عبد الله بن مسعود قال : " هي حجارة من كبريت ، خلقها الله يوم خلق
 السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين (٣) .

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨

(٢) الكشاف ٢٥٢ / ١

(٣) تفسير الطبري ٣٨١ / ١

والخبر رواه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي (١) .

وكذلك ذكره ابن كثير ونسبه لابن أبي حاتم والحاكم . وذكره السيوطي

في الدر المنثور وزاد نسبه الى عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور والغريابي ،
وهناد بن السري في كتاب الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني

في الكبير ، والبيهقي في الشعب (٣) .
وأورد الخازن خبراً عن ابن عباس ، بأن الحجارة حجارة الكبريت ، فقال :
(قال ابن عباس : يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر التهاباً) (٤) .

وكذلك أورد البغوي فقال : (قال ابن عباس وأكثر المفسرين يعني حجارة
الكبريت لأنها أكثر التهاباً) (٥) .

فقول البيضاوي (تخصيص بغير دليل) لا معنى له إذ قد ورد الدليل

بالخبر الصحيح الوارد عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوردناه .

ومما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف ما جاء في تفسير قوله تعالى :

” يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .
قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ” (٦) .

(١) مستدرك الحاكم كتاب التفسير ٢/٢٦١

(٢) تفسير ابن كثير ١/١١٠ - ١١١

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١/٣٦

(٤) تفسير الخازن ١/٤٠

(٥) تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن ١/٤٠

(٦) سورة التحريم آية ٢ ، ٣

قال البيضاوى : (والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما أحله الله رحيم رحيم حيث لم يؤخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك) (١).

وتفسير البيضاوى للآية مشعرٌ بأن النبى صلى الله عليه وسلم حرّم ما ذهب إليه فى التحريم من أجل أنه حرام عليه حكماً ، أو شرعاً اجتهد فيه النبى صلى الله عليه وسلم لا من أجل يمين أقسم بها ، ومعلوم أن الآية نزلت فى حفصة وعائشة حين تواطأتا عليه فى شربة العسل أو فى تحريمه جاريتيه وفى كل ذلك أقسم الا يفعل فقل له رفقاً به وشفقه لم تحرم ما أحل الله لك ، وأما ما ذهب إليه البيضاوى من أن هذه زلة منه تبع فيه الزمخشري غفر الله لهما أنظر الى قول الزمخشري فى تفسير الآية : (وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحله لحكمة أو مصلحة عرفها فى احلاله ، فإذا حرّم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة . والله غفور قد غفر لك ما زلت فيه رحيم قد رحمك لم يؤخذك به) (٢).

كلام فيه غلظة الاعتزال وجفافه وهو ينطبق على غير النبى صلى الله عليه وسلم لأنه معصوم وتعقب الزمخشري فى ذلك ابن المنير ورد عليه فقال : (ما أطلقه الزمخشري فى حق النبى صلى الله عليه وسلم تقول واقتراء) والنبى صلى الله عليه وسلم منه براء ، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله الله هو على حرام ، وإنما امتنع فى مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله عليه الصلاة

(١) تفسير البيضاوى ص ٧٤٥

(٢) الكشف ١٢٥/٤

والسلام : " والله لا أقربها بعد اليوم " . ف قيل له لم تحرّم ما أحل الله لك ؟
 أى لم تمتنع منه بسبب اليمين ، يعنى أقدم على ما حلفت عليه وكفّر^{بها} عن يمينك
 ونحوه قوله تعالى : " وحرّمنا عليه المراضع " . أى منعناها منه وظاهر قوله
 تعالى " قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم " . أنه كانت منه يمين (١) .

وأما البيضاوى فقد تعقبه الشهاب الخفاجى فى حاشيته على التفسير ،
 فقال : (قوله لك هذه الزلة . الخ تبع فيه الزمخشري وقد رده فى الانتصاف
 وشن الغارة فى التشنيع عليه لأنّ تحریم الحلال مطلقاً أو مؤكداً بيمين بمعنى
 الامتناع منه ليس بزلّة^ك وكم من مباح يتركه المرء باختياره ولا يلحقه منه شيء^ك ، وأما
 اعتقاد الحرام حلالاً وعكسه مما يلحق به الاثم فلا يصدر منه صلى الله عليه
 وسلم وحاشاه من نسبة مثله^ك وأجاب عنه فى الكشف بأنه أراد به ترك الأولى
 وهو بالنسبة لعصمته صلى الله عليه وسلم وعلو مرتبته قد يقال له ذنب وان لم يكن
 ذنباً فى نفسه ولذا عقبه بقوله والله غفور رحيم) (٢) .

وعلى كل فالبيضاوى قد أخطأ فى اتباع الزمخشري فى ذلك ، فكان ينبغى
 أن يأتى بعبارة تدل على شرف النبى صلى الله عليه وسلم أنظر إلى الفرق بين
 تعبير البيضاوى وتعبير المهايى . قال المهايى . (والمراد بتحريمه ما أحلّ
 له ، امتناعه منه ، وخطره إياه على نفسه ، وهذا القدر مباح ، ليس فى ارتكابه
 جناح . وإنما قيل له " لم تحرّم ما أحلّ الله لك " . رفقا به ، شفقة عليه ،
 وتنويعاً لقدره ولمنصبه صلى الله عليه وسلم ، أن يراعى مرضاة أزواجه بما يشق

(١) الانصاف لما فى الكشف ١٢٦ / ٤

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ٣١٠ / ٨

(١)

عليه ، جرّياً على ما ألف من لطف الله بنبيه) .

ومما وقع فيه البيضاوى صاحب الكشف وأوقعه فى الدلّ تأويله للحديث الصحيح ، خلافاً لما ذهب اليه جمهور العلماء والمفسرين . فمثلاً عند تفسير قوله تعالى : " إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " . (٢)

قال الزمخشري فى تفسير " واني أعيدُها بك وذريتها من الشيطان الرجيم " قال (فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها ؟ قلت لأن مريم^{في} لغتهم بمعنى العابدة ، فأرادت بذلك التقرب والطلب اليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها ، وأن يصدق فيها ظنها بها ، ألا ترى كيف أتبعته طلب الاستعانة لها ولولدها من الشيطان واغوائه ، وما يروى من الحديث " ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه الا مريم وابنها " . قاله أعلم بصحته ، فان صح فمعناه : أن كل مولود يطمع الشيطان فى اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين ، وكذلك كل من كان فى صفتها كقوله تعالى : " لَا تُؤْمِنُ بِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ " (٤) . واستهلاله

(١) نقلاً عن تفسير القاسمى ٥٨٥٢/١٦

(٢) سورة آل عمران الآيات ٣٥ ، ٣٦

(٣) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب التفسير ٢٧٩/٩

(٤) سورة الحجر آية ٤٩-٤٨

صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطعمه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه

ويقول هذا ممن أغويه ، ونحوه من التخييل قول ابن الرومي :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلاً ، ولو سلب إبليس على
الناس ينخسهم لا متلات الدنيا صراخا وعياطاً مما يبيلونا به من نخسه (١) .

وقد شك الزمخشري في صحة الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري
في كتاب التفسير شك في صحته فقال (قاله أعلم بصحته فان صح فعناه . .)
ثم بدأ بأول الحديث تأويلاً يخالف معنى الحديث ووصفه بالتخييل وتبعه فسي
هذا التأويل البيضاوي فقال في معنى الآية بعد أن أورد الحديث : (ومعناه
أن الشيطان يطعم في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فان الله
سبحانه وتعالى عصمهما ببركة هذه الاستعانة) (٢) .

وهو تأويل الزمخشري بعينه يخالف ما ذهب إليه العلماء في معنى الحديث
قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي : (وأما تأويله بما ذكر فقد
اتفق أهل الأثر على خلافه وإن تابعه المصنف) (٣) .

وقد تعقب الحافظ ابن حجر هذا التأويل فأفسده فقال : (وكلامه -
يعني الزمخشري - متعقب من وجوه ، والذي يقتضيه لفظ الحديث لا اشكال
في معناه ، ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء ، بل ظاهر الخبر أن إبليس

(١) الكشف ٤٢٦/١

(٢) تفسير البيضاوي ٢٢/١

(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢٣/١

ممكن من مس كل مولود عند ولادته لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلاً - واستثنى من المخلصين مريم وابنها فانه ذهب يعس على عادته فحيل بينه وبين ذلك فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه تسلطه على غيره من المخلصين (١) .

وهو تفسير جيد لقول النبي صلى الله عليه وسلم بعيد عن الإنكار والتعطيل ، وأما تأويل الزمخشري فقد رده ابن المنير ووصفه بالأحاد فقال : (أما الحديث المذكور في الصحاح متفق على صحته فلا محيص له إذاً عن تعطيل كلامه عليه السلام بكتحميله كلامه ما لا يحتمله جنوحاً إلى اعتزال منتزع في فلسفة منتزعة في الحاد ظلمات بعضها فوق بعض) (٢) .

فكان ينبغي للبيضاوي أن يتبع أهل السنة وأئمة السلف ويقفوا آثارهم من أن يتبع أئمة الاعتزال ويقفوا آثارهم .

ومما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشف . قوله أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكون موسوماً بعبادة الله تعالى قبل البعثة ، فخالف في ذلك اجماع الأمة والأحاديث الصحيحة . وقد ذهب إلى ذلك الزمخشري وتبعه البيضاوي على نفس الخطأ ، وإن كان الشهاب الخفاجي أول ما ذهب إليه ولكن بكلام غير مقنع .

قال الزمخشري في تفسير سورة الكافرون : " ولا أنا عابد ما عبدتم " .

أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه ، يعنى لم تعهد منى عبادة صنم

(١) فتح الباري شرح صحيح البخارى كتاب التفسير ٢٧٩/٩

(٢) الانصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال ٤٢٦/١

فى الجاهلية ، فكيف ترجى منى فى الاسلام . " ولا أنتم عابدون ما أعبد " .
أى وما عبدتم فى وقت ما أنا على عبادته . فَإِنْ قُلْتَ فَهَلَّا قِيلَ : ما عبدت
كما قيل ما عبدتم ؟ قلت لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث ، وهو لم
يكن يعبد الله تعالى فى ذلك الوقت (١)

وقال البيضاوى : (ولا أنتم عابدون ما أعبد ، أى وما عبدتم فى وقت ما
ما أنا عابده ، ويجوز أن يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ . وإنما لم يقل ما عبدت
ليطابق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الأصنام وهو لم يكن
حينئذ موسوماً بعبادة الله) (٢) .

وهذا بالطبع قول غير صحيح وقد جاء الحديث الصحيح فى البخارى أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعنت فى غار حراء الليالى ذوات العدد قبل
المبعث (٣) سواء تعبد بشريعة من سبقه من الأنبياء أو تعبد بشرع خاص به إنما
هو عبادة لله تبارك وتعالى .

ومن الغريب أن البيضاوى فى كتابه منهاج الوصول إلى علم الأصول يناقض
ما قاله فى التفسير فقال فى المسألة الخامسة فى كلامه عن السنة (أنه عليه الصلاة
والسلام تعبد بشرع) (٤) .

وقال الأسنوى فى شرحه للمنهاج : (اختلفوا فى أن النبي صلى الله عليه

(١) الكشاف ٨٠٩ / ٤

(٢) تفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب ٤٥ / ٨

(٣) صحيح البخارى بشرح عمدة القارىء ٤٦ / ١

(٤) منهاج الوصول مع شرح نهاية السؤل ٦٦٠ / ٣

وسلم هل كلف قبل النبوة بشرع أحد من الأنبياء ؟ فيه ثلاثة مذاهـب
حكاهـا الامام وأتباعه كصاحب الحاصل من غير ترجيح أحد هـا، نعم واختاره
ابن الحاجب ثم المصنف .. (١)

وهذا هو السبب الذي جعل الشهاب الخفاجي يدافع عن البيضاوي
ويأول كلامه . فقال في ذلك : (وقوله لم يكن موسوماً بعبادة الله، أراد العبادة
البدنية الثبوتية المخالفة لشعائـرهم الظاهرة كما يدل عليه جعله سمة فلا
يرد كونه موحداً غير متبع لما هم عليه متجنباً لأصنامهم ورجسهم) (٢)
وعلى كل فالبيضاوي أخطأ في إيراد العبارة موافقةً لعبارة الزمخشري ،
وان كانت نيته تخالف ظاهر العبارة فكان ينبغي أن يذكر بكل وضوح أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان متعبداً قبل النبوة وعلى أى شريعة . هل كان ذلك
على شريعة الأنبياء السابقين أم لا ؟

وتحقيق المسألة أنه عليه الصلاة والسلام لا خلاف في أنه كان يعبد
الله تعالى قبل النبوة وإنما خلاف العلماء في أنه هل كان مكلفاً بشرع أم لا ؟
وهل كان ذلك على شرع نبي سابق أم لا ؟ اختلفوا على أقوال منهم من قال
أنه تعبد على شرع خاص ومنهم من قال أنه تعبد على شريعة من قبله ممن
الأنبياء والمسألة مذكورة بإسهاب في كتب الأصول فمن شاء أن يرجع إليها
في مصادرها .

(١) نهاية السؤل شرح منهاج الوصول ٦٦٠/٣

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٤٠٥/٨

استطرد ه في النحو والصرف :

~~~~~

ومن المآخذ على البيضاوى أنه يكثر الاستطراد في النحو والصرف في تفسير كثير من الآيات ويبالغ أحياناً حتى ينسى القارئ معنى الآية التي هو يصددها فعندما جاء يفسر قوله تبارك وتعالى :

" وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (١)

قال : ( عطف على فمن تبع إلى آخره قسيم له ، كأنه قال ومن لم يتبع بسل كفروا بالله وكذبوا بآياته ، أو كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لساناً ، فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور ، والآية في الأصل العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعات من حيث إنَّها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ، ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصلٍ ، واشتقاقها من أى لأنها تبين أيّاً من أى أو من أو إليه . وأصلها آية أو أويه كثرة فأبدلت عنها ألفا على غير قياس أو آية أو أويه كرمكة فأعلت أو آية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفاً . . . ) (٢)

وقال في قوله تعالى : " فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ " (٣) . ( دفعتم منها بكثرة من أفضت الماء إذا صببته بكثرة ، وأصله أفضتم أنفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعتم من البصرة وعرفات جمع سعى به كاذرعات وإنما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لأن تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكّن ،

---

( ١ ) سورة البقرة آية ٤٩

( ٢ ) تفسير البيضاوى ص ٦

( ٣ ) سورة البقرة آية ١٩٨

ولذلك يجمع مع اللام ، وذهاب الكسرة تبع ذهاب التتوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك ، أو لأن التأنيث إمّا أن يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء تأنيث وإنما هى مع الألف التى قبلها علامة جمع المؤنث أو بتاء مقدرة كما فى سعاد ، ولا يصح تقديرها لأن المذكورة تمنعه من حيث أنها كالبدل لها لا اختصاصها بالمؤنث كتاء بنت (١) .

وقال فى سورة طه ( . طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى (٢) ) .

ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه إن جعلته مبتدأ على أنه — أول بالسورة أو القرآن ، والقرآن فيه واقع موقع العائد ، وجواب إن جعلته مقسماً به ، ومنادى له إن جعلته نداءً ، واستئناف ان كانت جملة فعلية أو اسمية باضمار مبتدأ ، أو طائفة من الحروف محكية ، والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب . وقال " إلا تذكرة " . لكن تذكيراً وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز أن يكون بدلاً من محل لتشقى لاختلاف الجنس ، ولا مفعولاً له لأنزلنا فإنَّ الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين ، وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف أو القرآن أو المفعول له على أن لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن ، أى ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه إلا تذكرة (٣) .

كما أسهب فى النحو فى تفسير قوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (٤) فقال : ( ما استفهامية منصوبة

(١) تفسير البيضاوى ص ٤٣

(٢) سورة طه الآيات ١ ، ٢ ، ٣

(٣) تفسير البيضاوى ص ١٣٤

(٤) سورة العنكبوت آية ٢٤

بتدعون ويعلم معلقة عنها، ومن للتبيين أو نافية ومن مزيدة، وشىء مفعول  
تدعون، أو مصدرية وشىء مصدر، أو موصولة مفعول ليعلم، ومفعول تدعون  
عائده المحذوف (١).

هكذا يستطرد البيضاوى فى ذكر المعانى اللغوية والنحوية والصرفية  
ويخوض فى وجوه الإعراب ويذكر بالتفصيل الطرق الممكنة فى توجيه الآيـة ،  
فيتيه القارىء فى وجوه الإعراب وينسى المعانى الأخرى للآية وما ورد فيها من  
آثار وما تدل عليه من العقيدة أو التشريع أو الأخبار عن الحاضر أو المستقبل ،  
أو الكشف عن وجه من وجوه العلم الكونى كل ذلك يتركه المفسر غفر الله له  
ويخوض فى لجج الخلافات النحوية والصرفية التى هى فن قائم بنفسه له كتبـه  
ومصنفاته أفردـه العلماء بالتأليف والتصنيف .

.....



# الفصل الثاني

منزلته بين كتب التفسير بالرأى

ويتضمن مباحث

- البحث الأول : معنى التفسير بالرأى وحكمه .
- البحث الثاني : جموع لفنون تفرقت في كتب التفسير بالرأى .
- البحث الثالث : تأثيره بمن قبله .
- البحث الرابع : من تأثر به بعده .

## الفصل الثانى

### منزلته بين كتب التفسير بالرأى

معنى التفسير بالرأى وحكمه :

التفسير بالرأى ، عبارة عن تفسير

القرآن بالأجزاء بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم  
في القول ، ومعرفة الالفاظ العربية ووجوه دلالاتها ، واستعانته

في ذلك بالشعر الجاهلى ، ووقوفه على أسباب النزول ومعرفة  
الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الادوات التى يحتاج اليها المفسر  
وهو على نوعين :  
١ - نوع قام على أصل لغوى ورد عند العرب ، أو برهان عقلى وافق الشرع .

٢ - ونوع لم يقم على أصل لغوى ولا برهان عقلى موافق للشرع ، وإنما هو رأى

مجرد لا شاهد له وأصحاب هذا التفسير من أهل البدع وأصحاب

المذاهب الباطلة .

وأما حكم التفسير بالرأى ، فما كان على المعنى الأول ، وهو قيامه

على أصل من أصول اللغة أو برهان عقلى موافق للشرع فجائز لا غبار عليه .

وأما ما كان على المعنى الثانى ، وهو تفسير القرآن بمجرد الرأى الذى لا يقوم

على أصل لغوى ولا برهان عقلى موافق للشرع ، فغير جائز لقوله تعالى :

" وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ " (٧) وقوله : " وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (٣)

ولقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ

النار " (٤) ولقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ

(١) التفسير والفسيرون ١/ ٥٥٥

(٢) سورة الاسراء آية ٣٦

(٣) سورة البقرة آية ١٦٩ .

(٤) أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح سنن الترمذى بشرح عارفة

الأحوزى كتاب التفسير ١١/ ٦٧٠ .

أُخْطِئْتُ<sup>(١)</sup> . وقال الصديق رضى الله عنه : ( أى سماء تظلمنى وأى أرض تقلبنى إذا قلت فى كتاب الله برأى ) .

وأما الدليل على جواز القول الأول ، وهو التفسير بالرأى الذى يقسم على أصل لغوى أو برهان عقلى موافق للشرع ، قول الله تبارك وتعالى :  
 " وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ .. الآية " <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى :  
 " لِيَذَّبُوا آيَاتِهِ وَلِيَذَّكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ " <sup>(٣)</sup>

وقد دعا النبىُّ صَلَّى الله عليه وسلم لابن عباس فقال : " اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل " <sup>(٤)</sup> قال السيوطى فى الاتقان نقلاً عن البغوى الكواشى :  
 ( التأويل صهرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها ويعدّها تحتمله الآية ) غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط ، غير محظور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى : " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا " <sup>(٥)</sup> قيل شباباً وشيوخاً ، وقيل أغنياء وفقراء ، وقيل عزاباً ومتأهلين ، وقيل نشاطاً وغير نشاط ، وقيل أصحاء ومرضى ،

( ١ ) أخرجه الترمذى بلفظ من قال فى القرآن برأيه وفى سنده سهيل بن أبى حزم قال الترمذى فيه مقال - سنن الترمذى كتاب التفسير ١ / ٦٨ .

( ٢ ) سورة النساء آية ٨٣

( ٣ ) سورة ص آية ٢٩

( ٤ ) مسند أحمد ١ / ٦٦

( ٥ ) سورة التوبة آية ٤١

وكل ذلك سائع والآية تحتله .

وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور، لأنه تأويل الجاهلين مثل  
تأويل الروافض ، وقوله تعالى : " مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ <sup>(١)</sup> - على وفاطمة -  
يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ <sup>(٢)</sup> - يعنى الحسن والحسين . . . الخ ) <sup>(٣)</sup> .  
ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تبارك وتعالى حتى يتقن العلوم  
الواجب توفرها لدى المفسر وقد حصرها العلماء فى خمسة عشر فنا وهى اللغة ،  
والنحو ، والتصريف ، والاشتقاق ، والمعانى والبيان ، والبديع ، وعلم  
القراءات ، وعلم أصول الدين ، وعلم أصول الفقه ، وأسباب النزول والقصص ،  
والناسخ والمنسوخ ، وعلم الفقه ، وعلم الحديث وعلم الموهبه ، وهو علم يورثه  
الله تعالى لِمَنْ عَمِلَ بِمَا عِلِمَ .

فَمَنْ فَسَّرَ يَدُونِ هَذِهِ الْعُلُومِ كَانَ مَفْسِّرًا بِالرَّأْيِ الْمُنْهَى عَنْهُ ، فعلماء التفسير  
بالرأى قد أتقنوا هذه العلوم ثم أقدموا على كتاب الله تعالى بالتفسير .

ومن أشهر كتب التفسير بالرأى ، تفسير الفخر الرازى المسمى بمفاتيح  
الغيب وتفسير النيسابورى المسمى بفرائب القرآن ورغائب الفرقان ، وتفسير  
الزمخشري المسمى بالكشاف وتفسير القرطبى المسمى الجامع لأحكام القرآن ،  
وتفسير الخازن المسمى إباب التأويل فى معانى التنزيل ، وتفسير ابى حيان  
المسمى بالبحر المحيط وتفسير الألسى المسمى بروح المعانى فى تفسير القرآن  
الكريم والسبع المثانى ، وتفسير البياضى المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل  
وغير ذلك من كتب التفسير بالرأى التى لا تكاد تحصر .

( ١ ) سورة الرحمن آية ١٩

( ٢ ) سورة الرحمن آية ٢٢

( ٣ ) الاتقان فى علوم القرآن ٢ / ٢٣٢

## المبحث الثاني

جمعه لفنون تفرقت في كتب التفسير بالرأى :

اختلفت مواهب العلماء وتبوعت فنون العلم لديهم فمنهم من برع في اللغة وعلومها ، ومنهم من تفوق في الفقه وأصوله ، ومنهم من أتقن الفلسفة وعلم الكلام والجدل ، وهكذا ، وظهر أثر هذا على كتب التفسير بالرأى فكان لكل تفسير من كتب التفسير بالرأى صبغة غلبت عليه ، وفن ظهر فيه أكثر من غيره ، فغلب على كل تفسير منها الفن الذي اشتهر به صاحبه .

فكل من برع في فن من الفنون يظهر أثر ذلك الفن على تفسيره ، لأنه كلما عرضت عليه مسألة في فنه صال فيها وجال ، وصب فيها معارفه وعلمه ، وتعرض لمن خالفه ورد عليه وجادل ، وفند أقواله وأثبت أقواله هو بالأدلة والبراهين .

فصاحب اللغة غلب عليه الاهتمام بالألفاظ واشتقاقاتها واستعمالات العرب لها وشواهدا من أشعارهم ، فظهر ذلك في كتب مفردات القرآن ، ومجاز القرآن ، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، تتبع أصحابها الاشتقاقات اللغوية ، ووجهوا القراءات وخاضوا في المباحث البلاغية كالتشبيه ، والتنثيل ، والمجاز ، والاستعارة وغيرها .

والنحاة نجد جل اهتمامهم بالأعراب وذكر ما تحتله الآية من أوجه الأعراب ، وخاضوا في مسائل النحو وفروعه وخلافته ، وذكر أقوال النحاة ، التعرض للمدارس النحوية ، وربما نصروا مدرسة على الأخرى أو تعصب الواحد منهم إلى مذهب نحوي ، أو قول إمام من أئمة النحو ، وظهر ذلك عند أبي حيان

فى البحر المحيط ، والألوسى فى روح المعانى ، وتفسير القرآن للراغب الأصفهانى وغيرهم .

وعنى الفقهاء بآيات الأحكام واستنبطوا منها الأدلة للفروع الفقهية وربما تعصب المفسر لمذهبه وأورد الأدلة التى تأيده والرد على من يخالف مذهبه ، وظهر ذلك فى أحكام القرآن لابن العربى ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، وأحكام القرآن للجصاص ، وأحكام القرآن لابى بكر الرازى وغيرها . وأصحاب العلوم العقلية كالجدل والمنطق والفلسفة وغيرها نجد جُلَّ اهتمامهم بالمباحث العقلية والجدلية وأقوال الحكماء والفلاسفة كما نجد هم يعنون بشبههم والرد عليها وتحقيق آرائهم بالأدلة العقلية ومن أمثال هؤلاء الفخر الرازى فى تفسيره المسمى مفاتيح الغيب .

وأصحاب علم التاريخ اهتموا فى تفسيرهم بالقصص وذكر أخبار من سلف من القرون الماضية والأُمم الغابرة فذكروا روايات وقصص منها الصحيح ومنها الغير الصحيح كالأسرائيليات وقصص السابقين ، ظهر ذلك فى تفسير الشعلى ، وتفسير الخازن وغيرها وأصحاب الفرق اهتموا بتأويل كلام الله تعالى ، والخروج بالآيات الى غير معناها ليتوافق مع مذاهبهم وعقائدهم ، ومن ذلك فرق المعتزلة كالقاضى عبد الجبار ، والزمخشرى ، وفرق الشيعة ، كالامامية ، والاثنا عشرية وغيرهم . وظهر ذلك جليا فى تفسيرهم للقرآن الكريم .

واهتم الصوفية بالترغيب والترهيب واستخراج المعانى الإشارية من الآيات القرآنية بما يتفق مع رياضاتهم ومواجيدهم ، فخرجوا بالآيات القرآنية فى معناها إلى معانٍ توافق هواهم وطريقتهم ، ظهر ذلك فى تفسير ابن عربى وعبد الرحمن السلمى وغيرهم .

وأما البيضاوى فقد أتقن كل هذه العلوم وبرع فيها وألف فيها الكتب، وشرح فيها المتون، فجمع كل هذه العلوم فى تفسيره، لذا كان تفسيره فريداً من نوعه، علماً بين كتب التفسير بالرأى، امتاز بينها بجمعه لكل هذه العلوم وظهورها فيه، فإذا أطلع القارئ على تفسير آية منه تحتوى على فن من هذه الفنون خيل إليه أنه الفن الوحيد الذى برع فيه لتمكنه من الخوض فى ذلك الفن واتقانه له.

فإذا عقدنا مقارنة بين تفسير البيضاوى للآيات فى أى فن من الفنون وبين كتب التفسير بالرأى التى تخصص أصحابها فى ذلك الفن، يتضح لنا قيمة تفسير البيضاوى وميزته بين كتب التفسير بالرأى.

وفى ما يلى نعرض أمثلة توضيحية من تفسير الآيات حتى تتضح لنا المقارنة بين تفسير البيضاوى وكتب التفسير بالرأى.

أولاً : فى مجال اللغة : -

بالنسبة للغة واشتقاق ألفاظها، واستعمالات العرب لها، وشواهداها من أشعارهم، فواضح فى تفسيره، خاض فيه خوض من له قدم فى هذا الفن. ففى تفسير قوله تعالى : " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا " (١) قال البيضاوى : ( إِنْ جَنَحُوا مَالُوا . ومنه الجناح . وقد يعدى باللام والى . للسلم ؛ للصلح والاستسلام فاجنح لها وعاهد معهم ) وتأنيت الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه .

قال : -

السلم تأخذ منها ما رضىت به والحرب تكفيك من أنفاسها جذع (٢)

(١) سورة الأنفال آية ٦١

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٤٤

وقال الأخفش سعيد بن مسعدة في معاني القرآن : (أَنْتَ السَّلَامُ وهو الصلح ، وهي لغة لأهل الحجاز ، ولغة العرب الكسر) . (١)

وقال الفراء : ( إِنْ شئت جعلت "لها" كناية عن السَّلَام لأنها مؤنثة . وإن شئت جعلته للفعل كما قال : " إِنْ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ " . (٢) ولم يذكر قبله إلا فعلاً ، فالهاء للفعل (٣) .

انظر كيف يضارع البيضاوي أهل اللغة ويأتي تفسيره أوضح وأوجز مدعماً بالشاهد الشعري ، والشعر ديوان العرب .

وفي تفسير قوله تعالى : كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً . (٤)

قال البيضاوي : ( الا ، خِلْفًا وقيل قرابة قال حسان : -

لعمرك إِنْ إِيَّاكَ مِنْ قَرِيبٍ كَالِ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النِّعَمِ

وقيل ربوبية ، ولعله اشتق للحلف من الإل وهو الجوار لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لأنها تعقد بين الأقارب مالا يعقده الحلف ، ثم للربوبية والتربية .

وقيل اشتقاقه من الله الشيء إذا حدده ، أو من أل البرق إذا لمع (وقيل انه عبري بمعنى الاله لأنه قرىء إيلًا كجبرئيل وجبريل) . (٥)

(١) معاني القرآن للأخفش الأوسط ٣٢٥/٢

(٢) سورة الاعراف آية ١٥٣

(٣) معاني القرآن للفراء ٤١٦/١

(٤) سورة براءة الآية ٨

(٥) تفسير البيضاوي ص ٢٤٨



وقال الراغب الأصفهاني : ( الال : كل حالة ظاهرة من عهدٍ أو حلفٍ وقراءة ، تثل تلمع فلا يمكن انكاره قال تعالى " لا يرقبون في مؤمن الا وله ذمة " . وألّ الفرس أى أسرع حقيقته لمع وذلك استعارة في باب الاسراع نحو برق وطار ، والألة الحربة اللامعة ) وآل بها ضرب وقيل ال ، وأيل اسم الله تعالى وليس ذلك بصحيح ، وأذن مؤللة . والال صفحتا السكين (١) .

وفي تفسير قوله تعالى : " قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ " (٢) .

قال البيضاوى : ( عملٌ غيرُ صالحٍ تعليل لنفى كونه من أهله ، وأصله انه ذو عمل فاسد ، فجعل ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقه .

ترتع ترعى اذا غفلت ، حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار

ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحاً بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجأ من أهله (٣)

قال ابن الجوزى : ( وفيه قولان . أحدهما : أنه يرجع إلى السؤال فيه

فالمعنى سؤلك إياى فيه عمل غير صالح ، قاله ابن عباس وقتادة وهذا ظاهر ،

لأنه قد تقدم السؤال فيه فى قوله " رب إن ابنى من أهلى " ، فرجعت الكناية

إليه .

والثانى : أنه يرجع إلى المسئول فيه .

وفى هذا المعنى قولان . أحدهما أنه لغير رشده قاله الحسن ،

( ١ ) مفردات غريب القرآن ص ٢٠

( ٢ ) سورة هود آية ٤٦

( ٣ ) تفسير البيضاوى ص ٢٩٧ .

والثاني أن المعنى أَنَّهُ ذُو عَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ قاله الزجاج . وقال ابن الأنباري ، مَنْ قَالَ هُوَ لَغَيْرٍ رَشِدِهِ قَالَ الْمَعْنَى أَنَّ أَصْلَ ابْنِكَ الَّذِي تَظُنُّ أَنَّهُ ابْنُكَ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، وَمَنْ قَالَ أَنَّهُ ذُو عَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ ، قَالَ حَذَفَ الْمُضَافُ وَأَقَامَ الْعَمَلُ مَقَامَهُ ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ : عَبْدُ اللَّهِ أَقْبَالَ وَادُّ بَارَ : أَيُّ صَاحِبِ أَقْبَالَ (١) ، فَتَسَاءَلُ الزَّجَاجُ وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ مَعَ كَلَامِ الْبَيْضَاوِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْكَلِمَةِ وَفِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : " ذَلِكِ يَوْمٌ مُّجْمَعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكِ يَوْمٌ مُّشْهُودٌ " . (٢) قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ : ( أَيُّ مُشْهُودٍ فِيهِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاتَّسَعَ فِيهِ بِأَجْرَاءِ الظَّرْفِ مَجْرَى الْمَفْعُولِ بِهِ كَقَوْلِهِ :

فِي مُحْفَلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مُشْهُودٌ

أَيُّ كَثِيرٍ شَاهِدٍ وَهُوَ ، وَلَوْ جَعَلَ الْيَوْمَ مُشْهُودًا فِي نَفْسِهِ لِبَطْلِ الْغَرَضِ مِنْ تَعْظِيمِ الْيَوْمِ وَتَمْيِيزِهِ فَإِنَّ سَائِرَ الْأَيَّامِ كَذَلِكَ ) . (٣)

وَقَالَ النَّحَّاسُ : ( ذَلِكِ يَوْمٌ ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ . مُجْمَعٌ مِنْ نَعْتِهِ النَّاسُ اسْمٌ مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ وَلِهَذَا لَمْ يَقُلْ مُجْمَعُونَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ رَفْعًا بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَمُجْمَعٌ لَهُ خَبَرُهُ وَلَمْ يَقُلْ مُجْمَعُونَ لِأَنَّ لَهُ يَقُومُ مَقَامَ الْفَاعِلِ ) (٤) .

وَجَاءَ أَبُو حَيَّانٍ وَبَسَطَ الْقَوْلَ وَنَاقَشَهُ وَانْتَهَى إِلَى مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْبَيْضَاوِيُّ حَيْثُ قَالَ أَبُو حَيَّانٍ : ( ذَلِكِ إِشَارَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الدَّالِّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَذَابُ الْآخِرَةِ

(١) زاد المسير ١١٤/٤

(٢) سورة هود آية ١٠٣

(٣) تفسير البيضاوي ص ٣٠٦

(٤) أعراب القرآن للنحاس ١١٠/٢

والناس مفعول لم يسم فاعله رافعه مجموع .  
وأجاز ابن عطية أن يكون الناس مبتدأً ومجموع خبر مقدم ، وهو بعيد لأفراد  
الضمير في مجموع ، وقياسه على اعرابه مجموعون . مجموع له الناس عبارة عن  
الحشر ، ومشهود عام يشهده الأولون والآخرين من الإنس والجن والملائكة  
والحيوان في قول الجمهور ، وقال الزمخشري : فَإِنْ قُلْتَ أَى فائدة في أن  
أوثر اسم المفعول على فعله قلت : لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات  
معنى الجمع لليوم وأنه لا يبدل أن يكون ميعاداً مضروباً لجمع الناس له وأنه هو  
الموصوف بذلك صفة لازمة ، وهو أثبت أيضاً لاسناد الجمع إلى الناس وأنهم  
لا ينفكون منه ، وفيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل ، ومعنى مشهود  
مشهود فيه فاتسع في الجار والمجرور ووصل الفعل إلى الضمير اجراءً له  
مجرى المفعول به على السعة لقوله :

ويوما شهدناه سليماً وعامراً

والمعنى يشهد فيه الخلائف الموقف لا يغيب عنه أحد ومنه قولهم لفلان مجلس  
مشهود وطعام محضور ، وإنما لم يجعل اليوم مشهوداً في نفسه كما قال :  
" فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ <sup>(١)</sup> " لأن الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم .  
وكونه مشهوداً في نفسه لا يميزه إذ هو موافق لسائد الأيام في كونها مشهودة <sup>(٢)</sup> .  
فعبارة البيضاوي بالرغم من أنها موجزة إلا أنها جامعة مبينة أوصلت إلى  
المعنى وبينت مدلول الآية وعبارة أبي حيان طويلة ومفصلة وأوصلت إلى نفس

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

(٢) البحر المحيط ٢٦١/٥

المعنى الذى أوصلت إليه عبارة البيضاوى لأن البيضاوى ملك قدرة الاجاز  
والايضاح .

وفى تفسير قوله تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا " (١)

قال البيضاوى : ( مقدر بأن كقوله : -

ألا أيها الزاجرى أحضر الوغى \* وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى  
أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله - تسمع بالمعبدى خير من أن تراه .  
أو صفة لمعدوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله : -

فما الدهر الا تارتان فعنهما \* أموات وأخرى ابتغى العيش أكدح (٢)

وكما أسهب أبو حيان من قبل أسهب كذلك الألوسى فلم يخرج عن قول البيضاوى  
الذى أوجز فى أسطر قليلة فكان المعنى واحداً . قال الألوسى : ( ذهب  
أبو على الى أنه بتقدير أن المصدرية والأصل أن يريكم فحذف أن وارتفع الفعل  
وهو الشائع بعد الحذف فى مثل ذلك ، وشذ بقاءه منصوباً بعده وقد روى  
بالوجهين قول طرفة :

ألا أيها الزاجرى احضر الوغى \* وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى  
وجوز كونه ما نزل فيه الفعل منزلة المصدر فلا تقدر أن بل الفعل مستعمل فى  
جزء معناه ، وهو الحدث مقطوع فيه النظر عن الزمان فيكون اسماً فى صورة

الفعل ، فيريكم بمعنى الرؤية ، ومحل ذلك فى المشهور قولهم : تسمع بالمعبدى

خير من أن تراه ، وجوز فيه أن يكون ما حذف فيه ( أن ) وأريد بأنه روى  
فيه ( تسمع ) بالنصب أيضاً . ولم يرتضه بعض الأجلة لأن المعنى ليس على الاستقبال ، وأما

---

( ١ ) سورة الروم آية ٢٤

( ٢ ) تفسير البيضاوى ص ٥٣٧

أن تراه فلا استقبال فيه بالنسبة إلى السماع فلا ينافيه ، ومثله قوله : -  
فقالوا ما / فقلت الهـو<sup>تشاء</sup> إلى الاصبح أثر ذى أشير

ورجح الحمل على التنزيل منزلة اللازم دلالة على أنه كالحال اهتماماً بشأن  
المراد لقوله أثر ذى أشير ، والتعليل بأن ما تشاء سؤال عما يشاءه في الحال  
وأن للاستقبال ليس بالوجه لأن المشيئة تتعلق بالمستقبل أبداً . وقال الجامع  
الأصفهاني : تقدير الآية ، ومن آياته آية يريكم البرق على أن يريكم صفة  
وحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كما في قوله :

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموات وأخرى ابتغى العيش أكده  
أى فمنهما تارة أموات . قيل فلا بد من راجع فقد فيها أوبها .  
وقيل التقدير ومن آياته البرق ثم استأنف يريكم البرق ، وقيل من آياته حال  
من البرق أى يريكم البرق حال كونه من آياته .

وجوز أبو حيان تعلقه بيريكم ، ومن لا بتدء الغاية وفيه مخالفة لنظراته ،  
وفى الكشف لعله الأوجه أن يكون من آياته خبر مبتدأ محذوف أى من آياته ما يذكر  
أو ما يتلى عليكم ، ثم قيل يريكم البرق بياناً لذلك ثم قال : وهذا أقل تكلفاً من  
الكل ، وأنت تعلم أن الأوجه ما توافق الآية به نظائرها (١) .

هذه أمثلة من تفسير البيضاوى مع مقارنتها بكتب التفسير بالرأى فى مجال  
اللغة حيث يبدو للقارىء أن البيضاوى متخصص فى اللغة فحسب لمجاراته أهل  
اللغة كالزجاج والفراء والأخفش والنحاس وغيرهم .

ثانيا : فى مجال النحو :

أما النحو فالبيضاوى عالم فيه متقن بارع محقق له ، تجلى ذلك فى تفسيره بل ظهر فيه ظهوراً كأنه هو الفن الوحيد عند البيضاوى ، فعند تفسير الآية يذكر أوجه الأعراب فيها ويرجح ما يراه مناسباً من أوجه الأعراب وربما انتصر لمدرسة فى النحو على الأخرى كما كان ينتصر لمدرسة البصرة ثم يذكر ما ورد فى الآية من القراءات ويوجهها من العربية وربما ذكر عدد من التوجيهات ورجح أحداها على الأخرى وكتاب التفسير ملىء بذلك .

( ١ )  
فى تفسير قوله تعالى : " وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ " .

قال البيضاوى : ( والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمراً ، أو على الله ، أى اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها .  
وقرأ حمزة بالجر عطفاً على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة . وقرأ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أى ما يتقضى أو يتساءل به . الخ ) . ( ٢ )

وقال أبو جعفر النحاس : ( والأرحام عطفٌ أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها ،  
وقرأ إبراهيم وقتادة وحمزة والأرحام بالخفض . وقد تكلم النحويون فى ذلك .  
فأما البصريون فقال رؤسائهم : هو لحن لا تحل القراءة به ، وأما الكوفيون فقالوا : هو قبيح ولم يزدوا على هذا ولم يذكروا علة قبحه فيما علمته ، وقال سيبويه : لم يعطف على المضمرة المخفوض لأنه بمنزلة التثنية . وقال أبو عثمان

---

( ١ ) سور النساء آية ١

( ٢ ) تفسير البيضاوى ص ١٠٨

المازنى : المعطوف والمعطوف عليه شريكان لا يدخل فى أحدهما الا ما دخل  
فى الآخر فكما لا يجوز مررت بزيد وبك وكذلك لا يجوز مررت بك وزيد ، وقد جاء  
فى الشعر كما قال :

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فان هب فما بك والأيام من عجب

وكما قال : وما بينها والكعب غوط نغانف .

وقال بعضهم والأرحام قسم وهذا خطأ فى المعنى والاعراب لأن الحديث  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على النصب روى شعبة عن عون ابن  
أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه  
وسلم حتى جاء قوم من مضر حفاة عراة فرأيت وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتغير  
لما رأى فى فاقتهم ثم صلى الظهر وخطب الناس فقال : ( يا أيها الناس اتقوا  
ربكم والأرحام ثم قال تصدق رجل بديناره ، تصدق رجل بدرهمه ، تصدق رجل  
بصاع تمره )<sup>(١)</sup> وذكر الحديث فمعنى هذا على النصب لأنه حضهم على صلة  
أرحامهم ، وأيضا فلو كان قسما كان قد حذف منه لأنَّ المعنى ويقولون بالأرحام  
أى ورب الأرحام ، ولا يجوز الحذف إلا أن لا يصح الكلام إلا عليه . وأيضا فقد  
صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان حالفاً فليحلف بالله فكما لا يجوز أن  
تحلف إلا بالله كذا لا يجوز أن تستحلف إلا بالله فهذا يرد قول من قال المعنى  
أسألك بالله وبالرحم ، وقد قال أبو إسحاق معنى تسألون به تطلبون حقوقكم  
به ولا معنى للخفض على هذا )<sup>(٣)</sup> .

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة ٢/٥٠٥

(٢) سنن الترمذى كتاب النذور ١٦/٧ ، ١٧٠

(٣) اعراب القرآن للنحاس ١/٣٩٠ ، ٣٩١ .

فسرد النحاس أقوال النحاة ولخص البيضاوى أقوالهم وكان الموضوع

واحدا وهو توجيه القراءة فى كلمة الأرحام بالفتح والضم وذكر اعتراض النحاة

على قراءة الجر واختلافهم فى توجيهها .

( ١ )

وفى قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " .

قال البيضاوى : ( متاع الحياة الدنيا . منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى

عقابها ، ورفع على أنه خبر بغيكم ، وعلى أنفسكم صلته ، أو خبر مبتدأ

محدوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى خبر بغيكم ، ونصبه حفص على أنه

مصدر مؤكد أى يتمتعون متاع الحياة الدنيا ، أو مفعول البغى لأنه بمعنى الطلب

فيكون الجار من صلته والخبر محدوف ، تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محدور

أو ضلال ، أو مفعول فعلٍ دلَّ عليه البغى وعلى أنفسكم خبره . ( ٢ )

وقال أبو حيان : ( قوله على أنفسكم خبر للمبتدأ الذى هو بغيكم فيتعلق

بمحدوف ، وعلى هذا التوجيه انتصب متاع فى قراءة زيد بن على وحفص وابن

ابى إسحاق وهارون عن ابن كثير على أنه مصدر فى موضع الحال أى يتمتعين ،

أو باقياً على المصدرية أى يتمتعون به متاعاً أو نصباً على الظرف نحو مقدم الحاج ،

أى وقت متاع الحياة الدنيا .

وكل هذه التوجيهات منقولة ، والعامل فى متاع إذا كان حالاً أو ظرفاً ما تعلق

به خبر بغيكم أى كائناً على أنفسكم ، ولا ينتصبان ببغيكم لأنه مصدر قد فصل

بينه وبين معموله بالخبر وهو غير جائز ، وارتفع متاع فى قراءة الجمهور على أنه

---

( ١ ) سورة يونس آية ٢٣

( ٢ ) تفسير البيضاوى ٢٧٦/١



خبر مبتدأ محذوف وأجاز النحاة وتبعه الزمخشري أن يكون على أنفسكم متعلقاً بقوله بغيكم كما تعلق في قوله " فبغى عليهم " ويكون الخبر متاع إذا رفعته . ومعنى على أنفسكم على أمثالكم والذين جنسكم جنسهم يعني بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا . وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً متاعاً الحياة الدنيا بنصب متاع وتنوينه ونصب الحياة (١) .

هكذا يضارع البيضاوي النحاة واللغويين فيوافق البعض ويخالف الآخر ويرجح في النحو قولاً على قول في إيجاز جامع غير مغل ينبيء عن عقلية فريدة وملكة وقدرة على التعبير والإيجاز وعلم وقدم راسخ .

### ثالثاً : في مجال الفقه :

وأما فيما يتعلق بالفقه ، فالبيضاوي عالم وفقه متمكن في علم الفقه يشهد له في ذلك كتابه الغاية القصوى في دراية الفتوى الذي جمع فيه الشافعية في إيجاز واجمال وشرحه أيضاً لكتاب التنبية لأبي إسحاق الشيرازي وغير ذلك .

وأما في التفسير فقد تناول البيضاوي آيات الأحكام وفسرها وبين ما فيها من أحكام فقهية وأورد أقوال الفقهاء وربما انتصر لمذهب الشافعي الذي هو مذهبه ورد أدلة المعارضين بالدليل النقلى والعقلى وقد أوردنا أمثلة لذلك في موقفه من آيات الأحكام وهنا نورد أمثلة من تفسير البيضاوي مقارنة مع الفقهاء من أهل التفسير بالرأى ، ففي آية الحصر عند قوله تعالى : " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ

الهدى محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك<sup>(١)</sup> .

قال البيضاوى : ( فان أحصرتم . منعتم يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه ومنعه عن المضى مثل صدّه وأصدّه ، والمراد حصر العدو وعند مالك والشافعى رحمهما الله تعالى لقوله تعالى فإذا أنتم ولنزوله فسى الحديبية ولقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا حصر إلا حصر العدو ، وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى لما روى عنه عليه الصلاة والسلام : من كسر أو عرج فقد حل فعليه الحج من قابل<sup>(٢)</sup> ، وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط الإحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى<sup>(٣)</sup> . فما استيسر من الهدى ، فعليكم ما استيسر أو فالواجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر ، والمعنى إن أحصر المحرم وأراد أن يتحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر لأنه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم أمان فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، أى لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدى والمبعوث إلى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب أن ينحرف فيه ، وحمل الأدلون بلسوغ

(١) سورة البقرة آية ١٩٦ .

(٢) مسند أحمد ٤٥٠/٣

(٣) صحيح البخارى مع فتح البارى كتاب النكاح باب الإكفاء فى الدين

الهدى محله على ذبحه حيث يحل الذبح فيه <sup>س</sup>حلاً كان أو حرماً . واقتضاه  
على الهدى دليل على عدم القضاء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى يجب  
القضاء (١) .

هذا ما قاله البيضاوى فى الآية ذكر أقوال الفقهاء وأتى بدليل كل واحد  
منهم <sup>س</sup>وبين المعنى الفقهى من الآية فإذا قارنا بينه وبين تفسير القرطبى لها  
وجدنا أن القرطبى أفاض فى ذكر الأحكام الفقهية وفصل فى الأقوال فيهما  
بدرجة تنسب القارىء أنه يقرأ تفسير قرآن . قال القرطبى : ( فان أحصرتم  
فما استيسر من الهدى ) . فيه اثنا عشرة مسألة .

الأولى : . . . . . الا حصار هو المنع من الوجه الذى تقصده بالعوائق جملة  
فجملة أى بأى عذر كان ، كان حصر عدو أو جور سلطان أو مرض أو ما كان .  
واختلف العلماء فى تعيين المانع هنا على قولين : -

الأول : قال علقمة وعروة ابن الزبير وغيرهما : هو المرض لا العدو وقيل  
العدو وخاصة ، قاله ابن عباس وابن عمر وأنس والشافعى ، قال ابن العربى  
وهو اختيار علمائنا ، ورأى أكثر أهل اللغة ومحصليها على أن أحصر عرض  
للمرض وحصر نزل به العدو .

قلت : ما حكاه ابن العربى من أنه اختيار علمائنا فلم يقل به إلا <sup>س</sup>أشهب وحده ،  
وخالفه سائر أصحاب مالك فى هذا وقالوا : الا حصار إنما هو المرض ، وأما  
العدو فأنما يقال فيه حصر حصرا فهو محصور قاله الباجى فى المنتقى ، وحكى  
أبو اسحاق الزجاج أنه كذلك عند جميع أهل اللغة على ما يأتى ، وقال أبو عبيدة

والكسائي : أحصر بالمرض وحصر بالعدو . وفي الجمل لابن فارس على العكس ، فحصر بالمرض وأحصر بالعدو . وقالت طائفة يقال أحصر فيها جميعا من الرباعي حكاه أبو عمر .

قلت وهو يشبه قول مالك حيث ترجم في موطنه احصر فيها فتأمله وقال الفراء هما بمعنى واحد في المرض والعدو . قال القشيري أبو نصر : وأدعت الشافعية أن الاحصار يستعمل في العدو ، وأما المرض فيستعمل فيه الحصر ، والصحيح أنهما يستعملان فيهما .

قلت ما ادعته الشافعية قد نص الخليل بن أحمد وغيره على خلافه . قال الخليل : حصرت الرجل حصراً منعه وحبسته ، وأحصر الحاج عن بلوغ المناسك من مرض أو نحوه هكذا قال ، جعل الأول ثلاثياً من حصرت ، والثاني في المرض رباعياً . وعلى هذا خرج قول ابن عباس لا حصراً لا حصراً بالعدو . وقال ابن السكيت : أحصره المرض إذا منعه من السفر أو من حاجة يريد ها . وقد حصر العدو يحصرونه إذا ضيقوا عليه فأطافوا به وحاصروه محاصرة وحصاراً . قال الأخفش حصرت الرجل فهو محصور أي حبسته قال واحصرني بولي ، وأحصرني مرضي ، أي جعلني أحصر نفسي . قال أبو عمرو الشيباني حصرني الشيء واحصرني أي حبسني قلت فالأكثر من أهل اللغة على أن حصر في العدو وأحصر في المرض وقد قيل ذلك وقال الله تعالى " لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ " (١) وقال ابن ميادة :

وما هجر ليلى أن تكون تباعدت      عليك ولا أن أحصرتك شغول

وقال الزجاج : الاحصار عند جميع أهل اللغة إنما هو من المرض ، فأما في العدو فلا يقال فيه الا حصر ، يقال حصر حصرا ، وفي الأول أحصر احصارا فدل على ما ذكرناه . وأصل الكلمة من الحبس ، ومنه الحصر الذي يحبس نفسه عن البوح بسرّه . والحصر الملك لأنه كالمحبوس من وراء الحجاب والحصر الذي يجلس عليه لانضمام بعض طاقات البردى الى بعض كحبس الشيء مع غيره .

الثانية : - ولما كان أصل الحصر الحبس قالت الحنفية المحصر من يصير ممنوعاً من مكة بعد الاحرام بمرض أو عدو أو غير ذلك . واحتجوا بمقتضى الاحصار مطلقاً . قالوا وذكر الأمن في آخر الآية لا يدل على أنه لا يكون من العرض ، قال صلى الله عليه وسلم : " الزكام أمان من الجذام " . وقال : " من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص واللوص والعوص " الشوص وجع السن واللوص وجع الأذن والعلوص وجع البطن أخرجه ابن ماجه في سننه . قالوا وإنما جعلنا حبس العدو حصاراً قياساً على المرض اذا كان في حكمه ، لا بدلالة الظاهر . وقال ابن عمر وابن الزبير وابن عباس والشافعي وأهل المدينة : المراد بالآية حصر العدو ، لأن الآية نزلت في سنة ست في عمرة الحديبية حين صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة . قال ابن عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحال كفار قريش دون البيت ، فنحر النبي صلى الله عليه وسلم هديه وحلق رأسه . ودل على هذا قوله تعالى " فاذا أمنتم " . ولم يقل برأتم والله أعلم .

الثالثة : - جمهور الناس على أن المحصر بعدو يحل حيث أحصر وينحر هديه

ان كان ثم هدى ويحلق رأسه . وقال قتادة وابراهيم : يبعث بهدييه  
ان أمكنه ، فاذا بلغ محله صار حلالا . وقال أبو حنيفة دم الا حصار لا يتوقف  
على يوم النحر ، بل يجوز ذبحه قبل يوم النحر اذا بلغ محله ، وخالفه  
صاحبه فقالا : يتوقف على يوم النحر ، وان نحر قبله لم يجزه .

الرابعة : الأكثر من العلماء على أن من أحصر بعد وكافر أو مسلم أو سلطان  
حبسه في سجن أن عليه الهدى ، وهو قول الشافعي وبه قال أشهب .  
وكان ابن القاسم يقول : ليس على من صد عن البيت في حج أو عمرة  
هدى الا أن يكون ساقه معه ، وهو قول مالك ومن حجتهم أن النبي صلى الله  
عليه وسلم انما نحر يوم الحديبية هدياً ، كان قد أشعره وقلده حين أحرم بعمرة ،  
فلما لم يبلغ ذلك الهدى محله للصد أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحر  
لأنه كان هدياً وجب بالتقليد والاشعار ، وخرج لله فلم يجز الرجوع فيه ، ولم  
ينحره رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل الصد ، فلذلك لا يجب على من  
صد عن البيت هدى . واحتج الجمهور بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم  
يحل يوم الحديبية ولم يحلق رأسه حتى نحر الهدى ، فدل ذلك على أن من  
شرط احلال المحصر ذبح هدى ان كان عنده ، وان كان فقيراً فمضى وجده وقدر  
عليه لا يحل الا به ، وهو مقتضى قوله : " فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ " .  
وقد قيل يحل ويهدى اذا قدر عليه ، وكذلك من لا يجد هدياً يشتريه قولان .  
الخامسة : قال عطاء وغيره المحصر بمرض كالمحصر بعدو ، وقال مالك والشافعي  
وأصحابهما من احصره المرض فلا يحله إلا الطواف بالبيت وان أقام سنين حتى  
يفيق وكذلك من أخطأ العدد أو خفى عليه الهلاك . قال مالك وأهل مكة فسى

ذلك كاهل الأفاق . قال : وان احتاج المريض الى دواء تداوى به وافتدى  
وبقى على احرامه لا يحل من شيء حتى يبرأ من مرضه ، فإذا برىء من مرضه  
مضى الى البيت فطاف به سبعا ، وسعى بين الصفا والمروة وحل من حجته  
أو عمرته . وهذا كله قول الشافعى ، وذهب فى ذلك الى ما روى عن عمر  
وابن عباس وعائشة وابن عمر وابن الزبير أنهم قالوا فى المحصر بعرض أو خطأ  
العدد انه لا يحله الا الطواف بالبيت . وكذلك من أصابه بكسر أو بطن منخرق .  
وحكم من كانت هذه حاله عند مالك وأصحابه أن يكون بالخيار اذا خاف فوت  
الوقوف بعرفة لمرضه ، ان شاء مضى اذا أفاق الى البيت فطاف وتحلل بعمره /  
وان شاء أقام على احرامه الى قابل ، وان أقام على احرامه ولم يواقع شيئا مما نهى  
عنه الحاج فلا هدى عليه ومن حجته فى ذلك الاجماع من الصحابة على أن من  
أخطأ العدد أن هذا حكمه لا يحله الا الطواف بالبيت : ( ١ )

الى آخر ما ذكره القرطبى من الأقوال فى الآية . ثم ذكر المسألة السادسة وما  
فيها من أقوال الفقهاء من الاشتراط فى الحج وذكر الاختلاف فى ذلك وأدلة  
كل مذهب . وذكر فى المسألة السابعة اختلاف العلماء فى وجوب القضاء على من  
أحصر . وفى المسألة الثامنة ذكر اجماع العلماء على أنه يحل من كسر وذكر  
اختلافهم فيما يحل به . وفى المسألة التاسعة / اتفاق العلماء فى الاحصار  
انه عام فى الحج والعمرة . وذكر فى المسألة العاشرة الحاصر اذا كان كافراً  
أو مسلماً هل يجوز قتاله وبين قول الفقهاء فيه . وفى المسألة الحادية عشر  
فيما اذا كان العدو والحاصر يتيقن بقاءه واستيطانه أولاً ، وحكم كل واحد منهما .

وفي المسألة الثانية عشرة في الهدى وذكر معناه ومدلولاته .

توسع القرطبي في شرح الآية وأطنب وقسمها إلى مسائل وأسهب بإرجحة أن القارىء يظن أنه يقرأ كتاباً من كتب الفقه لا تفسير للقرآن الكريم . وأما البيضاوى فقد لخص هذه الأحكام الفقهية وجمعها في عبارات موجزة ، نعم انه لم يذكر التفاصيل والأقوال المتعددة في الآية وما ذهب اليه الفقهاء مثل ما فعل القرطبي ولكنه أتى بالقول المعتمد في كل مذهب ما ذكر الدليل حتى لا يطيل على القارىء ويخرجه من علم التفسير إلى علم الفقه .

رابعاً : - في مجال أصول الفقه :

وأما في مجال أصول الفقه فقد كان البيضاوى عالماً بأصول الفقه بل من الأساتذة في هذا الفن، ويشهد له كتاب المنهاج الذى تناوله العلماء بالشرح والتعليق والتدريس .

وقد ظهر علم الأصول في تفسيره ظهوراً بيناً، وبدت فيه شخصية البيضاوى الأصولى، وقد ذكرنا أمثلة من ذلك في مصادره من كتب الأصول ، والآن نعقد مقارنة بين طريقة تناول البيضاوى لعلم الأصول في تفسيره مع مفسر أصولى من علماء الأصول في طريقته لتناول المباحث الأصولية في تفسيره ، وهو الفخر الرازى .  
ففى قوله تعالى : " وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ " (١)

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢ .



قال البيضاوى : ( وما استفهام لهم أن ينفروا جميعاً لنحو غزو أو طلب علم ، كما لا يستقيم لهم أن يتشبثوا جميعاً ، فإنه يخل بأمر المعاش ، فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة ليتكفوا النقاها فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ، وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاها إرشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر ، لأنه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتدكير من فروض الكفاية ، وأنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد . " لعلمهم يحذرون " إرادة أن يحذروا عما يندرون منه واستدل به أن أخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضى أن ينفر من كل ثلاثة تغردوا بقرية طائفة إلى التفقه لتتذرع فرقتها كي يتذكروا ويحذروا ، فلو لم يعتبر أخبار الآحاد ما لم يتواتر لم يفد ذلك ، وقد اشبهت القول فيه تقريراً واعتراضاً في كتابي المصداق (١) .

وقال الفخر الرازى فى الآية : ( هذه الآية حجة قوية لمن يرى أن خبر الواحد حجة ، وقد أطنبنا فى تقريره فى كتاب المحصول من الأصول ، والذى نقول ههنا أن كل ثلاثة فرقة . وقد أوجب الله تعالى أن يخرج من كل فرقة طائفة ، والخارج من الثلاثة يكون اثنين أو واحداً ، ثم إنه تعالى أوجب العمل بأخبارهم لأن قوله " لينذروا قومهم " عبارة عن أخبارهم وقوله " لعلمهم يحذرون " . ايجاب على قومهم أن يعملوا بأخبارهم ، وذلك يقتضى أن يكون خبر الواحد أو الاثنين حجة فى الشرع ، قال القاضى : هذه الآية لا تدل على وجوب العمل بخبر

(١) تفسير البيضاوى ص ٢٣٤ .

الواحد ، لأنَّ الطائفة قد تكون جماعة يقع بخبرها الحجة ، ولأنَّ قوله " وليندروا قومهم " . يصح وان لم يجب القبول ، كما أن الشاهد الواحد يلزمه الشهادة ، وإن لم يلزم القبول ، ولأنَّ الانذار يتضمن التخويف ، وهذا القدر لا يقتضى وجوب العمل به .

والجواب : أمَّا قوله الطائفة قد تكون جماعة ، فجوابه أنا بيِّننا أن كل ثلاثة فرقة ، فلما أوجب الله تعالى أن يخرج من كل فرقة طائفة لزم كون الطائفة ، إمَّا اثنين أو واحداً ، وذلك يبطل كون الطائفة جماعة ، يحصل العلم بخبرهم . فإن قالوا : إنه تعالى أوجب العمل بقول أولئك الطوائف ولعلمهم بلغوا في الكثرة إلى حيث يحصل العلم بقولهم .

قلنا : إنه تعالى أوجب على كل طائفة أن يرجعوا إلى قومهم وذلك يقتضى رجوع كل طائفة إلى قوم خاص ، ثم انه تعالى أوجب العمل بقول تلك الطائفة وذلك يفيد المطلوب .

وأما قوله : " وليندروا قومهم " يصح وان لم يجب القبول ، فنقول إننا لا نتمسك في وجوب العمل بخبر الواحد بقوله " وليندروا " بل بقوله " لعلهم يحذرون " ترغيب منه تعالى في الحذر ، بناءً على أنَّ ذلك الانذار يقتضى إيجاب العمل على وفق ذلك الانذار ، وبهذا الجواب خرج الجواب عن سؤاله الثالث وهو قوله الانذار يتضمن التخويف ، وهذا القدر لا يقتضى وجوب العمل به ( ١ ) .

---

( ١ ) تفسير الرازي ١٦ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

فأبى الرازى الا أن يذكر الرأى المخالف بل ويعقد مناظرة بينه وبين من خالفه فى الرأى ويثبت قوله، وهو أن الآيه دليل على حجية خبر الآحاد ، وقد اتفق البيضاوى معه فى الرأى غير أن البيضاوى لم يذكر القول المخالف لسه، وترك ذكر ذلك فى كتابه المرصاد حتى لا يتحول التفسير إلى جدال فسى علم الأصول .

خامسا : فى مجال العلوم العقلية :  
~~~~~

وأما بالنسبة للعلوم العقلية ، كعلم الكلام والجدل والمنطق وغيرها فالبيضاوى أيضاً أستاذ فيها . فآلف فى ذلك كتابه "طوالع الأنوار" وكتابه "مصابح الأرواح فى علم الكلام" ، وله أيضاً كتاب فى المنطق .

وقد ظهرت هذه العلوم فى تفسيره ظهوراً جلياً فمن قرأ تفسيره علم أن البيضاوى له باع فى علم الكلام . فعند تفسير الآيه يعرض الحقيقة ويدلل عليها بالمنطق فيضع لها المقدمات ويستخرج لها النتائج ، وربما رَدَّ بالمنطق على من خالف مذهبه من المعتزلة وغيرهم من أصحاب الفرق . ففى قوله تعالى :
" بِبَيْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " . (١)

قال البيضاوى : (ذكر الخير وحده لأنه المقضى بالذات ، والشر مقضى بالعرض إنَّ لا يوجد شرٌّ جزئى ما لم يتضمن خيراً كلياً ، أولمراعاة الأدب فى الخطاب... ونبه على أنَّ الشرَّ أيضاً بيده لقوله : " إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " . (٢)

(١) سورة آل عمران آية ٢٦

(٢) تفسير البيضاوى ص ٧٠ .

والبيضاوى بهذا يرد على من قال أن الشر لا يات من الله سبحانه
وتعالى، وهم المعتزلة الذين يوجبون فعل الصلاح والأصلح على الله سبحانه
وتعالى، وأن العبد يخلق أفعاله الاختيارية بما فى ذلك الايمان وفعل الخير،
فالبيضاوى ينقى استدلالهم بالآية " بيدك الخير " ويبين معناه ويرد على
زعمهم هذا بقوله " انك على كل شىء قدير " بشىء من الايجاز والألفاظ كما
هو ديدنه، ويتضح مراد البيضاوى عند قراءة كلام الرازى فى الآية لأنه أكثر
تفصيلاً من كلام البيضاوى فقال الرازى فى الآية : (. . . الألف واللام فى
الخير يوجبان العموم ، فالمعنى بقدرتك تحصل كل البركات والخيرات ، وأيضاً
فقوله " بيدك الخير " يفيد الحصر كأنه قال بيدك الخير لا بيد غيرك ، كما
أن قوله تعالى " لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينٍ ^(١) " أى لكم دينكم أى لا لغيركم وذلك
الحصر ينافى حصول الخير بيد غيره ، فثبت دلالة هذه الآية من هذين الوجهين
على أن جميع الخيرات منه ، ويتكوينه وتحليقه وإيجاده وإبداعه ، إذا عرفت هذا
فنقول أفضل الخيرات هو الايمان بالله تعالى ومعرفة ، فوجب أن يكون الخير
من تخليق الله تعالى لا من تخليق العبد ، وهذا استدلال ظاهر ومن الأصحاب
من زاد فى هذا التقرير فقال : كل فاعلين فعل أحدهما أشرف وأفضل من فعل
الآخر كان ذلك الفاعل أشرف وأكمل من الآخر ولا شك أن الايمان أفضل من الخير،
ومن كل ما سوى الايمان ، فلو كان الايمان بخلق العبد لا بخلق الله لوجب
كون العبد زائداً فى الخيرية على الله تعالى وفى الفضيلة والكمال ، وذلك كفر

(١) سورة الكافرون آية ٦

قبيح فدلّت هذه الآية من هذين الوجهين على أن الايمان بخلق الله تعالى .
فإن قيل فهذه الآية حجة عليكم من وجه آخر لأنه تعالى لما قال : " بيدك
الخير " كان معناه أنه ليس بيدك إلاّ الخير ، وهذا يقتضى ألاّ يكون الكفر
والمعصية واقعين بتخليق الله .

والجواب أن قوله " بيدك الخير " يفيد أن بيده الخير لا بيد غيره وهذا
ينافى أن يكون بيد غيره ولكن لا ينافى أن يكون بيده الخير وبيده ما سوى الخير ،
إلاّ أنه خص الخير بالذكر ، لأنه الأمر المنتفع به فوق التصييص عليه لهذا المعنى .
قال القاضى : كل خير حصل من جهة العباد ، فلولا أنه تعالى أقدرهم عليه
وهذا هم إليه لما يمكنوا منه ، فلهذا السبب كان مضافاً إلى الله سبحانه
وتعالى ، إلاّ أن هذا ضعيف ، لأنّ على هذا التقدير يصير بعض الخير مضافاً إلى
الله تعالى ، ويصير أشرف الخيرات مضافاً إلى العبد وذلك على خلاف هذا
(١)
النص .

حقاً كان كلام البيضاوى مختصراً أكثر من كلام الرازى ، لكنه ذكر مدلول
الآية ورد على المخالفين من غير أن يشير أنه يرد على أحد فى أسلوب جامع .
وفى قوله تعالى : " لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى ممّا يخلق
ما يشاء سبحانه هو الواحد القهار " . (٢)

قال البيضاوى : (لو أراد الله أن يتخذ ولداً كما زعموا لأصطفى ممّا

(١) تفسير الرازى ٩٢٨ / ٨

(٢) سورة الزمر آية ٥

يخلق ما يشاء ان لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين، ووجوب استناد ما عدا الواجب إليه ، ومن البين أن المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرّر ذلك بقوله : " سبحانه هو الواحد القهار " . فإنّ الألوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلاً عن التوالد لأن كل واحد من المثليين مركب من الحقيقة المشتركة والتعین المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزواج المحجوج إلى الولد (١) .

وقال الرازي وهو من علماء علم الكلام والمنطق : (المراد من هذا الكلام إقامة الدلائل القاهرة على كونه منزهاً عن الولد ، وبيانه من وجوه : الأول : أنه لو اتخذ ولداً لما رضى إلاّ بأكمل الأولاد وهو الابن فكيف فنسبتم إليه البنت .

الثاني : أنّه سبحانه واحد حقيقي ، والواحد الحقيقي يمتنع أن يكون له ولد ، اما أنه واحد حقيقي فلأنه لو كان مركباً لا يحتاج إلى كل واحد من أجزائه وجزؤه غيره ، فكان يحتاج إلى غيره والمحتاج الى غيره ممكن لذاته ، والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته .

وأما أن الواحد لا يكون له ولد فلو جوه :

الأول : أن الولد عبارة عن جزء من أجزاء الشيء ، ينفصل عنه ثم يحصل له صورة مساوية لصورة الولد ، وهذا إنّما يعقل في الشيء الذي ينفصل منه جزء والفرد المطلق لا يقال ذلك فيه .

(١) تفسير البيضاوي ص ٦٠٧ .

الثاني : شرط الولد أن يكون مماثلاً في تمام الماهية للوالد فتكون حقيقة ذلك الشيء حقيقة نوعية محمولة على شخصين ، وذلك محال لأن تعيين كل واحد منهما إن كان من لوازم تلك الماهية لزم إلا يحصل من تلك الماهية الا الشخص الواحد ، وان لم يكن ذلك التعيين من لوازم تلك الماهية كان ذلك التعيين معلوماً بسبب منفصل ، فلا يكون إلهاً واجب الوجود لذاته ، فثبت أن كونه إلهاً واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحداً في حقيقته . وكونه واحداً في حقيقته يمنع من ثبوت الولد له . فثبت أن كونه واحداً يمنع من ثبوت الولد .

الثالث : أن الولد لا يحصل إلا من الزوج والزوجة والزوجان لا بد وأن يكونا من جنس واحد ، فلو كان له ولد لما كان واحداً بل كانت زوجته من جنسه ، وأما أن كونه قهراً يمنع من ثبوت الولد له ، فلأن المحتاج إلى الولد هو الذي يموت فيحتاج إلى ولد يقوم مقامه ، فالمحتاج إلى الولد هو الذي يكون مقهوراً بالموت ، أما الذي يكون قاهراً ولا يقهره غيره كان الولد في حقه محالاً . فثبت أن قوله " هو الله الواحد القهار " اللفاظ مستعملة على دلائل قاطعة في نفس الولد عن الله تعالى (١) .

انظر كيف ظهر علم المنطق والجدل عند كل من الرازي والبيضاوي ، النتيجة واحدة ولكن كل منهما استعمل أسلوبه في الجدل والحجج العقلية فاختلف الأسلوب واتحد الغرض .

(١) تفسير الرازي ٢٦ / ٢٤٢ ، ٢٤٣

سادسا : فى مجال التاريخ :

~~~~~

وأما فيما يتعلق بعلم التاريخ فالبيضاوى مؤرخ ومتمكن فى هذا العلم ،  
يشهد له كتابه نظام التواريخ الذى ذكر فيه تاريخ العالم منذ أبينا آدم عليه  
السلام إلى عصر البيضاوى .

وظهر علم التاريخ فى تفسير البيضاوى فكان يذكر أسماء الأعلام والأنساب  
 ويفصلها كأنه واحدٌ منها ، كما كان يخوض فى أخبار الأمم وأحوالها . فإذا  
عرضت له آية فيها ذكر نسب نبى أو قبيلته أفاض فى ذكر النسب وفصل كأنه  
نسبه هو لا نسب ذلك النبى ففى تفسير قوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ  
وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ " (١) .

قال البيضاوى : ( آل ابراهيم إسماعيل وإسحاق وأولادهما ، وقد دخل فيهم  
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران ابن يضر  
بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب ، أو عيسى وأمه مريم بنت عمران بن ماثان بن  
أسعازار بن أبى يود بن يوزن بن بابل بن سالتان بن يوحنا ابن أوشا بن  
أموزن بن مشكى بن حارفار ابن احاد بن يوتام بن عزريا بن يورام بن ساقط  
بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشار بن عريد بن سلمون بن  
ياعر بن يرخشون بن عميان بن رام بن خضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب  
عليه السلام ، وكان بين العمرانيين ألف وثمانمائة سنة ) (٢) .

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ٧١



وقال الزمخشري في تفسيره : ( اسماعيل واسحاق وأولادهما ، وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر ، وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان . . . ذرية بعضها من بعض ) ، يعنى أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض ، موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من إسحاق ، وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران ابن ماثان بن سليمان بن داود بن ايش بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق وقد دخل فى آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وامرأة عمران هى امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهى حسنة بنت فاقوذ . وقوله " ان قالت امرأة عمران " على أثر قوله وآل عمران ما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى ، والقول الأخير يرجحه أن موسى يقربن بإبراهيم كثيراً فى الذكر . فإن قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهارون ، ولعمران بن ماثان مريم البتول ، فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران ابى مريم التى هى أخت موسى وهارون ؟ قلت كفى بكفالة زكريا دليلاً على أنه عمران أبو البتول ، لأن زكريا بن اذان وعمران بن ماثان كان فى عصر واحد ، وقد تزوج زكريا بنته ايشاع أخت مريم ، فكان يحيى وعيسى ابنى خالة ( ١ ) .

فالبيضاوى ذكر النسب الأنبياء مفصلاً فى حين أن الزمخشري ذكره مجملًا غير أن الزمخشري ناقش النسب وأوضح بالدليل القول الذى يراه راجحاً فكان أكمل من البيضاوى فى ذكر هذه الحقيقة التاريخية وهو تشابه الأسماء فى مريم أم

---

( ١ ) تفسير الزمخشري ١ / ٤٢٤

عيسى عليه السلام ومريم أخت موسى عليه السلام وعمران والد مريم وعمران والد موسى فوضح الزمخشري اللبس حين أهمله البيضاوى وغفل عنه فكان الزمخشري فى هذه الحالة أكمل من البيضاوى . ولكن اغفال البيضاوى لهذه الحقيقة لا يجعله جاهلاً بالتاريخ ولكنه غلب على ظنه ، أن هذه الحقيقة معلومة لا تحتاج إلى توضيح فى حين أنها مهمة وأساسية فى الآية لأن اسم السورة تسمى سورة آل عمران .

وفى موضع آخر نجد البيضاوى يهتم بتحقيق الأسماء وبينها ويشير إلى أنه اضطلع على كتب التاريخ وعلم ما فيها ، وفى تفسير قوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " (١) . تحدث البيضاوى عن أبى ابراهيم وما ورد فيه من خلاف فقال : ( آزر هو عطف بيان لأبيه ، وفى كتب التواريخ أن اسمه تارح فقيل هما علما له كاسرائيل ويعقوب ، وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ أو المعوج ، ولعل منع صرفه أعجمى حمل على موازنة ، أو نعت مشتق من الآزر أو الوزر . والأقرب أنه علم أعجمى على فاعل كغابر وشالغ . وقيل اسم صنم يعبد به فلقب به للزومه عبادته أو اطلق عليه بحذف المضاف . وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمير يفسره ما بعده أى أتعبد آزر ) (٢) .

أما القصص والروايات فقد كانت قليلة فى تفسيره فهو لا يذكرها كثيراً خشية التطويل كما بينا فى موقفه من الاسرائيليات .

---

( ١ ) سورة الأنعام آية ٧

( ٢ ) تفسير البيضاوى ص ١٨٠

سابعاً : فى مجال التصوف :

~~~~~

وأما التصوف فقد ظهر فى تفسيره أيضاً كفسر بعض الآيات على طريقة الصوفية ، فتحدث عن الظاهر والباطن والتفسير الإشارى ، فنحامنحا الصوفية وذكر أقوالهم فى تفسير بعض الآيات .

ففى تفسير قوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً... الآيات " (١)

قال البيضاوى : (... وَإِنَّ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَعْدَى عَدُوهُ السَّاعَى فِى أَمَاتَتِهِ الْمَوْتِ الْحَقِيقِ) فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ، ولم يلحقها ضعف الكبر ، وكانت معجبة رائعة المنظر غير مذلة فى طلب الدنيا ، مسلمة عن دنسها ، لاسمة بها عن مقابحها ، بحيث يصل أثره إلى نفسه ، فتحيا حياة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ، ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارى والنزاع (٢) .

قال القشيرى فى لطائف الاشارات فى هذه الآية : (أَنَّ مَنْ أَرَادَ حَيَاةَ قَلْبِهِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِذَبْحِ نَفْسِهِ ، فَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِالْمَجَاهِرَاتِ جِئَ قَلْبُهُ بِأَنْسَوَارِ الْمَشَاهِدَاتِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ رَادَ إِلَهَ حَيَاةَ ذِكْرِهِ فِى الْإِبْدَالِ أَمَاتَ فِى الدُّنْيَا ذِكْرَهُ بِالْخُمُولِ (٣))

(١) سورة البقرة الآيات من ٦٧ - ٧٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ٥

(٣) لطائف الاشارات ١ / ١١١

وفى تفسير سورة المائدة فى قوله تعالى : " إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ

يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ . . الآيات" (١)
قال البيضاوى بعد ذكره للروايات التى وردت فى قصة المائدة :

(وعن بعض الصوفية : المائدة ها هنا عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء الروح كما ان الأطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها ، فقال لهم عيسى عليه الصلاة والسلام إِنَّ حَصْلَتِ الْإِيمَانِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّقْوَى حَتَّى تَتَمَكَّنُوا مِنَ الْإِلَهِ طَّلَاعَ عَلَيْهَا ، فلم يقلعوا عن السؤال والحوافيه ، فسأل لأجل اقتراحهم ، فبين الله سبحانه وتعالى أن انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة ، فَإِنَّ السَّالِكَ إِذَا انْكَشَفَ لَهُ مَا هُوَ أَعْلَى مِنْ مَقَامِهِ لَعَلَّهُ لَا يَحْتَمِلُهُ وَلَا يَسْتَقِرُّ لَهُ فَيُضِلُّ بِهِ ضَلَالًا بَعِيدًا) (٢) .

وقال فى تفسير قوله تعالى : (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) (١) فالموريات قد حاً (٢) فالمغيرات صبحاً (٣) فأثرن به نقعاً (٤) فوسطن به جمعاً (٥) .

قال البيضاوى (يحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية أثر كما لهن ، الموريات بأفكارهن أنوار المعارف ، المغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مبدأ أنوار القدس ، فأثرن به شوقاً ، فوسطن به جمعاً من جموع العليين) (٣)

وذكر الألوسى نفس كلام البيضاوى وأضاف إليه ما نصه :

(١) سورة المائدة الآيات ١١٢ - ١١٥

(٢) تفسير البيضاوى ص ١٠١

(٣) تفسير البيضاوى ص ٨٠٨

() ومثله ما قيل : أن ذلك قسم بالهمم القلبية التي تعدو في سبيل الله تعالى خارجاً من جوف اشتياقها صوت الدعاء من شدة العدو وغاية الشوق بحيث يسمع الروحانيون ضجيج دعائها وتضرعها . . . (١)

فقد كان البيضاوى صوفياً كما هو واضح من ذكره كلام الصوفية ، والقول بالتفسير الاشأرى الذى يخرج الآية عن معناها إلى معنى لا يمت إلى الآية ولا إلى التفسير بصلة .

ثامناً : فى مجال علم الفلك :

وأما علم الفلك فالبيضاوى له العام واسع به ، وتجلى ذلك فى تفسيره فى كثير من الآيات .

فمثلاً فى تفسير قوله تعالى : " وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَرِيمِ " (٢)

تحدث البيضاوى عن منازل القمر وبينها منزلاً منزلاً فقال :

(وهى ثمانية وعشرون ، السرطان ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة ، الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الزبرة ، الصرفة العواء ، السماك ، الغفر ، الزبانا ، الاكليل ، القلب ، الشولة ، النعائم ، البلدة ، سعد الذابح ، سعد بلع ، سعد السعود ، سعد الأخبية ، فرغ الدلو المقدم ، فرغ الدلو المؤخر ، الرشا وهو بطن الحوت ، ينزل كل ليلة فى واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنه فإذا كان فى آخر منازلها وهو الذى يكون فيه قبيل

(١) روح المعانى ٢٧٨/١٠

(٢) سورة يسن آية ٣٩

(١)

الاجتماع دق واستقوس .

(٢)

وجاءت هذه المنازل بهذا الترتيب في تفسير أبي السعود .
وأما الفخر الرازي فقد فاق البيضاوي في هذا المجال وتحدث في هذه الآية
وأفاض وخاض في علم الفلك خوض العالم في هذا الفن المتكمن فيه فتحدث
عن سير الشمس ودورانها مقارنة مع حركة القمر ودورانه ، وذكر حركة الكوكبين
اليومية والشهرية فقال : (إِنَّ الْقَمَرَ إِذَا كَانَ عَلَى أَفْقِ الْمَشْرِقِ أَيَّامَ
الاستقبال ، تكون الشمس في مقابلته على أفق المغرب ، ثم إِنَّ عند غروب
الشمس يطلع القمر ، وعند طلوعها يغرب القمر ، كَأَنَّ لَهَا حَرَكَةً وَاحِدَةً مَعَ
أَنَّ الشَّمْسَ تَتَأَخَّرُ عَنِ الْقَمَرِ فِي لَيْلَةٍ مَقْدَارًا ظَاهِرًا فِي الْحَسِّ ، فَلَوْ كَانَ لِلْقَمَرِ
حَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ بِهَا يَسْبِقُ الشَّمْسَ وَلَا تَدْرِكُهُ الشَّمْسُ ، وَلِلشَّمْسِ حَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ بِهَا
تَتَأَخَّرُ عَنِ الْقَمَرِ وَلَا تَدْرِكُ الْقَمَرَ ، لَبَقِيَ الْقَمَرُ وَالشَّمْسُ مَدَّةً مَدِيدَةً فِي مَكَانٍ
وَاحِدٍ ، لِأَنَّ حَرَكَةَ الشَّمْسِ كُلَّ يَوْمٍ دَرَجَةً ، فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْكَوَاكِبِ
حَرَكَةً أُخْرَى غَيْرَ حَرَكَةِ الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ وَهِيَ الدَّوْرَةُ الْيَوْمِيَّةُ وَبِهَذِهِ الدَّوْرَةِ لَا يَسْبِقُ
كَوْكَبٌ كَوْكَبًا أَصْلًا . الخ) (٣)

ثم تحدّث عن تعاقب الليل والنهار ، وكيفيته من الناحية الفلكية ثم تحدّث
عن استدارة كوكب الأرض واستدارة السماء كذلك ، وتحدّث عن الكسوف والخسوف
ثم تحدّث عن الكواكب السّيارة الباقية وهي السبعة الباقية من المجموعة الشمسية

(١) تفسير البيضاوي ص ٣٥٣

(٢) تفسير أبي السعود ١٦٨/٧ .

(٣) تفسير الرازي ٧٣/٢٦

ثم فصلها كوكباً كوكباً وبين مداراتها بأسلوب علمي مدلل عليه .
كل ذلك أعرض عنه البيضاوي واكتفى بذكر منازل القمر . وعدم ذكره لهذه
الأشياء لا تدل على جهله بها ولكنه ضرب الذكر عنها صفحاً خشية التطويل ،
فهو بالتأكيد وقف عليها في تفسير الرازي وفي غيره .

وعلى العموم البيضاوي أودع في تفسيره كل هذه العلوم وغيرها ،
ما لم تذكره كعلم الحروف وغيرها ، فجاء تفسيره جامعاً لعلوم كثيرة بعضها
يتوسع فيه نسبياً والبعض يشير إليه إشارة فقط . فهو قد جمع فنونا تفرقت
في كتب التفسير بالرأى ، لتوسع كل صاحب فن في فنه فكان البيضاوي وسطاً في
ذلك فجمع من كل فن ثمرة هذه العلوم فجاء تفسيره علماً بين كتب التفسير
بالرأى ، يجد القارئ فيه مبتغاه في كل فن قصده ، فعالم اللغة يجد
اللغة مبينة أمامه باشتقاقها وشواهدا من الأشعار ، وعالم النحو يجد
القواعد النحوية وخلافات النحويين مبينة ، وعالم القراءات يجد كل القراءات
أمامه موجهة من العربية مبينة أصول اللغة فيها ، والفقيه يجد ما يرجوه من
الأحكام الفقهية وخلافات الفقهاء ، وعالم التاريخ يجد الحقائق التاريخية ،
وعالم الفلك يجد فيه علم الفلك في اختصار ويسر ، وإذا قرأه العوام خرجوا بشمار
من العلم مختلفة متنوعة وفوائد في التفسير غزيرة لما فيه من التبين والايضاح
مع الاختصار في أغلب الأحيان الشيء الذي يبعد الملل ويرغب في الإطلاع .

.....

هذا المعنى إلى العقل السليم ، وهو أن الخط المستقيم الذى يفصل بين الظل والضوء جزء واحد لا يقبل القسمة فى العرض ، إلا أن عين ذلك الخط مما لا يتميز فى الحسن عن طرفيه ، فانه إذا قرب طرف الظل من طرف الضوء اشتبه البعض ببعض فى الحسن ، فلم يقع الحسن على ادراك ذلك الخط بعينه بحيث يتميز عن كل ما سواه . فإذا عرفت هذا فى المثال فاعرف مثاله فى جميع أنواع العبودية ، فأولها : معرفة الله تعالى وتحصيل هذه المعرفة على وجه يبقى العبد مصونا فى طرف الاثبات عن التشبيه وفى طرف النفى عن التعطيل ، فى غاية الصعوبة ، واعتبر سائر مقامات المعرفة من نفسك ، وأيضاً فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية ، حصل لكل واحدٍ منهما طرفاً افراط وتفریطاً وهما مذمومان ، والفاصل هو المتوسط بينهما ، بحيث لا يميل إلى أحد الجانبين ، والوقوف عليه صعب ثم العمل به أصعب ، فثبت أن معرفة الصراط المستقيم فى غاية الصعوبة ، بتقدير معرفته فالبقاء عليه والعمل به أصعب ، ولما كان هذا المقام فى غاية الصعوبة لا جرم قال ابن عباس : ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " شيتنى هود وأخواتها " . وعن بعضهم قال : (رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت له : روى عنك أنك قلت شيتنى هود وأخواتها ؟ فقال نعم . قلت وبأى آية ؟ فقال : " فاستقم كما أمرت " .

المسألة الثانية :

اعلم أن هذه الآية أعظم آية في الشريعة وذلك لأن القرآن لما ورد بالأمر بأعمال الوضوء مرتبة في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله : " فاستقم كما أمرت " ولما ورد الأمر في الزكاة بأداء الإبل من الإبل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد أمر الله تعالى به وعندى أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس ، لأنه لما دل عموم النسيب على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله " فاستقم كما أمرت " . والعمل بالقياس انحراف عنه . (١)

وقال البيضاوى في تفسير الآية : (لما بين أمر المختلفين في التوحيد والنبوة وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها) وهى شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل ، بحيث يبقى العقل مصوناً من الطرفين ، والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع . كما أنزل والقيام بوظائف العبادات من غير تغريط وإفراط مفرط للحقوق ونحوها وهى فى غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : " شيتنى هـود وأخواتها " . (٢)

ومنها ما جاء فى تفسير قوله تعالى " بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ شَرِيدٌ " (٣) قال الرازى : (يعنى أن البأس الشديد الذى يوصفون به إنما يكون إذا كان بعضهم مع بعض ، فأما إذا قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة ، لأن الشجاع يجبن

(١) تفسير الرازى ١٨ / ٧٠ ، ٧١٠

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣٠٧

(٣) سورة الحشر آية ١٤

والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله (١)

وقال البيضاوى فى الآية : (أى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم ، فإنه يشتد بأسهم إذا حارب بعضهم بعضاً ، بل لقدف الله الرعب فى قلوبهم ، ولأن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله) (٢)

وأما تأثره بالزمخشرى فقد أوردنا لذلك أمثلة فى مصادرہ من كتب التفسير ، ونذكر هنا مثلاً يتبين منه اتباعه لصاحب الكشف فى النحو والاعراب . ففى تفسير قوله تعالى : " وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " (٣)

قال الزمخشرى : (لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف ، والثانية تحضيضية ، وإحدى الفاءين للعطف والأخرى جواب (لولا) لكونها فى حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل ، والباعث والمحضض من وإٍ واحد ، والمعنى : ولولا أنهم قاتلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى : هلا أرسلت إلينا رسولاً محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعنى ارسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة) (٤)

وقال البيضاوى (لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها) لأنها إنما أجيبت بالفاء تشبيهاً لها بالأمر . مفعول (يقولوا) المعطوف على

(١) تفسير الرازى ٢٩٠/٢٩

(٢) تفسير البيضاوى ٢٢٤/٢

(٣) سورة القصص آية ٤٧

(٤) الكشف ١٨٣/٣

تصحيحهم بالفاء المعطية معنى السببية المبهمة على أن القول هو المقصود بأن يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة. والجواب محذوف والمعنى : لولا قولهم - إذا أصابتهم مصيبة بسبب كفرهم ومعاصيهم - ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يبلغنا آياتك فتتبعها ونكون ممن المصدقين . وما أرسلناك . أى إنما أرسلناك قطعاً لعذرهم والزاماً للحجة عليهم (١) .

وتأثر البيضاوى بالراغب الأصفهاني وأخذ عن تفسيره الكثير . من ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (٢) .

قال الراغب : (. وفى استعارة الاحاطة أبلغ تشبيهه ذاك أن الانسان اذا ارتكب ذنبا فلم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله ، ومعاودة مثله تجعل على قلبه غشاوة فتجربه إلى ارتكاب أكبر منه ، ثم ارتكابه لما هو أكبر منه يطبع على قلبه فيشجعه على المداومة عليه فيصير ذلك عليه خائفاً يمنعه عن رؤية ما وراءه ، فيرى فى مقابح الذنوب محاسن ، فيتخبط فى بلايا من دنياه ربما يراها نعماً ، فيحسب أن لا وراء اللذات الدنيوية ولا بعد التخصيص بقاء وراءه نعمة ، فهذا معنى احاطت به خطيئته وعلى ذلك دلّ قوله تعالى : " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسَاءُوا السُّوْءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ " (٣) .

(١) تفسير البيضاوى ٩٢ / ٢

(٢) سورة البقرة آية ٨١

(٣) سورة الروم آية ١٠

وقوله : " فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ " (١)
 ووجه آخر روى عن السلف - وان كان عائدا الى ما تقدم فالنظر اليهما مختلف -
 وهو أن السيئة الكفر وذلك عن مجاهد وأبي وائل والربيع فبين تعالى أن من
 تحرى طريق الكفر ثم استمر مريه في ترك الاقلاع إما لترك النظر وإما لشرارة
 وإما لشهوة مستولية عليه حتى يصير ذلك كحائط عليه لا خروج له منه فأولئك
 أصحاب النار (٢)

وقال البيضاوى : (وأحاطت به خطيئته أى استولت عليه وشملت جملة أحواله)
 حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا إنما يصح في شأن
 الكافر لأنه غيره وإن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة
 به لذلك فسرهما السلف بالكفر ، وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنباً ولم يقلع عنه
 استجره إلى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولى
 عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلاً إلى المعاصي مستحسناً إياها
 معتقداً أن لا لذة سواها مبغضاً لمن يمنعه عنها مكذباً لمن ينصحه فيها كما قال
 تعالى " ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات الله " (٣)

ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى : " ... قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " (٤)

(١) سورة التوبة آية ٧٧

(٢) تفسير الراغب لوحة رقم ٢٠١، ٢٠٢

(٣) تفسير البيضاوى ٥٣٤/١

(٤) سورة البقرة آية ١٤٤

قال الراغب : (فطر و شطر و شطره ألفاظ متقاربة المعاني) ففطره
معناه انفصل عنه ، فطره أى جانبه ، ومنه الفطرة للقليل المنفصل فى المانع
و شطر انفصل ، وتباعداً و دار شطور منفصلة الدور (١)

قال البيضاوى : (قيل الشطر فى الأصل لما انفصل عن الشيء من شطره ، إذا
انفصل و دار شطور أى منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه) (٢)

هكذا تأثر البيضاوى بالمفسرين الذين سبقوه فكما وجدناه ، تارة يتبنى
الفكرة ويعبر عنها بأسلوبه وتارة ينقل الكلام كما ورد ، وتارة يوافقهم فى القاعدة
النحوية العامة ثم يتوسع فيها ويبين فروعها ومدلولاتها وهكذا ، جمع تفسيره
من علم اللغة وعلم الكلام والمنطق وزاد عليها ما أوصله إليه اجتهاده .

.....

(١) تفسير الراغب لوحة رقم ٢٨٥

(٢) تفسير البيضاوى ٤٦ / ١

المبحث الرابع

من تأثر به بعده
~~~~~

تأثر بالبيضاوي بعض المفسرين الذين جاءوا من بعده كالنسفي المتوفى سنة عشرة وسبعمئة ، و أبي السعود المتوفى سنة اثنين وثمانين وتسعمئة . و الألوסי المتوفى سنة سبعين ومائتين وألف وغيرهم . أما النسفي فقد أخذ من تفسير البيضاوي النكت البلاغية والمعاني الخفية وغير ذلك ، فهو يعتبر ملخصاً من أنوار التنزيل والكشاف ، مثال ذلك قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى :

” قَوِّجِدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ” ( ١ )

( يريد أن ينقض . يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال :

يريد الرمح صدر أبي براء  
ويعدل عن دماء بني عقيل  
و حال

ان دهرًا يلم شملى بجميل  
لزمان يهيم بالاحسان  
وانقض انفعِل من قضفته اذا كسرتة ومنه انقضا الطير والكوكب لهويه  
أو أفعِل من النقض ( ٢ )

( ١ ) سورة الكهف آية ٧٧  
( ٢ ) تفسير البيضاوي ١١/٢

وقال النسفى : ( يريد أن ينقض . يكاد يسقط . استعيرت الارادة للمدانة والمشاركة كما استعير الهم والعزم لذلك ) (١)

فكلام النسفى هو عين كلام البيضاوى غير أنه أسقط منه الاستدلال ببيتى الشعر السابقين ، واستبدل كلمة يدانى عند البيضاوى بكلمة يريد فى يدانى أن يسقط ، ويريد أن يسقط ولكن ذكر المعنى البلاغى فى الآيـة وتبين هو نفس ما ذكره البيضاوى .

ومن تأثير البيضاوى على النسفى ما جاء فى تفسير قوله تعالى :  
" قَالَ أَرَأَيْتُ أَنتَ عَنْ الْهَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمُ " (٢)  
ولطفه فى الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبتى بيا بنى ،  
وآخره وقدم الخبر على المبتدأ أو صدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة عن ضرب من  
التعجب كأنها مما لا يرغب عنها (٣)

وجاء النسفى بكلام البيضاوى واختصره فقال : ( أَرَأَيْتُ أَنتَ عَنْ الْهَيْتِ  
يا إبراهيم . أى أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل يا أبتى بيا بنى وقدم  
الخبر على المبتدأ لأنه كان أهم عنده ) (٤)

ومنها ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى  
الرَّحْمَنِ عِتِيًّا " (٥)

(١) تفسير النسفى ٢١/٣

(٢) سورة مريم آية ٤٦

(٣) تفسير البيضاوى ١٧/٢

(٤) تفسير النسفى ٣٧/٣

(٥) سورة مريم آية ٦٩



قال البيضاوى : ( من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها . وفى ذكر  
الأشد تنبيه على أنه تعالى يعفو كثيراً من أهل العصيان ولو خص ذلك  
بالكفرة ، فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم فأعتاهم ويطرحهم فى النار  
على الترتيب أو يدخل كلا طبقاتها التى تليق به وأيهم مبنى على الضم  
عند سيبويه لأنَّ حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملاً على (كل وبعض)  
للزوم الاضافة وإذا حذف صدر صلتته زاد نقصه فعاد إلى حقه منصوب المحل  
( ١ )  
بنزاع ..... )

وقال النسفى : ( أى لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغنى أعتاهم فأعتاهم ،  
فإذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدم أولاً بالعذاب فأولاهم ،  
وقيل المراد بأشد هم عتياً الرؤساء لتضاعف جرمهم ، لكونهم ضاللاً ومضلين .  
قال سيبويه : أيهم مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلتته وهو  
من هو أشد ، حتى لو جىء به لأعرب بالنصب ، وقيل أيهم هو أشد ، وهذا لأنَّ  
الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصه فكما  
أن حذف المضاف إليه من قبل يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة  
أوشى منها موجباً للبناء وموضعها نصبٌ بنزع ) . ( ٢ )

وتأثر شهاب الدين الألوسى بالبيضاوى فى كثير من التحقيقات ونقل عنه  
لكنه توسع وأرجع مقالات البيضاوى إلى أصولها وذكر أصحابها وقائلها وفصل  
فى ما أجمله البيضاوى ففى تفسير قوله تعالى : -

---

( ١ ) تفسير البيضاوى ١٩ / ٢

( ٢ ) تفسير النسفى ٤٢ / ٣

” فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ” (١).

قال البيضاوى : ( الضمير للصدّاق حملاً على المعنى ) أو مجرى اسم الإشارة كقول رؤبة :

كأنه فى الجلد توليع البهق

إذا سئل فقال أردت كان ذاك ، وقيل للآيتاء ، ونفساً تميز لبيان الجنس ولذلك وحده والمعنى ، فان وهبن لكم شيئاً من الصدّاق عن طيب نفس ، لكن جعل العمدّة طيب النفس للمبالغة وعداه يعنى لتضمن معنى التجافى والتجاوز . ( ٢ ) وقال الألوسى : ( الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه كثيراً ما يشار به الى المتعدد كقوله تعالى : ” قُلْ أُؤْتِيْكُمْ بِهِ خَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ ” ( ٣ ) بعد ذكر الشهوات المعدودة ، وقد روى عن أبى عبيدة أنه قال : قلت لرؤبة فى قوله :

ففيها خطوط من سواد وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق  
إن أردت الخطوط : فقل كأنها ، وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما  
فقال : أردت كأن ذلك وملك .  
أو للصدّاق الواقع موقعه صدقاتهن كأنه قيل : - ” وأتوا النساء صداقهن -  
والحمل على المعنى كثير ، ومنه قوله تعالى : ” فَأَصْدَقَ وَكُنَّ ” ( ٤ ) حيث عطف

( ١ ) سورة النساء آية ٤

( ٢ ) تفسير البيضاوى ١ / ١٠٩

( ٣ ) سورة آل عمران آية ١٥

( ٤ ) سورة المنافقين آية ١٠

على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه ، أو للصدّاق الذي في ضمن الجمع لأن  
المعنى آتوا كل واحدة من النساء صدّاقاً ( ) ، ثم مضى الألوسي في ذكر  
الأقوال والرد عليها ثم قال : ( نفساً تمييز لبيان الجنس ولذا وحده ،  
وتوضيح ذلك على ما ذكره بعض المحققين أن التمييز - كما قاله النحاة - وإن  
التحد معناه بالميز وجبت المطابقة نحو كرم الزيدون رجالاً ، كالخبر والصفة  
والحال ، وإلاّ فإنّ كان مفرداً غير متعدٍ وجب افراد ، نحو: كرم بنو فلان أباً -  
إن المراد أن أصلهم واحد متصف بالكرم فان تعدد والبس وجب خلفه بظاهر -  
نحو - كرم الزيدون أباءً - إذا أريد أن لكل منهم أباً كريماً ، وإنّ لو أفرد توهم  
أنهم من أب واحد ، والغرض خلافه وإن لم يلبس جاز الأمران ومصحح الأفراد  
عدم الالباس كما هنا لأنّه لا يتوهم أنّ لهن نفساً واحدة ومرجحة أنه الأصل  
مع خفته ومطابقته لضمير منه وهو اسم جنس ، والغرض هنا بيان الجنس ، والواحد يدلُّ  
عليه كقولك : عشرون درهماً ، والمعنى : فإنّ وهبن لكم شيئاً من الصدّاق  
متجافياً عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى البذل من شكاسه  
أخلاقكم وسوء معاملتكم ، وإنّا أوثر ما في النظم الكريم دون ( فإنّ ) وهبن لكم شيئاً  
منه عن طيب نفس ايذاناً بأنّ العمدّة في الأمر طيب النفس وتجافيها عن الموهوب  
بالمرة حيث جعل ذلك مبتدأ وركناً من الكلام لا فضله كما في التركيب المفروض ( ١ )  
ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : " وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا " ( ٢ )

( ١ ) روح المعاني ٢ / ١٩٨ - ١٩٩ .

( ٢ ) سورة النساء آية ٣٥

قال البيضاوى : ( خلافاً بين المرأة وزوجها أضرهما وإن لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما وإضافة الشقاق إلى الظرف إنما لأجرائه مجرى المفعول به كقوله :

يا سارق الليلة أهل الدار  
أو الفاعل كقولهم نهارك صائم<sup>(١)</sup> .

وقال الألوسى : ( شقاق بينهما - أى الزوجين ، وهما وإن لم يجر ذكرهما صريحا فقد جرى ضمنا لدلالة النشوز الذى هو عصيان المرأة زوجها ، والرجال والنساء عليهما ، والشقاق الخلاف والعداوة واشتقاقه من الشق وهو الجانب لأن كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر ، وبين من الظروف المكانية التى يقل تصرفها ، وإضافة الشقاق إليها ، اما لأجرائه الظرف مجرى المفعول كسا فى قوله :

يا سارق الليلة أهل الدار  
أو الفاعل كقولهم صام نهاره والأصل شقاقاً بينهما أى أن يخالف أحدهما الآخر ، فالملابسة بين الظرف والمظروف نزل منزلة الفاعل أو المفعول وشبه بأحدهما ثم عومل معاملته فى الإضافة إليه<sup>(٢)</sup> .

وتأثر أبو السعود بالبيضاوى وظهر ذلك فى تفسيره لكثير من الآيات وخاصة فى ما يتعلق باللغة والقراءات وتوجيهها والإعراب وغير ذلك ، ففى تفسير قوله

---

(١) تفسير البيضاوى ١١٨/١

(٢) تفسير الألوسى ٢٦/٢

تعالى : "إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا  
بَيْنَ النَّاسِ الْآيَةُ" (١)

قال البيضاوى : ( قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف -  
يعنى فى كلمة قرح - والباقون بالفتح ، وهما لغتان كالضَّعْف والضُّعْف .  
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المهاء والمعنى إِنَّ أَسَابُوا مِنْكُمْ يَوْمَ أَحَدٍ  
فَقَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَهُ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَمْ يَضَعِفُوا وَلَمْ يَجْبِنُوا فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِأَنْ  
لَا تَضَعِفُوا فَإِنَّكُمْ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ . وقيل : كلا المسين كان يوم  
أَحَدٍ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ نَالُوا مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخَالَفُوا أَمْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ نَصْرُهَا بَيْنَهُمْ نَدِيلٌ لَهُؤُلَاءِ تِسَارَةٌ  
وَلَهُؤُلَاءِ أُخْرَى كَقَوْلِهِ :

فيوم علينا ويوم لنا      ويوم نساء ويوم نسر

والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه ، والأيام تحتل الوصف  
والخبر ونداؤها يحتمل الخبر والحال والمراد بها أوقات النصر والغلبة ( ٢ ) .

وقال أبو السعود : ( القرح بالفتح والضم لغتان كالضَّعْف والضُّعْف وقد  
قرئ بهما ، وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المهاء ، وقرئ بفتحيتين ، وقيل القرح  
والقرح كالطَّرد والطُّرد ، والمعنى : إِنَّ نَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ أَحَدٍ فَقَدْ نَلْتُمْ مِنْهُمْ قَبْلَهُ  
يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ لَمْ يَثْبُطْهُمْ عَنْ مَعَاوِدَتِكُمْ بِالْقِتَالِ ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِأَنْ لَا تَضَعِفُوا فَاذْكُرُوا  
تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ، وقيل كلا المسين كان يومَ أَحَدٍ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ

( ١ ) سورة آل عمران الآية ١٤٠

( ٢ ) تفسير البيضاوى ٩٩/١

نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفاً وعشرين رجلاً منهم صاحب لوائهم وجرحوا عدداً كثيراً وعقروا عامة خيلهم بالنبل . وتلك الأيام إشارة إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة لا إلى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم أحد ، بل هي داخلية فيها دخولاً أولياً والمراد بها أوقات الظفر والغلبة . ونداولها بين الناس . نصرفها بينهم نديلاً لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال :

فيوم علينا ويوم لنا      ويوم نساء ويوم نسر

والمدولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه أى عاورته فتعاوروه واسم الإشارة مبتدأ ، والأيام اما صفة له أو بدل منه أو عطف بيان له فتداولها خبره أو خبر فتداولها حال من الأيام والعامل معنى اسم الإشارة أو خبر بعد خبر ، وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايدان بأن تلك المدولة سنه مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة سابقتها ولا حققتها وفيه ضرب من التسلية (١) . ويبدو وتأثر ابن السعود بالبيضاوى واضحاً جلياً فى معظم التفسير لا يكاد يزيد على قول البيضاوى فمثلاً فى قوله تعالى :

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ  
فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدْنَ وَهِيَ (٢) .

قال البيضاوى : ( تجامعوهن ، وقرأ حمزة والكسائى بالالف وضم التاء فما لكم عليهن من عدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن تعتدنَّ وهنَّ ) تستوفون عدداً منها من

(١) تفسير أبى السعود ٥٦٢/١ ، ٥٦٣

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٩

عددت الدراهم فاعتد ها كقولك كلته فاكتاله، أو تعد ونها والاسناد إلى الرجال  
للدلالة على أن العدة حق الأزواج، كما أشعر به (فما لكم) وعن ابن كثير تعتد ونها  
مخففاً على ابدال إحدى الدالين بالياء أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون  
فيها، وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة . وتخصيص المؤمنات  
والحكم عام ، للتبنيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيراً لنطفته ،  
وفائدة ثم ازاحة ما عسى أن يتوهم تراخى الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر  
فى النسب يؤثر فى العدة (١) .

وقال أبو السعود : ( تعتد ونها تستوفون عدد ها من عددت الدراهم فاعتد ها ،  
وحقيقته عدد ها لنفسه ، وكذلك كلته فاكتاله والاسناد إلى الرجال للدلالة على أن  
العدة حق الأزواج كما أشعر به قوله تعالى : (فما لكم) وقريء تعتد ونها على  
ابدال إحدى الدالين بالتاء ، أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها .  
والخلوة الصحيحة فى حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتبنيه  
على أن المؤمن من شأنه أن يتخير لنطفته ولا ينكح إلا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة  
ما عسى أن يتوهم أن تراخى الطلاق ريثما تمكن الاصابة يؤثر فى العدة كما يؤثر  
فى النسب (٢)

هكذا تأثر بعض المفسرين ببعض واستفاد الخلف من السلف، و فيما يبدو  
أن تفسير الفخر الرازى والراغب الأصفهاني والزمخشري أصول اعتمد عليها من  
جاء بعدهم من أهل التفسير بالرأى ، وكان تفسير البيضاوى يمثل حلقة الوصل

---

(١) تفسير البيضاوى ١١٩/٢

(٢) تفسير ابى السعود ٤٢٤/٤ ، ٤٢٥

بين تفسير الرازي والراغب الأصفهاني والزمخشري وبين التفاسير المتأخرة عنها كالنسفي والألوسي وأبي السعود . فجمع تفسير البيضاوي زبدة التفاسير السابقة وصاغها في قالب واحد ليجمعها المتأخرون عنه مسبوكة منظمة فأخذوها وأودعوها في تفاسيرهم، وهنا ننظر قيمة تفسير البيضاوي بالنسبة لكتب التفسير بالرأى المتأخرة عنه . وأما لمن يزيد الاطلاع على التفاسير المتقدمة على البيضاوي فسبيله اليها قراءة تفسير البيضاوي، لأنه اختصر طويلها ولخص المتشعب منها، وأبعد منها غير المرغوب فيه كالفكر الاعتزالي وغيره من الأفكار الضالة، وهنا ننظر قيمة تفسير البيضاوي بالنسبة لكتب التفسير بالرأى السابقة له . وتلك منزلة تفسيره بين كتب التفسير بالرأى .

.....



# الفصل الثالث

## ميزة تفسيره وقيمة العلمية

### وفيه مبحثان

- ١- نصره للشيء ورده على الفرق الضالة.
- ٢- الحواشي والتعليقات عليه.

### الفصل الثالث

مميزة تفسيره وقيمتيه العلمية

~~~~~

هذا الفصل ينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول :

نصره للسنة وردّه على الفرق الضالة :

تظهر قيمة تفسير البيضاوى العلمية فى نصره للسنة وردّه على الفرق الضالة وأصحاب البدع فقد رد على المعتزلة فى كثير من تأويلاتهم وضلالاتهم ، وأثبت قول أهل السنة بالحجة والبرهان ، فرد على المعتزلة فى قولهم بالمنزلة بين المنزلتين ، وفى قولهم بانكار الشفاعة ، وفى قولهم بالوجوب على الله تعالى ، وفى قولهم بخلق الأفعال ، وفى قولهم بانكار رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلى غير ذلك من زعماتهم وافتراءاتهم .

كما رد على الحشوية فى قولهم بعدم عصمة الأنبياء ، ورد على الخوارج فى قولهم بخلود صاحب الكبيرة فى النار ، ورد على الشيعة فى قولهم بولاية على كرم الله وجهه ، وقولهم بعصمة الأئمة من آل البيت وغير ذلك من الأقوال المبتدعة فرد عليها ، ودحضها بالأدلة النقلية والعقلية وأوضح سبيل الحق لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وفى ما يلى أمثلة لذلك بشىء من التفصيل :

رده على المعتزلة :

رد البيضاوى على المعتزلة فى قولهم بالمنزلة بين المنزلتين وهى أن مرتكب الكبيرة عندهم فى منزلة بين الايمان والكفر . ففى تفسير قوله تعالى : **" يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ "** (١) . قال البيضاوى : (الفاسق فى الشرع الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث : الأولى التغايب ، وهو أن يرتكبها أحياناً مستقبلاً إياها . والثانية الانهماك وهو يعتاد ارتكابها غير مبالٍ بها . والثالثة الجحود ، وهو أن يرتكبها مستوصباً إياها فإذا شارف هذا المقام وتحطى خططه خلع ربة الإيمان عن عنقه ولا بس الكفر ، وما دام هو فى درجة التغايب أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لا تصافه بالتصديق الذى هو مسمى الايمان . ولقوله تعالى : **" وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا "** (٢) .

والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل ، والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسمًا ثالثاً نازلاً بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الأحكام) (٣) .

وقول المعتزلة أورده الزمخشري فى تفسيره فقال : (الفاسق فى الشريعة الخارج على أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أى بين منزلة المؤمن والكافر ، وقالوا إِنَّ أَوَّلَ مَنْ حَدَّ لَهُ هَذَا الْحَدُّ : أَبُو حَذِيفَةَ

(١) سورة البقرة آية ٢٦

(٢) سورة الحجرات آية ٩

(٣) تفسير البيضاوى ٢٠ / ١

واصل بن عطاء رضى الله عنه وعن أشياعه . وكونه بين بين أن حكمه حكم
المؤمن فى أنه يناكح ويوارث ويفسل صلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ،
وهو كالكافر فى الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته ، وأن لا تقبل له
شهادة . ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزىء خلفه .
ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة . وقد جاء الاستعمالات فى كتاب
الله . " بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ " (١) يريد اللز والتنازع .
" إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (٢) (٣)

والحق ما ذهب إليه البيضاوى وهو قول أهل السنة والجماعة ، أن كل
من كفر فهو فاسق ظالم عاص وليس كل فاسق ظالم عاص كافراً بل قد يكون
مؤمناً . والبيضاوى استدل بقوله تعالى : " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا
فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِىءَ
إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ " (٤)
قال ابن حزم : (فهذه الآية رافعة للشك جملة فى قوله تعالى ، إِنَّ الطائفة
الباغية على الطائفة الأخرى من المؤمنين الأمور سائر المؤمنين بقتالها حتى تفىء
إلى أمر الله تعالى أخوة للمؤمنين المقاتلين ، وهذا أمر لا يضل عنه إلا ضال

(١) سورة الحجرات آية ١١

(٢) سورة التوبة آية ٦٧

(٣) تفسير الزمخشري ١/ ٥٩ - ٦٠

(٤) سورة الحجرات آية ٩ ، ١٠

وهاتان الآيتان حجة قاطعة أيضاً على المعتزلة المسقطه اسم الايمان عن القاتل وعلى كل من أسقط عن صاحب الكبائر اسم الايمان وليس لأحد أن يقول إنه تعالى انما جعلهم اخوانا إذا تابوا لأن نص الآية انهم إخوان في حال البغى وقبل الفئدة الى الحق (١).

وكذلك رد البيضاوى على المعتزلة في زعمهم أن الشفاعة لا تجوز لأهل الكبائر وذلك في تفسير قوله تعالى : " وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ " . (٢)

قال البيضاوى : (تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لأهل الكبائر ، وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده أن الخطاب معهم ، والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم) . (٣)

وهذا القول أورده الزمخشري في تفسير الآية فقال : (فان قلت هل فيه دليل - يعنى نص الآية - على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة ؟ قلت نعم لأنه نفى أن تقضى نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك ، ثم نفى أن تقبل منها شفاعت شفيع ، فعلم أنها لا تقبل للعصاة . فإن قلت الضمير في ولا تقبل منها إلى أى النفسين يرجع ؟ قلت الى الثانية العاصية غير المجزى عنها ، وهى التى لا يؤخذ منها عدل ، ومعنى لا تقبل منها شفاعت : ان

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل ٢٣٦/٣

(٢) سورة البقرة آية ٤٨

(٣) تفسير البيضاوى ١٠/١

جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ، ويجوز أن يرجع الى النفس الأولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزى عنها شيئاً ولو أعطت عدلاً منها لم يؤخذ منها " (١)

وأما قول البيضاوى بإثبات الشفاعة للعصاة فهو مذهب أهل السنة والجماعة والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة كما قال البيضاوى :
ومن الآيات فى ذلك قوله تعالى : " مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ الْآيَةُ " (٢)
وأثبت الشفاعة بعد الاذن منه تبارك وتعالى . وقوله تعالى : " لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا " (٣) وقال تعالى " وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ " (٤) . وغير ذلك من الآيات .

وأما الأحاديث الواردة فى الشفاعة للعصاة ، منها ما أخرجه مسلم عن طريق نصر بن على عن أبى سعيد قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناساً أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأما تم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة فجاء بهم ضبائر ضبائر ، فبشوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الجنة تكون فى حميل السيل فقال رجل من

(١) الكشف ٢٧٩/١

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) سورة مريم آية ٨٧

(٤) سورة الزخرف آية ٨٦

(١)

القوم كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية) ، وغير ذلك من

الأحاديث .

وقال النووي نقلاً عن القاضي عياض رحمهما الله : (مذهب أهل السنة

جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح قوله تعالى : "يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ

الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً" (٢) . وقوله "وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا

لِمَنِ ارْتَضَى" (٣) . وأمثالها ، وبخبر الصادق صلى الله عليه وسلم ، وقد جاءت

الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمدنسي

المؤمنين وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها ، ومنعت

الخوارج وبعض المعتزلة منها ، وتعلقوا بمذاهبيهم في تخليد المذنبين في

النار ، واحتجوا بقوله تعالى : "فما تنفعهم شفاعة الشافعين" . وبقوله

تعالى "مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ" (٤) . وهذه الآيات في الكفار (٥)

وفي هذا الرد الكفاية والله ولي التوفيق .

وكذلك رد البيضاوي على المعتزلة في قولهم بالصلاح والأصلح والوجوب

على الله تبارك وتعالى ، فزعموا أن فعل الصلاح والأصلح واجب على الله

تعالى ، وأن في الكون أحداً تقع على غير مشيئته تبارك وتعالى عن ذلك علواً

كبيراً . قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى :

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان ٣ / ٣٨

(٢) سورة طه آية ١٠٩

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٨

(٤) سورة غافر آية ١٨

(٥) شرح النووي لمسلم كتاب الإيمان ٣ / ٣٥

” وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ” . (١)

(ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ استثناء من أعم الأحوال أى لا يؤمنون فى حال إِلَّا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم . وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة) (٢) .

وقال الزمخشري فى الآية : (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ مشيئة إكراه واضطرار) . (٣)

والزمخشري قد تبنى رأى المعتزلة فى وجوب فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى ولما واجهته هذه الآية جعل المشيئة مشيئة إكراه واضطرار على مذهبهم الباطل فى القول بأنَّ الله تعالى له مشيئة إكراه واضطرار . وتعقبه ابن المنير ورد عليه فى ذلك فقال : (بل المراد إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ منهم اختيار الايمان ، فَإِنَّهُ تعالى لو شاء منهم اختيار الايمان لا اختاروه وآمنوا حتماً ، ما شاء الله كان . والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة فى اعتقاده أن الله تعالى شاء منهم الايمان اختياراً فلم يؤمنوا ، إِنْ لا يجب على زعم طائفته نفوذ المشيئة ولا يطلقون القول كما أطلقه سلف هذه الأمة وحملة شريعتها من قولهم : ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ، بل يقولون : إِنْ أَكْثَرُ ما شاءه لم يقع ، إِنْ شاء الايمان والصلاح من جميع الخلق فلم يؤمن ويعمل

(١) سورة الأنعام آية ١١١

(٢) تفسير البيضاوى ١٨٠ / ١

(٣) الكشف ٤٥ / ٢

الصالح إلا القليل وقليل ما هم ، وهذا كله مما يتعالى الله عنه علوا كبيرا ، فإذا صدمتهم هذه الآية بالرد تحيلوا في الموافقة بحمل المشيئة المنفعية على مشيئة القسر والاضطرار ، وإنما يتم لهم ذلك أن لو كان القرآن يتبع الآراء ، أما وهو القدوة والمتبوع فمن خالفه حينئذٍ وتزحزح عنه فإلى النار وما بعد الحق إلا الضلال والله الموفق للصواب (١) .

وكذلك رد البيضاوى على المعتزلة فى انكارهم رؤية الله تبارك وتعالى يسوم القيامة وتأويلهم للآيات على غير ظاهرها . ففى قوله تعالى "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ" (٢) قال البيضاوى : (تراه مستفرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عن سواه ولذلك قدم المفعول ، وليس هذا فى كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره . وقيل منتظرة انعامه ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعنى لا يعدى بالى وقول الشاعر :

وإذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعمًا

بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء (٣) .

وقول المعتزلة أورده الزمخشري فى تفسيره حين أول الآية على غير ظاهرها ، فقال : (إلى ربها ناظرة) : تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول : ألا ترى إلى قوله "إلى ربك يومئذ المستقر" (٤) .

(١) الانصاف على الزمخشري ٤٦/٢

(٢) سورة القيامة الآيات ٢٢ ، ٢٣

(٣) تفسير البيضاوى ص ٧٧٣

(٤) سورة القيامة آية ١٢

"إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقُ" ^(١) ، "إِلَىٰ اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ" ^(٢) ، "إِلَىٰ الْمَصِيرِ" ^(٣) .
 "وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ" ^(٤) ، "عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" ^(٥) . كيف دلّ فيها التقديم
 على معنى الاختصاص ، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ،
 ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم . فإنّ المؤمنين
 نظارة ذلك اليوم ، لأنّهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،
 فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال فوجب حمله على معنى يصح
 معه الاختصاص ، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس أنا إلى فلان ناظر
 ما يصنع بي ، تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل :

وإذا نظرن إليك في ملك
 والبحر دوتك زدتنى نعمة
 وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ، ويأوون
 إلى مقائلهم تقول : عيينتى نويظرة إلى إله واليكم ، والمعنى : أنهم
 لا يتوقعون النعمة والكرامة إلاّ من ربّهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون
 إلاّ إياه ^(٦) .

(١) سورة القيامة آية ٣٠

(٢) سورة الشورى آية ٥٣

(٣) سورة لقمان آية ١٤

(٤) سورة يس آية ٨٣

(٥) سورة الشورى آية ١٠

(٦) الكشاف ٤/٥٢٩ ، ٥٣٠

والبيضاوى على مذهب أهل السنة والجماعة فى تحقيق رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين فى الآخرة بنص الآية والحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم وردَّ البيضاوى على منكريها من المعتزلة ، والحق أبلج والآية صريحة فى اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين فى الآخرة ومن تأولها فى غير معناها الظاهر فهو ضالٌّ والأحاديث الصحيحة كثيرة ومتواترة منها ما رواه مسلم قال : (عن أبي سعيد الخدرى أَنَّ ناساً فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحبٌ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحبٌ قالوا لا يا رسول الله قال : ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما الى آخر الحديث) (١) .

هكذا ردَّ البيضاوى على المعتزلة وفند مزاعمهم وضلالاتهم وما ذكرناه أمثلة وقول البيضاوى معهم كثير اكتفينا بذكر ما ذكر .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الايمان ٢٥/١ ، ٢٦

رده على الحشوية :

كما رد البيضاوى على المعتزلة ردّاً أيضاً على الحشوية القائلين بعدم عصمة الأنبياء فدحض مزاعمهم وفند آراءهم ففى قوله تعالى فى قصة آدم :
 " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " (١)
 قال البيضاوى : (وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه . الأول : أن آدم صلوات الله عليه كان نبياً وارثاً لمنهى عنه والمرتكب له عاص .
 والثانى : أنه جعل بارتكابه من الظالمين . والظالم ملعون لقوله تعالى :
 " أَلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ " (٢)
 الثالث : أنه تعالى أسند إليه العصيان والغى فقال : " وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " (٣)
 والرابع : أنه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه .
 والخامس : اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله تعالى إياه بقوله : " وَلَوْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (٤) . والخاسر من يكون ذا كبيرة .

(١) سورة البقرة الآيات ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧

(٢) سورة هود آية ١٨

(٣) سورة طه آية ١٢١

(٤) سورة الاعراف آية ٢٣

والسادس : أنه لو لم يذنب لم يجز عليه ما جرى .

والجواب من وجوه :

الأول : أنه لم يكن نبياً حينئذٍ ، والمدعى مطالب بالبيان .

الثاني : أن النهي للتنزيه ، وإنما سعى ظالماً وخاسراً لأنه ظلم نفسه وخسر

حظه بترك الأولى له ، وأما إسناد الغي والعصيان إليه ، عصي بأكله من

الشجرة ، وغوى ضلَّ عن المطلوب .

وفي النص عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجرٌ بليغ لأولاده

عنها ، وإنما أمر بالتوبة تلافياً لما فات عنه ، وجرى عليهما جرى معاتبةً

له على ترك الأولى ووفاء بما قال للملائكة قبل خلقه .

الثالث : أنه فعله ناسياً لقوله تعالى : " فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً " (١)

ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ولعله وان حُطَّ عن الأمة ولم يحط

عن الأنبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة والسلام : (أشد الناس بسلاً

الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل) (٢) ، أو أدى فعله الى ما جرى عليه على

طريق السببية المقدرة دون المؤاخذه ، كتناول السم على الجاهل بشأنه لا يقال

انه باطل لقوله تعالى : " مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا . . . " و " وَقَاسَمَهُمَا . . . " (٣)

الآيتين لأنه ليس فيهما ما يدل على أن تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقالة

أورث فيه ميلاً طبيعياً ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى إلى أن نسي

(١) سورة طه آية ١١٥

(٢) أخرجه الترمذى فى أبواب الزهد وقال حديث حسن صحيح ٢٨ / ٤

(٣) سورة الاعراف آية ٢٠ ، ٢١

ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه .

الرابع : أنه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه ، فإنه طعن أن النهي للتنزيه أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها ممن نوعها وكان المراد بها الإشارة^{إلى} النوع كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ حريراً ونهباً بيده وقال : (هذان حرام على ذكور أمتي حل لناثتها)^(١)

وإنما جرى عليه ما جرى تعظيماً لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده^(٢) والحق ما ذهب إليه البيضاوى ، وهو أن الأنبياء معصومون ، عصمهم الله تعالى من المعاصي وهو قول جمهور العلماء وعليه الاجماع .

قال القاضى عياض : (. . . فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر والموبقات ، ومستند الجمهور فى ذلك الاجماع الذى ذكرناه وهو مذهب القاضى أبوبكر ، ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول^(٣) الكافة) .

والتفسيرات التى ذكرها البيضاوى فى شأن آدم كلها مقبولة يقبلها الشرع والعقل ، من أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة ناسياً بدليل الآية أو متأولاً ظن أن النهي نهى تنزيه لا نهى تحريم ، أو أن ذلك كان قبل النبوة وغير ذلك ، ففى كل الأحوال ليس هذا دليل على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والله أعلم .

(١) أخرجه الترمذى فى أبواب اللباس وقال حديث حسن صحيح ١٢٢/٣

(٢) تفسير البيضاوى ص ٢٦

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ١٤٤/٢ .

(٢) تفسير الطوسي ٥٤٩/٣

رفعه ونصبه على المدح . " وهم راكعون " متخشعون في صلاتهم وزكاتهم ،
وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أى يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة ،
حرصاً على الاحسان ومسارة اليه . وهى نزلت في على رضى الله تعالى عنه
حين سأل سائل وهو راجع في صلاته فطرح له خاتماً . واستدل بهما
الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولى المتولى للأمر والمستحق للتصرف
فيها والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضاً خلاف الظاهر ،
وان صح أنه نزل فيه فلعله جئ بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله ،
فيتدربوا فيه وعلى هذا يكون دليلاً على أن الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها
وأن صدقة التطوع تسمى زكاة (١) .

ورد البيضاوى ردٌّ مقنعٌ وداخض للحجة من عدة وجوه :

أولاً : أنه تعالى بعد أن نهى عن موالاة الكفار ذكر من هو أحق بالموالاة
فقال : " انما وليكم الله ورسوله الذين آمنوا " ، ثم ذكر بعض صفات
المؤمنين الذين هم أهل للولاية فقال : " الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
وهم راكعون " .

ثانياً : أن معنى " راكعون " متخشعون في صلاتهم ثم ذكر أنها مخصوصة
بصيغة التضعيف فقال : (قيل هو حال مخصوصة بيؤتون) ثم ذكر القول
بأنها نزلت في عليٍّ ، وأورد أيضاً بصيغة التضعيف والشك في الأثر فقال :
(وان صح أنه نزل فيه . . الخ)

والحقيقة أن الأثر أخرجه الطبرى في تفسيره وفى سنده غالب بن عبيد الله

(١)

العقيلي الجزري وهو منكر الحديث متروك .

ثالثاً : ان صحت الرواية في أن الآية نزلت في علي رضي الله عنه فالعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجبى بلفظ الجمع للترغيب في مثل ذلك الفعل .

رابعاً : الخلاف في معنى الولاية فقد وردت في لغة العرب معان كثيرة للولاية فجاءت بمعنى تولى الأمور وتدبيرها وبمعنى النصر وبمعنى الإمارة وغير ذلك جاء في لسان العرب في الحديث عن المولى :

(هو اسم يقع على جماعة كثيرة : فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه ، ثم قال - وقد تختلف مصادر هذه الأسماء ، فالولاية بالفتح في النسب والنصرة والعق ، والولاية بالكسر في الإمارة ، والولاء في المعتق والموالة من وإلى القوم) (٢) .

فليس هناك دليل على حملها على معنى الإمامة أو الإمارة لا سيما أنها جاءت في الآية بصيغة الجمع ، وبهذا فان تغنيد البيضاوي لدعوى الشيعة صائب ومقتنع .

والحديث في ذلك طويل وقد تمسك الشيعة أيضاً بحديث " من كنت مولاه فعلى مولاه " والحديث أخرجه الترمذي (٣) وصححه ، ولكن معنى الحديث

(١) لسان الميزان ٤/٤١٤

(٢) لسان العرب ١٥/٤٠٩

(٣) سنن الترمذي كتاب المناقب ٥/٦٣٣

أن الولاية ولاية الاسلام ، وأن الولاء له كما في قوله تعالى : " ذَلِكَ بِأَنَّ
اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ " (١) . وكما في قوله تعالى :
" وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (٢) . وهى ولاية عامة يدخل فيها كل المؤمنين .

ورد البيضاوى على الشيعة أيضاً فى قولهم بعصمة آل البيت وأن
اجماعهم حجة ، جاء ذلك فى تفسير قوله تعالى : " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً " (٣) .

فقد أورد قول الشيعة الطوسى فى تفسيره فقال : (واستدل أصحابنا
بهذه الآية على أن فى جملة أهل البيت معصوماً لا يجوز عليه الغلط ، وأن
اجماعهم لا يكون إلا صواباً بأن قالوا ليس يخلو إرادة الله لانهاب الرجس
عن أهل البيت من أن يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات واجتناب
المعاصى ، أو يكون عبارة عن أنه أذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفاً
اختاروا عنده الامتناع عن القبائح ، والأفضل لا يجوز أن يكون مراداً ، لأن
هذه الإرادة حاصلة من جميع المكلفين ، فلا اختصاص لأهل البيت فى ذلك
ولا خلاف أن الله تعالى خص بهذه الآية أهل البيت بأمر لم يشركهم فيه
غيرهم فكيف يحمل على ما يبطل هذا التخصيص ويخرج الآية من أن يكون لهم

(١) سورة محمد الآية ١١

(٢) سورة التوبة آية ٧١

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٣

فيها فضيلة ومزية على غيرهم ؟ على أن لفظة انما تجرى مجرى ليس ، وقد دللنا على ذلك في ما تقدم وحكيناه عن جماعة من أهل اللغة كالزجاج وغيره ، فيكون تلخيص الكلام : ليس يريد الله إلا أن هاب الرجس على هذا الحديث عن أهل البيت ، فدل ذلك على أن ان هاب الرجس قد حصل فيهم ، وذلك يدل على عصمتهم ، وإذا ثبت عصمتهم ثبت ما أردناه . (١)

وقال البيضاوي في الرد عليهم : (وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غداة وعليه مرطٌ مرحلٌ من شعر أسود فجلس فأثت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجتماعهم حجة ضعيف ، لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضي أنهم أهل البيت لا أنه ليس غيرهم) (٢)

والحق ما ذهب إليه البيضاوي إنه ليس في الآية دليل على عصمتهم ولا أن اجتماعهم حجة ، وأهل البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وغيرهم كأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده وأعمامه المؤمنين وغيرهم ممن انتهى إلى النبي وهو مؤمن لا تخص على وفاطمة والحسن والحسين رضي الله

(١) تفسير الطوسي ٣٠٨/٨

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل ١٩٤/٥ ، ١٩٥ .

(٣) تفسير البيضاوي ص ٥٥٧

عنهم وحدهم . والحديث كما قال البيضاوى ينص على أنهم من أهل البيت ولا ينفي ما عداهم .

هكذا يرد البيضاوى على أهل الفرق ويفند مزاعمهم وآراءهم بالحجج العقلية والنقلية فتبدو من ذلك ميزة تفسيره وقيمته العلمية .

.....

التعليقات والحواشي عليه

تبدو قيمة تفسير البيضاوي العلمية في اهتمام العلماء به وانكبابهم عليه بالحواشي والتعليقات، حتى فاقت تلك الحواشي والتعليقات المائة

ذلك لها وجدوه فيه من مادة علمية غزيرة وعبارة موجزة جامعة، وجمع لعلوم متنوعة وآراء في فنون جمّة فحاول العلماء شرح تلك العلوم ومناقشة تلك الآراء وفك العبارات المجملّة وكشف عن ما تحويه من نكت وعلوم، فكانهم يتنافسون في الحواشي والتعليق عليه الشئ الذي أكثر من عدد الحواشي والتعليقات فوجد قراء تفسير البيضاوي علوما كثيرة في الحواشي والتعليقات، وقد جمع منها صاحب كتاب كشف الظنون الكثير وترك الكثير، فقال عند ذكره لتلك الحواشي : (ثم إن هذا الكتاب رزق من عند الله سبحانه وتعالى بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية فمنهم من علق تعليقه على سورة منه، ومنهم من حشى تحشية تامة ومنهم من كتب على بعض مواضع منه أما الحاشية التامة فكثيرة منها :

حاشية

العالم الفاضل محي الدين محمد بن الشيخ مصلح الدين مصطفى القوجوي المتوفى سنة احدى وخمسين وتسعمائة، وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعا وأسهلها عبارة، كتبها أولا على سبيل الايضاح والبيان للمبدئ في شان مجلدات ثم استأنفها ثانيا بنوع تصرف فيه وزيادة عليه فانتشر هاتان النسختان وتلاعب بهما أيدي النساخ حتى كاد لا يفرق بينهما. ولبعض

الفضول منتخب تلك الحاشية ولا يخفى أنها من أعز الحواشى وأكثرها قيمة
واعتبارا وذلك لبركة زهده وصلاحه .

وحاشية

العالم مصلح الدين مصطفى بن ابراهيم المشهور بابن التمجيد معلم السلطان
محمد خان الفاتح وهى مفيدة جامعة أيضا لخصها من حواشى الكشاف فى
ثلاث مجلدات .

وحاشية

الفاضى الفاضل زكريا بن محمد الأنصارى المصرى المتوفى سنة ستة وعشرين
وتسعمائة وهى فى مجلد سماها فتح الجليل ببيان خفى أنوار التنزيل . أولها :
" الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب . . " نبه فيها على الأحاديث
الموضوعة فى آخر السور .

وحاشية

الشيخ جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى المتوفى سنة احدى
عشر وتسعمائة وهى فى مجلد سماه نواهد الأبتكار وشواهد الأفكار .

وحاشية

الفاضل أبى الفضل القرشى الصديق الخطيب المشهور بالكازرونى المتوفى
سنة خمس وأربعين وتسعمائة وهى حاشية لطيفة فى مجلد أورد فيها من
الدقائق والحقائق ما لا يحصى أولها :
" الحمد لله الذى أنزل آيات بينات محكمة " .

وحاشية

شمس الدين محمد بن يوسف الكرمانى المتوفى سنة خمس وسبعين وسبعمائة
فى مجلد أيضا أولها : " الحمد لله الذى وفقنا للخوض . . . الخ " .

وحاشية

العالم الفاضل محمد بن جمال الدين بن رمضان الشروانى فى مجلد يس
أولهما : " قال الفقير بعد حمد الله العليم العلام . الخ " .

وحاشية

الشيخ الفاضل جمال الدين اسحاق القرامانى المتوفى سنة ثلاث وثلاثين
وتسعمائة وهى حاشية مفيدة جامعة .

وحاشية

العالم المشهور بروشنى الأيدى بنى .

وحاشية

الشيخ محمود بن الحسينى الأفضل الحاذق الشهير بالصادق الكيلانى
المتوفى فى حدود سبعين وتسعمائة وهى من سورة الأعراف الى آخر القرآن
سماها - هداية الرواة الى الفاروق المداوى للعجز عن تفسير البيضاوى - وفرغ
من تحريرها سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة .

وحاشية

الشيخ بابا نعمة الله بن محمد النحجوانى المتوفى فى تسعمائة

وحاشية

العالم مصطفى بن شعبان الشهير بالسرورى المتوفى سنة تسع وستين وتسعمائة
وهى كبرى وصغرى أول الكبرى " الحمد لله الذى جعلنى كشف القرآن . الخ "

وحاشية

المولى الشهير بمناعوض المتوفى سنة أربع وتسعين وتسعمائة وهى فى نحو
ثلاثين مجلد ا .

وحاشية

الشيخ ابى بكر بن أحمد بن الصائغ الحنبلى المتوفى سنة أربع عشرة وسبعمائة
وسماه - الحام الماضى فى ايضاح غريب القاضى - شرح فيه غريبه وضم اليه فوائد
كثيرة .

وأما التعليقات والحواشى الغير تامة فكثيرة جدا فنذكر منها ما وصل
الىنا خبره ونقدم الأشهر فالأشهر منها :

حاشية

المولى المحقق محمد بن فرامرز الشهير بملا خسرو المتوفى سنة خمس وثمانين
وثمانمائة وهى من أحسن التعليقات عليه بل أرجحها الى قوله سبحانه وتعالى
" سيقول السفهاء " وذيلها الى تمام سورة البقرة لمحمد بن عبد الملك البغدادى
(الحنفى المتوفى بدمشق سنة ست عشر والف ذكره خلاصة الأثر) الفه سنة
اثنى عشرة والف أوله الحمد لله هادى المتقين .

وحاشية

العالم الفاضل نور الدين حمزة بن محمود القرامانى المتوفى سنة احدى وسبعين
وثمانمائة وهى على الزهراوين سماها " تفسير التفسير " .

وتعليقــــــــــــــــة

سنان الدين يوسف البردعي الشهير بعجم سنان المحشى لشرح الفرائض كتبها الى قوله سبحانه " وما كادوا يفعلون " . وهي كالمخسروية حجما عبر فيها عن ملا حمزة بالأستاذ الأوسط وعن ملا خسرو بالأستاذ الأخير أوله :
" الحمد لله الذى نور قلوبنا " .

وحاشــــــــــــــــية

الفاضل المحقق عصام الدين بن ابراهيم بن محمد بن عريشة الاسفرايينى المتوفى سنة ثلاث واربعين وتسعمائة وهى مشحونة بالتصرفات اللائقة والتحقيقات الفائقة من أول القرآن الى آخر الأعراف ومن أول سورة النبأ الى آخر القرآن أهداها الى السلطان سليمان خان أوله :
" الحمد لله الذى عم بارفاد ارشاد الفرقان . . الخ " .

وحاشــــــــــــــــية

المولى العلامة سعد الله بن عيسى الشهير بسعدى أفندى المتوفى سنة خمسة وأربعين وتسعمائة وهى من أول سورة هود الى آخر القرآن ، وأما التى وقعت على الأوائل فجمعها ولده بير محمد من الهوامش فألحقها الى ما علقه وفيها تحقيقات لطيفة ومباحث شريفة لخصها من حواشى الكشف وضم اليها ما عنده من تصرفاته المسلمة فوق اعتماد المدرسين عليها ، ورجوعهم عند البحث والمذاكرة اليها وقد علقوا عليها رسائل لا تحصى .

وحاشية

الفاضل سنان الدين يوسف بن حسام المتوفى سنة ست وثمانين وتسعمائة ،
وهي أيضا حاشية مقبولة من أول الأنعام الى آخر الكهف ، وعلق على سورة
الملك والمشر والقمر وألحقها وأهداها الى السلطان سليم خان الثاني .

وحاشية

المولى محمد بن عبد الوهاب الشهير بعبد الكريم زادة المتوفى سنة خمس
وسبعين وتسعمائة وهي من أول القرآن الى سورة طه ولم تنتشر .

وتعليقة

المولى مصطفى بن محمد الشهير ببستان أفندي المتوفى سنة سبع وسبعين
وتسعمائة وهي على سورة الأنعام خاصة .

وتعليقة

المولى محمد بن مصطفى بن الحاج حسن المتوفى سنة احدى عشر وتسعمائة
وهي أيضا على سورة الأنعام .

وتعليقة

العالم الفاضل مصلح الدين محمد اللارى المتوفى سنة سبعة وسبعين وتسعمائة
وهي الى آخر الزهراوين مشحونة بالمباحث الدقيقة .

وتعليقة

نصر الله الرومى

وتعليقة

الشيخ الأديب غرس الدين الحلبي الطبيب .

وتعليقــــــــــــــــة

المحقق الملا حسين الخلخالى الحسينى من سورة يسن الى آخر القرآن أولها :
" الحمد لله الذى توله العرفاء فى كبرياء ذاته " .

وتعليقــــــــــــــــة

الشيخ محى الدين محمد الاسكلىبى المتوفى سنة اثنين وعشرين وتسعمائة .

وتعليقــــــــــــــــة

محى الدين محمد بن القاسم الشهير بالأخوين المتوفى سنة أربع وتسعمائة
وهى على الزهراوين .

وتعليقــــــــــــــــة

السيد أحمد بن عبدالله القريبى المتوفى سنة خمسين وثمانائة وهى الى قريب
من تمامه .

وتعليقــــــــــــــــة

الفاضل محمد بن كمال الدين التاشكدى على سورة الأنعام أهداها الى
السلطان سليم خان .

وتعليقــــــــــــــــة

المولى زكريا بن بيرم الانقراوى المتوفى سنة احدى وألف على سورة الأعراف .

وتعليقــــــــــــــــة

المولى محمد بن عبد الفنى المتوفى سنة ستة وثلاثين وألف الى نصف البقرة
فى نحو خمسين جزءا .

وتعليقــــــــــــــــة

الفاضل محمد أمين الشهير بابن صدر الدين الشروانى المتوفى سنة عشرين

وألف وهي الى قوله تعالى " الم ذلك الكتاب " . أورد عبارة البيضاوى
تماماً بقوله وبدأ بما بدأ به الصفدى فى شرح لامية العجم وهي قوله
" الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب . . . " .

وتعليقــــــــــــــــة

المولى هداية الله العلائى المتوفى سنة تسع وثلاثين وألف .

وتعليقــــــــــــــــة

الفاضل محمد الشرانشى وهي على جزء النبأ .

وتعليقــــــــــــــــة

الفاضل محمد أمين الشهير بأمر بادشاة البخارى الحسينى نزيل مكة وهي
الى سورة الأنعام .

وتعليقــــــــــــــــة

الفاضل محمد بن موسى البسنوى المتوفى سنة ستة وأربعين وألف وهي الى
آخر سورة الأنعام كتبها على طريق الايجاز بل على سبيل التعمية والألفاظ
أولها : " الحمد لله الذى فضل بفضله العالمين على الجاهلين " .

وتعليقــــــــــــــــة

الفاضل المشهور بالعلائى ابن محبى الشيرازى " علاء الدين على بن محى الدين
محمد المتوفى سنة خمسة واربعين وتسعمائة وهي على الزهراوين أولها : " الحمد
لله الذى أنزل على عبده الكتاب " . فرغ منها فى رجب سنة خمس وأربعين وتسعمائة
وسماها : " مصباح التعديل فى كشف أنوار التنزيل " .

وتعليقــــــــــــــــة

المولى أحمد بن روح الله الأنصارى المتوفى سنة تسع وألف وهى الى آخر الأعراف .

وتعليقــــــــــــــــة

محمد بن ابراهيم الحنبلى الحلبى المتوفى سنة احدى وسبعين وتسعمائة .

وصنف الشيخ الامام محمد بن يوسف الشامى مختصرا سماه :

(التحاف بتميز ما تبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف) .

أوله : " الحمد لله الهادى للصواب " .

والشيخ عبد الرؤوف المناوى خرج أحاديثه فى كتاب أوله : " الله أحمد أن جعلنى من خدام أهل الكتاب " .

وسماه : (الفتح السماوى بتخريج أحاديث البيضاوى) .

وممن علق عليه كمال الدين محمد بن محمد بن أبى شريف القدسى المتوفى سنة ثلاثة وتسعمائة .

والشيخ قاسم بن قطبوقا الحنفى المتوفى سنة تسع وسبعين وثمانمائة كتب الى قوله سبحانه وتعالى : " فهم لا يرجعون " .

والعلامة السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ست عشرة وثمانمائة ذكره السخاوى نقلا عن سبطه .

ومن التعليقات عليه مع الكشاف وتفسير أبى السعود ، تعليقة الشيخ رضى الدين

محمد بن يوسف الشهير بابن أبى اللطف القدسى المتوفى سنة ثمان وعشرين

وألف وهى فى مجلد ضخم أوله " الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب " .

علقها فى درسه عند الصخرة . الى آخر الأنعام فبيضاها وأرسلها الى المولى أسعد المفتى .

ومختصر تفسير البيضاوى لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بأبى الكاملية الشافعى القاهرى المتوفى سنة أربع وسبعين وثمانمائة (١).

وأما صاحب كتاب ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون فقد أورد تسهما وستين حاشية وشرحاً وتعليقاً زيادة على ما أورد ه صاحب كشف الظنون وهى كالآتى :-

١ - شرحه جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الأسنوى الشافعى المتوفى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة .

٢ - شرحان على أنوار التنزيل مطولا ومختصرا لكمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن المصرى المعروف بامام الكاملية المتوفى سنة أربع وسبعين وثمانائة .

٣ - شرح خطبته ليدر الدين حسين بن الخواجة شهاب الدين الكيلانى الشافعى المعروف بابن قاوان المتوفى بمكة سنة تسع وثمانين وثمانمائة .

٤ - شرح القاضى عمر بن عبد الله الرومى الحنفى الى آخر سورة آل عمران فى مجلد وتكملة هذا الشرح من سورة الاسراء الى آخر القرآن لعلى بن محمد الدمشقى الصالحى المعروف بالسليمى المتوفى سنة مائتين وألف .

٥ - حاشية لعز الدين بن جماعة محمد بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الكنانى الشافعى المتوفى سنة تسع عشرة وثمانمائة .

٦ - حاشية على شرح العبرى لابن جماعة أيضا .

(١) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ١/ ١٨٨/ ١٩٤ .

- ٧ - حاشية لسيف الدين محمد بن محمد بن عمر بن قطلبوقا الحنفى شيخ السيوطى المتوفى سنة سبعين وثمانائة .
- ٨ - حاشية لسرى الدين محمد بن ابراهيم الدورى المصرى الحنفى المعروف بابن الصائع المتوفى سنة ست وستين وألف .
- ٩ - حاشية لابن هلال الحنفى محمد بن على .
- ١٠ - حاشية للقاضى عبد الحلیم بن الشيخ نصوح الرومى الحنفى المتوفى سنة ثمان وثمانين وألف على الزهراوين وسورة النساء .
- ١١ - حاشية لنور الدين بن صالح الأحمـد أبـادى الهندى الحنفى المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وألف .
- ١٢ - حاشية للقاضى محمد بن يوسف الحميدى المعروف بجشى المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وألف .
- ١٣ - حاشية للصدر عبد الله بن محمد الرومى المعروف بالتونى جوق زادة المتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف .
- ١٤ - حاشية لمحقى الدين محمد بن محمد بن محمد البردى التبريزى المتوفى سنة سبع وعشرين وتسعمائة .
- ١٥ - حاشية البسمل هو الحاج أكبر نواب الشيرازى المتخلص ببسمل صاحب كتاب بحر اللالى .
- ١٦ - حاشية البلقىنى هو القاضى بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعى المتوفى سنة تسعين وثمانائة .

- ١٧ - حاشية لمحمد بن محمد بن محمد المغربي المالكي المعروف بالبليدي المتوفى سنة ست وسبعين ومائة وألف .
- ١٨ - حاشية للحافظ أمان الله بن نور الله بن حسين البتارسي الهندي الحنفي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف .
- ١٩ - حاشية البوريني بدر الدين حسن الدمشقي المتوفى سنة أربع وعشرين وألف .
- ٢٠ - حاشية لزين الدين عبد الرحمن بن يوسف بن علي البهوتي المصري الحنبلي المتوفى سنة تسع وثمانين وألف .
- ٢١ - حاشية لفتح الله بن محمود بن محمد العمري الحلبي المعروف بالبيلوني الشافعي المتوفى سنة اثنين وأربعين وألف .
- ٢٢ - حاشية لسيف الدين محمد بن محمد بن عمر التركي المصري الحنفي المتوفى سنة احدى وثمانين وثمانمائة .
- ٢٣ - حاشية لمحمد بن الحاج حسن الرومي الحنفي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة .
- ٢٤ - تعلية لعلاء الدين الحصكفي محمد بن علي الدمشقي المتوفى سنة خمس وستين وألف .
- ٢٥ - حاشية لمحمد بن ابراهيم الشهير بالخطيب الوزيري المالكي المتوفى سنة احدى وتسعين وثمانمائة في مجلد أوله " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب " .
- ٢٦ - حاشية لعلي بن صادق بن محمد بن ابراهيم الداغستاني الشهير بالشماخي

- الحنفى المدرس بد مشق المتوفى بها سنة تسع وتسعين ومائة وألف .
- ٢٧ - حاشية د باغ زادة على جزء النبأ . هو شيخ الاسلام الرومى محمد صاحب التبيان .
- ٢٨ - حاشية الداماد ، هو القاضى حسن بن أحمد الزعفرانبولى الرومى الحنفى المتوفى ببروسه سنة ثلاث عشرة ومائة وألف .
- ٢٩ - حاشية السفر حلانى ، هو عبد الرحمن بن عمر بن ابراهيم الدمشقى الحنفى المتوفى سنة خمسين ومائة وألف .
- ٣٠ - حاشية داماد وانى ، مصطفى بن عبد الله الكردى المدرس المتوفى ببروسه ثمان وتسعين وألف .
- ٣١ - حاشية السمرقندى ، هو الخواجه أبو القاسم .
- ٣٢ - حاشية السندى ، هو نور الدين محمد بن عبد الهادى الحنفى نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف .
- ٣٣ - حاشية السيالكوتى هو منلا عبد الحكيم الهندى الحنفى المتوفى سنة سبع وستين وألف .
- ٣٤ - حاشية للشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ست عشرة وثمانمائة .
- ٣٥ - حاشية لمحمد بن جمال الدين بن رمضان الشروانى السكرى فى أربع مجلدات (من كتب الخديوية) .
- ٣٦ - حاشية الشروانى هو نور الدين نور الله بن محمد رفيع المدرس ببروسه المتوفى بها سنة خمسون وستين وألف .
- ٣٧ - حاشية الشروانى ، هو الفاضل اسماعيل بن عبد الله الحنفى نزل مكة

المتوفى سنة اثنين وأربعين وتسعمائة .

٣٨ - حاشية الصيامي بن ولي ، هو قاضى الخيرة يولى الرومى الحنفى المتوفى

سنة احدى وسبعين وتسعمائة .

٣٩ - حاشية طاشكرى رادة ، هو الصدر كمال الدين أحمد بن عصام الدين

أحمد الرومى الحنفى المتوفى سنة ثلاثين وألف الى سورة الكهف .

٤٠ - حاشية الطاشكندى هو محمد كمال الدين الشاشى الفرندى الحنفى

النقشبندى نزيل الروم المتوفى سنة ثمانين وتسعمائة .

٤١ - حاشية الظهورى ، هو القاضى صالح بن اسحاق القره باغى الشروانى

الأصل الرومى المتوفى سنة ثلاث وسبعين وألف .

٤٢ - حاشية العالمى هو بهاء الدين محمد بن حسين الهمدانى الشيعى

صاحب كتاب تشريح الأفلاك .

٤٣ - حاشية عرب زادة ، هو القاضى محمد عبد الواعظ محمد الانطاكسى

الرومى المتوفى سنة تسع وستين وتسعمائة .

٤٤ - حاشية العرض ، هو أبو الوفاء محمد بن عمر الحلبي الشافعى المتوفى

سنة احدى وسبعين وألف .

٤٥ - حاشية العشاقى ، هو القاضى عبد الباقي بن عبد الرحيم الرومى الحنفى

المتوفى سنة تسعين وألف .

٤٦ - حاشية عضد الدين عبد الرحمن بن يحيى بن يوسف المصرى الحنفى المتوفى

سنة ثمانين وثمانمائة .

٤٧ - حاشية عناية الله الوابكى البخارى الحنفى المشهور باخوند المتوفى سنة

ست وسبعين ومائة وألف ، من أوله الى آخر سورة البقرة وعلى تمام
جزء النبأ .

٤٨ - حاشية العينتاي ، هو محمد بن حمزة الحنفي نزيل دمشق المتوفى سنة
احدى عشر ومائة وألف .

٤٩ - حاشية العزى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الله صاحب البحر المبتغى .

٥٠ - حاشية الفكارى ، هو الشريف مهدي الشيرازى المتوفى سنة سبع وخمسين
وتسعمائة .

٥١ - حاشية القرة باغى ، هو محمد بن على الرومى بازنيق سنة اثنين وأربعين
وتسعمائة .

٥٢ - حاشية القرة مانى هو كمال الدين اسماعيل الرومى المتوفى سنة عشرين
ومائة .

٥٣ - حاشية القنوى ، هو المفتى خليل بن أحمد الحنفي المتوفى سنة ثلاثين
ومائتين وألف .

٥٤ - حاشية القنوى ، هو عصام الدين اسماعيل بن مصطفى رئيس العلماء الرومى
الحنفى المتوفى سنة خمستسعين وألف .

٥٥ - حاشية الكردي ، هو القاضى عبد الله بن محمد المدرس المتوفى سنة أربع
وستين وألف .

٥٦ - حاشية الكواكبى ، هو محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الحنفي المفتى
الحدبى المتوفى سنة ست وتسعين وألف .

٥٧ - حاشية الكورانى ، هو محمد بن شربت بن يوسف بن القاضى محمود الشاهوى

- الشافعي المتوفى باليمن سنة ثمان وسبعين وألف .
- ٥٨ - حاشية الكيلاني هو أحمد بن توفيق القاضي الحنفي المتوفى سنة
احدى وخمسين وألف .
- ٥٩ - حاشية المولى محمد الرومي الامام بجامع محمود باشا المتوفى سنة
ثلاث وسبعين وتسعمائة .
- ٦٠ - مستجى زادة ، هو عبد الله بن عمر بن عثمان الحنفي الرومي المتوفى
سنة ثمان وأربعين ومائة وألف الى سورة يونس .
- ٦١ - حاشية المفنيساوى، هو عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله القدوسى الخلوتى
المتوفى سنة ثمانين وألف .
- ٦٢ - حاشية مكى زادة ، هو شيخ الاسلام محمد الرومي المتوفى سنة اثني عشر
ومائتين وألف .
- ٦٣ - حاشية المنقارى ، هو شيخ الاسلام يحيى بن عمر الرومي المتوفى سنة
ثمان وثمانين وألف .
- ٦٤ - حاشية الموصلى ، هو محمود بن عبد الله المفتى بها المتوفى سنة اثنتان
وثمانين وألف .
- ٦٥ - حاشية الميمونى ، هو ابراهيم بن محمد المصرى الشافعى المتوفى سنة
تسع وسبعين وألف .
- ٦٦ - حاشية نشابحى زادة ، هو القاضي احمد بن محمد بن رمضان الرومى
الحنفى المتوفى سنة ست وثمانين وتسعمائة .
- ٦٧ - حاشية النكدوى ، هو شرف الدين يعقوب بن ادريس بن عبد الله الرومى

المتوفى سنة أربع وأربعين وثمانمائة .

٦٨ - حاشية العسكري محي الدين محمد بن ابراهيم بن حسن الرومي الحنفي
المتوفى سنة احدى وتسعمائة .

٦٩ - حاشية يوسف زادة عبد الله بن محمد بن يوسف الرومي صاحب الائتلاف
في وجوه الاختلاف (١)

ومن ما تركه صاحب الكشف وصاحب الذيل كثير منها تعليق على سورة
الأعراف . تأليف زكريا بن بهرم الأنقرى المولود سنة عشرين وتسعمائة
والمتوفى سنة احدى وألف وهو مخروم من أوله ويبدأ عند التعليق على
قوله " فرج منه لتتذرب " مخطوط بمكتبة الحرم المكي (٢)

ومنها الحاشية الالهامية السليمية . تأليف علي بن محمد بن علي الآمدي
وهي على جزء تسعة وعشرين وثلاثين من تفسير البيضاوي أوله " نحمدك اللهم
على ما مننت علينا من انعامك " .

ومنها حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضى وهي للعلامة
الأديب محمد أمين الدين بن فضل الله المحبى الدمشقي الحنفي الشهير
بالشهاب الخفاجي وهي في ثمان مجلدات وهي من أشهر الحواشي على تفسير
البيضاوي . ومنها الاسعاف شرح أبيات القاضي والكشاف تأليف خضر بن عبد الله
الموصلى نزيل مكة المتوفى سنة سبع وألف . خط جميل أوله " اللهم يا كاشف
صباية الأوهام بشموس شواهد العلوم " .

(١) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١/ ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠

(٢) فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي ص ٤٧ .

ومنها كتاب اتحاف الراوى فى تخريج أحاديث البيضاوى لابن همام
القرشى الدمشقى . (١)

خرج فيه أحاديث البيضاوى معتمدا على حاشية السيوطى المسماة
نواهد الأبيكار وشواهد الأفكار .

ومنها كتاب جامع الأحاديث الأنوارية والأخبار المصطفوية لعبد الكريم
ابن ولى الدين بن يوسف القادرى المتوفى سنة مائة وألف مصورة بمكتبة مركز
البحث العلمى بجامعة أم القرى خرج فيه أحاديث البيضاوى والزمخشري فى
الكشاف (٢)

ومنها دفع اعتراضات العصام على البيضاوى فى سورة النبأ لمحيى الدين
زادة . (٣)

ومنها رفع الاختلاف عن كلامى القاضى والكشاف لعبد الغنى بن اسماعيل
ابن عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف . (٤)

ومنها رفع الكسا عن عبارة البيضاوى فى سورة النساء لعبد الغنى النابلسى . (٥)

(١) مخطوط مصور بمكتبة جامعة أم القرى ٢١٨٧ حديث

(٢) مصورة من مكتبة الأزهر تحت رقم ٧٥١ ورقمها فى مركز البحث العلمى

بجامعة أم القرى ١٦٤ حديث .

(٣) فهرس مخطوطات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ١٣٢

(٤) فهرس مخطوطات جامعة الامام محمد ص ١٣٨

(٥) فهرس مخطوطات جامعة الامام محمد ص ١٣٩

وهذه الحواشي والتعليقات على البيضاوى معظمها لم ير النور
لم تحقق ولم تطبع ، منها ما هو مخطوط باللغة الفارسية ومنها ما هو
مخطوط باللغة العربية . ومن الحواشى التى كتبت باللغة الفارسية حاشية
سعدى جلبنى تأليف سعد الله بن عيسى بن أمير خان المسمى بسعدى جلبنى
وسعدى افندى المتوفى سنة خمس وأربعين وتسعمائة (١) .

وحاشية عصام الدين وهو عصام الدين ابراهيم بن محمد بن عريشاه
الاسفرايينى المولود سنة ثلاث وسبعين وثمانائة (٢) .

وحاشية على تفسير جزء عم لمحمد سعيد الخادمى (٣) وغير ذلك من

الحواشى التى كتبت باللغة الفارسية . ومن الحواشى التى تم طبعها :
حاشية ابن التمجيد طبعت فى استانبول سنة سبع وعشرين وثمانائة
وألف فى سبع مجلدات .

وحاشية محمد بن مصطفى القوجوى شيخ زادة . طبعت فى استانبول
فى أربع مجلدات سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف .

وحاشية عبد الحاكم السيالكوتى طبعت فى استانبول أيضا سنة احدى
وسبعين ومائتين وألف .

وحاشية الشهاب الخفاجى المسماه عناية القاضى وكفاية الراضى طبعت
ببولاق سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف فى ثمان مجلدات .

(١) مكتبة الحرم المكى برقم ٢٩١ تفسير

(٢) مكتبة الحرم المكى برقم ١٣٢ تفسير

(٣) مكتبة الحرم المكى برقم ٢٣٢ تفسير

(١) وحاشية اسماعيل بن محمد القونوي على هامش حاشية ابن التمجيد .

وكان لزمنا التعليق على هذه الحواشي وتبيين أثرها في تفسير البيضاوي ،
ومقدار الفائدة منها على التفسير ، وبيان منهج صاحب كل حاشية . ونسبة
لكثرة هذه الحواشي نكتفي بذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر .

والذي نود التعليق عليه من هذه الحواشي :

١ - حاشية الشهاب . المسماه عناية القاضى وكفاية الراضى .

٢ - حاشية الكازرونى .

٣ - حاشية محى الدين زادة .

وفيما يلى نذكر هذه الحواشي بشىء من التفصيل .

حاشية الشهاب

وتسمى عناية القاضى وكفاية الراضى ، وهى للشيخ أحمد بن محمد ابن عمر قاضى القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجى المصرى الحنفى . وهى حاشية عظيمة الفائدة بل من أشهر الحواشى على البيضاوى ، تتبع الشهاب فيها كل تفسير البيضاوى بالتوضيح والتعليق والمناقشة ، وخاصة فيما يتعلق باللغة والاعراب وتوجيه القراءات ، والفقه ، والحديث . ففى حين نجده يخالف البيضاوى أحياناً يوافقه ، ثم يقارن بينه وبين الزمخشرى فيوافق أحدهما ويخالف الآخر بالدليل والبرهان دون تعصب أو تشدد . ولتمام الفائدة نذكر كل فن ناقش الشهاب فيه البيضاوى على حده . فنقول :

١ - فى مجال اللغة :

وقف الشهاب مع البيضاوى فى مجال اللغة وقوف الندى للندى كما وقف البيضاوى من قبل مع الزمخشرى فيها ، فأورد الشهاب عبارة البيضاوى ووضعها فى ميزان اللغة ، فأخذ يعلق عليها ويناقش مدلولاتها ويقارن بينها وبين ما دلت عليه عبارة غيره ، فيرجع الذى يراه راجحاً مدعماً قوله بقول العلماء من أهل اللغة وشعراء العرب ، ومن ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى فى سورة يونس : " أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ " . قال البيضاوى : (إلى رجل منهم : من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم الخ) .

وقال الشهاب الخفاجي : (قولهم من أفناء رجالهم - أفناء بفتح
الهمزة وسكون الفاء والنون والمد) وهذه العبارة وإن استعملت في خمول
النسب فليس بمراد لأن نسبه فيهم وشرفه نار على علم ، بل المراد أنه ممن
لم يشتهر بالجاء والعمال الذين اعتقدوا أنهما سبب العز والاجلال لجهلهم
وجاهليتهم لأنه قد يستعمل لعدم التعيين مطلقاً أو التعيين كقول أبي تمام .
مَنْ مَبْلَغُ أَفْنَاءٍ يَعْرِبُ كُلِّهَا * إِنِّي بَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ
يقال هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو قاله الجوهري . وقال الأزهرى
عن ابن الإعرابي : أعفاء الناس وأفناءهم أخلاطهم ، الواحد عفو وفنسو .
وعن أبي حاتم عن أم الهيثم هؤلاء من أفناء الناس ولا يقال فى الواحد هو
من أفناء الناس وفسروه بقوم نزاع من ههنا ومن ههنا ، ولم تعرف أم الهيثم
الأفناء واحداً ، والمراد بالخلط ابهام النسب وليس بمراد هنا ، ومراد أبى
تمام التعميم .

ومنهم مَنْ اعترض على المصنف رحمه الله ومتابعته الزمخشري فى هذه
العبارة ، واختار أن المراد برجل أنه مشهور بينهم بالجلالة والعفة والصدق
كما قال : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ " (١) فإنه محل الإنكار وهو أنسب
بالمقام . وهو غير ظاهر لأنه وإن كان أعظم مما ذكر لكن السياق يقتضى بيان

(١) سورة التوبة آية ١٢٨ قراءة ابن محيصن بفتح الباء من النفاسة أى من
أفضلكم وأشرفكم .

انظر القراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضى ص ٥٢

كفرهم وتذليلهم وتحقيرهم لمن أعزه الله وعظمه وما ذكره يناسب القسم الثاني لا الأول فقد خلط تفسيراً بآخر لأن تعجبهم يحتتمل أن يكون لكونه ليس له مال وجاء كقوله تعالى : "وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ" (١) أو لكونه من البشر كقوله تعالى : "لو شاء ربنا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً" . أو لكونه أُنذِرهم بالبعث الذي أنكره ، والمصنف رحمه الله لم يلتفت إلى هذه البعدة عن السياق (٢) .

ونجد ه تارة يؤيد البيضاوى ويدافع عن عبارته ويدل عليها ورد أقوال المعارضين من ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى : "ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَنذَرُ الظَّالِمِينَ فِي جَنَّتِهَا" (٣) .

قال البيضاوى : (ونذر الظالمين فيها جثياً منبهة بهم كما كانوا وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليتها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منبهة بهم على هيئاتهم) (٤) .

قال الشهاب الخفاجى : (قوله وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو الخ وجه الدلالة أنه لما ذكر أن الجميع واردون لها ثم قسمهم إلى ناسج والى متروك على حاله فى الجثى علم أن مقابله جاثٍ لكنه غير متروك على جثيه فجاء ما ذكر وهو ظاهر والدليل هو قوله ونذر الظالمين الخ وقد بين أيضاً

(١) سورة الزخرف آية ٣١

(٢) حاشية الشهاب ٤/٥

(٣) سورة مريم آية ٧٤

(٤) تفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب ١٧٦/٦ .

بأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد نجاتهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين ، والتركيب يدل على انجاء المؤمنين من الورطة التي يبقی الظالمون فيها، للتقابل بينهما، فدل على أن تلك الورطة هي الجثو حولها، وأنهما يشتركان فيها وقد كانا مشتركاً في الورود فدل هذا على أن المراد بالورود هو الجثو ، وهذا إنما يتأتى بتقدير مضاف في قوله فيها، أى في حواليتها بقرينة الجثو كما أشار إليه المصنف رحمه الله . فمن قال انه لا يجرى في كلام المصنف رحمه الله لم يصب ، لكنه قيل عليه أن الجثو إنما يصلح قرينة ان ثبت أنه لا جثو في النار وهو غير مسلم، وأيد بأن الظالمين لا يتركسون حولها بل يدخلون النار ، ورد بأن الجثو حول جهنم علم من الآية السابقة فردّ هذا اليها، والتفصيل بالمعلوم أولى، وليس المراد بالدلالة الدالة القطعية حتى يخل بها الاحتمال وقوله لا يتركسون الخ لا دليل فيه ولا يخفى أن ما ادعاه من الأولوية الظاهر خلافه لأن جثياً نكره أعيدت فالظاهر أنها غير الأولى، لا سيما وقد وقعت فاصلة وهي كالفافية لا يحسن تكرارها مع ما فيها من التقدير المخالف للظاهر فتأمله (١)

٢ - في مجال الإعراب :

وفي مجال الإعراب ناقش الشهاب عبارة البيضاوي وبين مدلولاتها وخلاف العلماء فيها وبين الرأي الذي يراه راجحاً بالأدلة .

ومما ناقش فيه عبارة البيضاوي وبين مدلولها والخلاف فيه ما جاء في تفسير قوله تعالى : " وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ

(١) حاشية الشهاب ١٢٦/٦ .

(١) أن يُغْوِيَكُمْ . قال البيضاوى : (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم شرط ودليل جواب ، والجملة دليل جواب قوله أن كان الله يريد أن يغويكم) ، وتقدير الكلام : ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذا نقول لو قال الرجل أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيدا قد خلت ثم كلمت زيدا لم تطلق وهو جواب لما أوهموا من أن جداله كلام بلا طائل .

وقال الشهاب : (قوله شرط ودليل جواب . الشرط هو قوله ان أردت . أن أنصح لكم ودليل الجواب هو قوله ولا ينفعكم نصحي ، ومجموع قوله ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم دليل على جواب الشرط الآخر وهو قوله أن كان الله يريد أن يغويكم ، وفي الكشف قوله ان كان الله يريد أن يغويكم جزاءه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي ، وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان أحسنت التي أحسنت اليك ان أمكني ، يعني ان ما تقدم جزاء حكماً لا لفظاً ، فقيد بشرط آخر كما قيد صريح الجزاء لأن التقييد من مقتضيات معنى الجزاء لا لفظه ، وحينئذٍ جاز أن يكون قيداً للجزاء المجرد ، فيتعلق الشرط الأول بالجزاء معلقاً على الثاني ويحتل العكس فليس ما ذكر بناء على قواعد الشافعية على ما توهم ، ثم ان كان أحد الشرطين لا ينفك عنه الجزاء أو الشرط الأول فهو لتحقيق المرام وتأكيده كما في ما نحن فيه وقول القائل ان دخلت الدار فأنت

طالق ان كنتى زوجتى، وإلا فهو لتقييد الجزاء على أحد الوجهين ، والذي حققه النحاة كما فى شرح التسهيل لابن عقيل رحمه الله انه اذا توالى شرطان فأكثر كقولك ان جئتنى إن وعدتك أحسنت اليك فأحسنت اليك جواب ان جئتنى استغنى به عن جواب إن وعدتك ، وزعم ابن مالك أن الشرط الثانى مقيد للأول بمنزلة الحال، وكأنه قال إن جئتنى فى حال وعدى لك .
والصحيح فى هذه المسألة أن الجواب للأول وجواب الثانى محذوف لدلالة الشرط الأول وجوابه عليه فان قلت ان دخلت الدار ان كلمت زيدا إن جاء اليك فأنت حر، فأنت حرّ جواب ان دخلت وان دخلت جوابه دليل جواب ان كلمت وان كلمت وجوابه دليل جواب ان جاء ، والدليل على الجواب جواب فى المعنى والجواب متأخر فالشرط الثالث مقدم وكذا الثانى وكأنه قيل إن جاء فان كلمت فان دخلت فأنت حرّ، فلا يعتق الا اذا وقعت هكذا مجسّء (١)
ثم كلام ثم دخول وهو مذهب الشافعى رحمه الله ثم استفاض الشهاب فى هذه المسألة وذكر خلاف الفقهاء والنحويين وهو منهج الشهاب فى حاشيته كلها الاسهاب فى توضيح المسألة وذكر الأقوال والخلافات فيها وقد اكتفينا بذكر طرف منها على سبيل المثال .

٣ - فى مجال الفقه والأصول :

فى مجال الفقه كان الشهاب فى أغلب الأحيان يوضح عبارة البيضاوى ويبيّن غامضها من غير اعتراض على حكم من الأحكام الفقهية، فاللغة كانت تغلب على الشهاب فى كل المجالات فيرجع كل كلمة تقريباً إلى أصلها اللغوى ثم

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ٩٤/٥

يذكر بعد ذلك ما يتوصل اليه من أحكام فقهية وغيرها .

ففي قوله تعالى : " وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى " . (١)

قال البيضاوى : (واذكروا الله في أيام معدودات . كبروه أذ بار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها في أيام التشريق ، فمن تعجل فمن استعجل نفر في يومين يوم القر والذي بعده ، أى فمن نفر في ثانى أيام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا إثم عليه باستعجاله ، ومن تأخر فلا إثم عليه ، ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال ، وقال أبو حنيفة : يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الإثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما ، والرد على أهل الجاهلية فإن منهم من أثم المتعجل ومنهم من أثم المتأخر) . (٢)

وقال الشهاب في التعقيب على تفسير البيضاوى : (قوله كبروه أذ بار الصلوات وعند ذبح القرابين الخ ، أذ بار جمع دبر بمعنى عقب والقرابين جمع قربان وهو الذبيحة المتقرب بها وقوله في أيام التشريق قيل ينبغى إلا يخص بها ليشمل يوم النحر ، وليس بشئ ، قال الجصاص لا خلاف بين أهل العلم أن المراد بالأيام المعدودات أيام التشريق وهو مروي عن عمر وعلى وابن عباس رضى الله عنهم وغيرهم إلا في رواية عن ابن أبي ليلى أنها يوم النحر ويومان

(١) سورة البقرة آية ٢٠٣

(٢) تفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٥ .

بعده وقيل انه وهم اهـ) . ثم خاض في المباحث اللغوية وخرج منها إلى
اكمال كلام البيضاوى فقال : (وقوله فمن نَفَرَ الخ . إشارة إلى أن النفر
فى يومين ليس شاملاً للنفر فى اليوم الأول فإنه لا يجوز إن لا يقال فعلت
كذا فى يومين بلا مدخلية لليوم الثانى ، فمن قال التقدير فى أحد يومين
أخل بالبيان وقوله بعد رمى الجمار عندنا إشارة إلى وقت جواز النفر لكسبه
عليه أن يقيد به بقوله إلى غروب الشمس لأنه لا يجوز بعده ، وقوله عند أى عند
أبى حنيفة رحمه الله والمقام مقام الاظهار فعنده ، أنه لا يصح النفر بعد
طلوع فجر الثالث قبل الرمى ولذا قال قبل طلوع الفجر وسقط قبل فى بعض
النسخ وهو من الكاتب وكان المصنف رحمه الله تساهل فى البيان لأنه معلوم
فى الفروع مفروغ منه . قوله ومعنى نفى الاثم الخ . تبع فيه الكشاف لأن التخيير
يجوز بين الفاضل والمفضول لأن التأخير أفضل ورده فى الانتصاف بأن التخيير
يوجب التساوى فلا يصح ما قاله واجب بأنه انما يمتنع اذا لم يسبق بمنع لأحد
الطرفين فان سبق به جاز التخيير إشارة إلى مطلق الجواز فيهما ولذلك عطف
عليه الرد على أهل الجاهلية (١) .

وعبارة البيضاوى واضحة لا تحتاج إلى كل هذا التطويل فهو عند ما ذكر
الأيام المعدودات والذكر فيها خصّها بأيام التشريق ، وهو قول جمهور العلماء .
ثم ذكر الرمى والنفر ، وقول الشافعية والحنفية فيه وبين قول أبى حنيفة فى جواز
النفر قبل طلوع فجر اليوم الثالث من أيام التشريق وكذلك قول أبى حنيفة فسى

(١) حاشية الشهاب ٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥ .

تقديم الرمي على الزوال يوم النفر . ثم ذكر التخيير في الاستعجال والتأخير
وبين أن ذلك في نفي الإثم وذلك في الجاهلية لأن منهم من أثم المتعجل
ومنهم من أثم المتأخر فلا داعي للتطويل .

وفي مجال أصول الفقه فالشهاب لا يخوض فيها كثيراً ويتجنب الخوض
فيها بقدر الامكان بعكس اللغة التي لا يترك فيها كلمة إلا وأبرز علمه فيها .
ومن تعقيبه على البيضاوي في الأصول ما جاء في تفسير قوله تعالى :
” وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا . الآية ” (١)

قال البيضاوي : (أُنْذِنَ فِي الْأَصْطِيَادِ بَعْدَ زَوَالِ الْأَحْرَامِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ارَادَةِ
الِابَاحَةِ هَاهُنَا مِنَ الْأَمْرِ دَلَالَةُ الْأَمْرِ الْآتِي بَعْدَ الْحِظْرِ عَلَى الْإِبَاحَةِ مُطْلَقًا) (٢)
وقال الشهاب : (قال الزجاج ومثله لا تدخل هذه الدار حتى تؤدي ثمنها ،
فإذا أدت ثمنها فأدخلها أي إذا أدت أبيع لك دخولها ، وهذه مسألة
أصولية فقول الأمر بعد الحظر يقتضي الإباحة واستدل بهذه الآية ، والمصنف
رحمه الله لا يراه ، فلذا قال ان الأمر ههنا للتوسعة ورفع المنع والصيد ليس
مأموراً به ، فلا وجه للإيجاب فيه ولا تكون الآية دليلاً على ما ذكر ، فإن كان
ما يقتضي الإيجاب أو الاستحباب عمل به ومن قال حقيقته الإيجاب قال انه
مبالغ في صحة المباح حتى كأنه واجب وقيل ان الأمر في مثله لوجوب اعتقاد
الحل وفيه نظر وتحقيقه في أصول الفقه) (٣)

(١) سورة المائدة آية ٢

(٢) تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٣/٢١٤

(٣) حاشية الشهاب ٣/٢١٤ .

وتحقيق المسألة أن القاعدة الأصولية تقول أن زوال الحظر يعنى
الاباحة عند قوم، وعند آخرين أن زوال الحظر يعنى أن الأمر يعود الى
ما كان عليه قبل الحظر إن واجباً فواجب، وإن مباحاً فهو مباح، وإن كان
مندوباً فهو مندوب وهكذا ، والآية نصت على اباحة الصيد بعد الحل،
فهذه الاباحة جاءت وقف القاعدة، أن زوال الحظر يعنى الاباحة أم أنها
جاءت منصوفاً عليها، وأن زوال الحظر يعنى أن الأمر يعود الى الحالة التى
كان عليها قبل الحظر فقد كان مباحاً قبل الحظر أى قبل حالة الاحرام .

والبيضاوى بالطبع أصولى يقول بالقول للثانى أن زوال الحظر يعنى
أن الأمر يرجع الى ما كان عليه قبل الحظر، وجاءت الاباحة بنص الآية، وأن الصيد
قبل الاحرام كان مباحاً فرجع بعد الحظر الى الاباحة وهى الحالة التى كان
عليها قبل الحظر وليس زوال الحظر يعنى الاباحة مطلقاً .

ووافق البيضاوى فى ذلك كثير من علماء الأصول منهم القاضى أبو بكر بن
العربى . قال فى أحكام القرآن : (كان سبحانه حرّم الصيد بقوله تعالى :
" غير محلى الصيد " . ثم أباحه بعد الاحلال ، وهو زيادة بيان ، لأن
ربطه التحريم بالاحرام يدل على أنه إذا زال الاحرام زال التحريم ، ولكن
يجوز أن يبقى التحريم لعلّة أخرى غير الاحرام ، فبين الله سبحانه عدم العلة
بما صرح به من الاباحة ، فكان نصاً فى موضع الاستثناء ، وهو محمول على
الاباحة اتفاقاً ، وقد توهم قوم أن حمله على الاباحة انما كان لأجل تقديم
الحظر عليه وقد بيناه فى أصول الفقه (١) .

(١) احكام القرآن لابن العربى ٢ / ٥٣٥

٤ - فى مجال العقيدة :

علمنا أن عقيدة البيضاوى هى عقيدة أهل الكلام كالأشاعرة والماتريدية والمعتزلة الذين يؤمنون بمبدأ التأويل ، وهو الخروج بالمعنى من ظاهره إلى معنى آخر وخاصة فيما يتعلق بالصفات الخبرية والغيبيات خلافاً لعقيدة السلف الصالح الذين يؤمنون بنصوص الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تعطيل . والبيضاوى كواحد من المتكلمين عندما نهج منهج التأويل ، لم يوافقهم الشهاب الخفاجى على هذا المنهج ولم يجامله بل وقف على حدود الكتاب والسنة ولم يتبع البيضاوى فى ذلك كما تبع البيضاوى والزمخشرى من قبله ، بل رد الشهاب البيضاوى وأبطله . ففى تفسير قوله تعالى : " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا " (١) قال البيضاوى : (الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجوداً ، وحملهم إياه وحفيظهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ أمره) (٢) .

وقال الشهاب : (قوله مجاز عن حفظهم الخ . حمل العرش ظاهر هنا ، وأما ذكره الحفيف فيحتمل أن يكون استطراداً ويحتمل أنه تفسير لمن حوله هنا ، لأنه بمعنى حافين وهو الظاهر ولا مانع من حملهما على الحقيقة وهو ظاهر الأحياد والآيات ، وما ذكره كلام الحكماء وأكثر المتكلمين ، والمراد بالحفظ والتدبير له أن لا يعرض له ما يخل به أو بشيء من أحواله التى لا يعلمها

(١) سورة غافر آية ٧

(٢) تفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب ٧ / ٣٥٩ .

الا الله ولما كانت الكناية والمجاز لا يجتمعان في لفظ واحد حملوه على
اللف والنشر المرتب بجعل المجاز للحمل والكناية للحفيف ، والتخصيص
كما قيل لأن العرش كرى في حيزه الطبيعي فلا يحتاج الى حامل ففيه قرينة
عقلية على منع ارادة المعنى الحقيقي وأما الحفيف والطواف به فلا مانع
من ارادته منه فيكون كناية لأن هذا شأنها وفيه نظر، لأن عدم احتياجه
له لا يصيره مجاز لأن الكناية لا يكفي فيها امكان المعنى الحقيقي لا ارادته
منه بالفعل وهو موجود هنا فتدبر (١) .

ظهر من كلام الشهاب الخفاجي عقيدته السلفية التي هي الايمان بنصوص
الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تعطيل، فلم يوافق البيضاوي فيما ذهب إليه من
أقوال المتكلمين في قولهم بالمجاز في حمل الملائكة للعرض وحفيفهم حوله
حيث قال (لا مانع من حملهما على الحقيقة وهو ظاهر الأحاديث والآيات) .
وما يضير المتكلمين إذا آمنوا بالآيات والصفات كما جاءت من غير تشبيه ولا
تعطيل وتركوا علمها لعلام الغيوب، أليس ذلك خير من اتباع العقل ذي القدرة
المحدودة التي لا تعرف حتى الانسان نفسه فضلاً من معرفة صفات رب
العالمين فيطيش العقل ويتخبط في ظلمات التأويل ؟

هـ - في مجال الحديث :

وفي ما يتعلق بالأحاديث الواردة في تفسير البيضاوي فقد بينا أن البيضاوي
كان يذكر في تفسيره الحديث الصحيح والضعيف والموضوع ولا يتخرج في ذلك

فقد كان يذكر الحديث الصحيح والضعيف في الاستشهاد في تفسير الآيات،
وأما الأحاديث الموضوعة فقد كان يذكرها في أواخر السور في فضـل
الآيات فتتبعه الشهاب الخفاجي في كل هذه الأحاديث وبينها سواء في
تفسير الآيات أو في آخر السور .

ففي تفسير قوله تعالى : " وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا " (١) .

قال البيضاوي بعد تفسير الآية : (روى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا
أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية . وعنه عليه السلام ،
" من قرأ سورة بنى اسرائيل فرّق قلبه عند ذكر الوالد ين كان له قطاراً في
الجنة والقطار ألف أوقية ومثتا أوقية) (٢) .

قال الشهاب الخفاجي : (وهذا الحديث - يقصد الحديث الأول - رواه ابن
أبي شيبة وعبد الرزاق وغيرهما . . . وقوله من قرأ الخ حديث موضوع) (٣) .

وعن سورة مريم روى البيضاوي حديثاً فقال : (عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم : من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا
وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين
فيها) وبعد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله (٤) .

(١) سورة الاسراء الآية ١١١

(٢) تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٧١ / ٦

(٣) حاشية الشهاب ٧١ / ٦

(٤) تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب ١٨٦ / ٦ .

قال الشهاب الخفاجي : (هو موضوع ووجه التكثير وتعدد حسناته بمن ذكر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كذكرهم في هذه السورة كما أشار إليه وذكر الدعاء لوقوعه فيها ولوقوعه في مقابلة من دعا غير الله) (١)

وروى البيضاوي حديثاً في سورة الأنبياء فقال : (عن النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ قرأ اقترَب ، حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن) (٢)

قال الشهاب الخفاجي : (هو حديث موضوع . واقترب علم لهذه السورة تسمية لها بأولها وقوله صافحه وسلم عليه هو في الآخرة كما هو الظاهر ووجه كونه سورة متضمنة لأحوالهم) (٣)

هكذا تتبع الشهاب الخفاجي الأحاديث التي رواها البيضاوي في أواخر السور حديثاً حديثاً وبين الموضوع منها في غير محاباة ولا مجاملة .

.....

(١) حاشية الشهاب ١٨٦/٦

(٢) تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب ٢٨٠/٦

(٣) حاشية الشهاب ٢٨٠/٦

حاشية الكازرونى

وهى للعلامة أبى الفضل القرشى الصديق الخطيب المشهور بالكازرونى وهذه حاشية قيمة أقل فائدة من حاشية الشهاب فكان صاحبها أى الكازرونى يعيل إلى الاختصار أكثر من الشهاب الخفاجى ، فكان يترك كثيراً من الآيات التى فسرهما البيضاوى بدون تعليق أو مناقشة ، فالآيات التى يرى أن تفسير البيضاوى لها يحتاج إلى توضيح أو تعليق فهو يوضح ويعلق ويذكر أمثلة توضح المعنى والآيات التى يرى أن تفسير البيضاوى لها كافٍ لا يحتاج إلى توضيح أو تعليق يتركها وهكذا فى سائر التفسير .

وعلى سبيل المثال نذكر مناقشة الكازرونى للبيضاوى فى اللغة والاعراب والفقه والأصول والعقيدة والحديث . فنذكر :

أولا : فى مجال اللغة :

فى مجال اللغة كان الكازرونى يشرح كلام البيضاوى ويوضحه ويبين مغزاه وإذا استشهد البيضاوى ببیت من الشعر فإن الكازرونى يشرحه ويبين ما غمض من معانى كلماته فهو شارح كلام البيضاوى واستشهاده متعمداً فى ذلك على أقوال أصحاب الحواشى على الكشاف باعتباره أستاذ البيضاوى فى اللغة ، والمصدر الأول فى تفسيره ، وقُل ما يعترض الكازرونى على البيضاوى فى شىء من ذلك .

ومن ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُوبِ الْآيَةُ " (١)

(١) سورة المائدة الآية ١

قال البيضاوى : (الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثوق قال الحطّيئة :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم * شدوا العنّاج وشدوا فوقه الكرباً وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله سبحانه وتعالى على عباده وألزمها إياهم من التكليف ، وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن إن حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب) (١) .

وقال الكازرونى : (وقوله شدد العنّاج الخ . العنّاج حبل يشدُّ فى أسفل الدلو ثم يشدُّ إلى العراقى والعرقوتات الخشبتان المعترضتان على الدلو كالصليب ، والكرب الحبل الذى يشدُّ فى وسط العراقى ثم يثنى ويثلاث ، ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير فاستعار عقد الحبل على الدلو للعهد ، ورشح بذلك شدّ العنّاج وشدّ الكرب . هكذا قال جمع من المعلقين على الكشف وفيه أن المذكور فى البيت هو العقد بلا تقييد بشيء وهو أعم من عقد الحبل على الدلو إلا أن يراد أنه استعمال العقد أولاً فى عقد الحبل بطريق استعمال العام فى الخاص مجازاً ثم استعمال فى العهد تجوزاً عن هذا المعنى وفيه تكلف لكن الباعث عليه استعمال الألفاظ المخصوصة ههنا بعقد الحبل على الدلو) (٢) .

(١) تفسير البيضاوى بحاشية الكازرونى ١٣٢/٢ ، ١٣٣

(٢) حاشية الكازرونى ١٣٣/٢ .

هكذا نرى اختصار الكازرونى على توضيح عبارة البيضاوى واستشهاد به
بالشعر وشرح بيت الحطيئة والمراد من الاستدلال به وهو مضمون كلام
أصحاب الحواشى على الكشف كما أشار إلى ذلك .
ثانيا : فى مجال النحو :

وكعادة الكازرونى فى الاستفادة من كلام حواشى الكشف علق على
كلام البيضاوى فى النحو فيوضح ما اختصره ويبيّن مدلوله ففى قوله تعالى :
" اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ " . (١)

قال البيضاوى : (اقترّب للناس حسابهم ، بالاضافة إلى ما مضى ، وأوعد الله
لقوله تعالى : " إِنَّهُمْ يَرُوءُهُ بَعِيداً وَنَازُهُ قَرِيباً " . (٢) ولقوله : " وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
بِالْعَذَابِ وَلَكِنْ يُخَلِّفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ " . (٣)
أولاً لأن كل ما هو آت قريب ، وإنما البعيد ما انقضى ومضى واللام صلة لا تررب ،
أو تأكيد للاضافة ، وأصله اقترّب حساب الناس ، ثم اقترّب للناس الحساب ، ثم
اقترّب للناس حسابهم) (٤)

وقال الكازرونى : (قوله بالاضافة إلى ما مضى . يريد بيان وجه اقتراب الحساب
ووجهه بأربعة أوجه . قوله أو تأكيد للاضافة كما قالوا فى لا أبالك أن السلام

(١) سورة الأنبياء آية ١

(٢) سورة المعارج آية ٦ ، ٧

(٣) سورة الحج آية ٤٧

(٤) تفسير البيضاوى مع حاشية الكازرونى ٣٤ / ٤ ، ٣٥ .

الظاهرة تأكيد للام المقدرة . قوله وأصله اقتراب حساب الناس أى الأصل ما ذكر باضافة الحساب الى الناس ، ثم قيل اقتراب للناس الحساب ليحصل التبيين بعد الابهام ، ثم اقتراب للناس حسابهم بتقدير اقتراب حساب للناس حسابهم فيحصل منه فائدتان ، احدهما : تأكيد معنى الاضافة ، والثاني : التبيين بعد الابهام ، هكذا ذكره العلامة الطيبي ، وفيه انه يلزم منه حذف الفاعل الذى هو الحساب ، فى قوله " اقتراب حساب للناس حسابهم ، فالوجه الاختصار على أن المال ، أى اقتراب للناس حسابهم " حتى لا يكون الفاعل حساب للناس (١) .

فلم يزد الكازرونى على كلام البيضاوى غير الشرح والتوضيح .

ثالثا : فى مجال الفقه والأصول :

وفى مجال الفقه أيضا لم يصف الكازرونى شيئا أو يعترض بشيء على البيضاوى . وانما هو الشرح والتوضيح ، غير أن شرحه لبعض المسائل يزيل عنها الغموض ولولا تبينه لها وتوضيحه لخفى مدلولها على كثير من الناس لأن شأن البيضاوى ومنهجه دوما الاختصار الشديد ، وفى الفقه والأصول قد يصل الى درجة الألفاظ فعبارة الكازرونى توضح ذلك الغموض وتبينه ، فمثلا فى تفسير قوله تعالى فى سورة النمل : " وتفقد الطير فقال ما لى لا أرى الهدى أم كان من الغائين (٢٠) لأعذبه عذابا شديدا أولأذبحه أوليأتينى بسلطان مبين " (٢) .

قال البيضاوى : (أوليأتينى بسلطان مبين . بحجة تبين عذره والى الحلف فى الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما) (٣) .

(١) حاشية الكازرونى على تفسير البيضاوى ٣٤ / ٤ ، ٣٥ ،

(٢) سورة النمل آية ٢٠ ، ٢١ ،

(٣) تفسير البيضاوى مع حاشية الكازرونى ١١٥ / ٤ .

يقصد البيضاوى بالحلف على أحد الأولين . هو الحلف على عذاب الهدد أو نذبه ، وأما الثالث الذى المقدر عدم حدوثه هو إيراد الحجة المقنعة لسليمان . والكازرونى استخرج من ذلك قاعدة فقهية وهى هل يجوز للإنسان أن يحلف على فعل غيره كما حلف سليمان عليه السلام على فعل الهدد ، وهو الإيتاء بسلطان مبين أى حجة قاطعة والا فسيعذبه عذاباً شديداً أو ليذبحه . قال الكازرونى : (قوله والحلف فى الحقيقة الخ لأن الأصل الغالب أن يحلف الحالف على فعل نفسه دون فعل غيره ، ويفهم من كلامه أنه يجوز أن يحلف على فعل غيره وهو كذلك فقد صرح به الفقهاء . فقالوا : لو قال أحد لآخر أقسمت عليك بالله لتفعلن كذا وقصد به يمين نفسه كان يميناً . ويستحب إبرار القسم ان لم يتضمن محرماً أو مكروهاً) (١) .

وشأنه فى الأصول كشأنه فى الفقه التبيين واستخراج القواعد الأصولية من كلام البيضاوى وتوضيح معناها وبيان المراد منها والرد على المخالفين والمعترضين إن لزم الأمر . ففى قوله تعالى : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا " (٢) .

قال البيضاوى : (اليوم أكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الأديان كلها ، أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد . وأتممت عليكم نعمتى بالهداية والتوفيق أو بكمال الدين أو بفتح مكة وهدم

(١) حاشية الكازرونى على تفسير البيضاوى ١١٥/٤

(٢) سورة المائدة الآية ٣

(١) منار الجاهلية .

وقال الكازرونى : (قوله على قواعد العقائد . هى أصول الاعتقادات والمراد بأصول الشرائع القواعد التى تستنبط منها الأحكام والمراد بقوانين الاجتهاد ما يجب أن يراعى فيه وهذا جواب عن دليل نفاة القياس فإنهم تمسكوا على ابطاله بأن الدين كمل فى آخر عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلو كان القياس جائزاً بعده كان ذلك القياس لابد أن يكون لاظهار حكم لم يكن معلوما فكان القياس موجباً لكمال الدين فلم يكن كاملاً فى ذلك الزمان . والجواب عنه ما ذكر ، وهو أن المراد بكمال الدين تحقيق قواعد العقائد ، وتبيين قواعد الاجتهاد وهذا لا ينافى وقوع الاجتهاد وتخريج الأحكام بعده (٢) .

رابعاً : فى مجال العقيدة :

وعقيدة الكازرونى هى عقيدة السلف الصالح وهى الايمان بنصوص الكتاب والسنة من غير تأويل ، وقد خالف البيضاوى فى هذا المذهب ، وهذا التأويل بمعنى الخروج باللفظ من معناه الى معنى آخر غير مراد ، ورد على البيضاوى بالحجج القاطعة والأحاديث الصحيحة غير أنه يعتمد فى ذلك على أقوال أصحاب الحواشى على الكشاف كالطيبى وغيره .

ففى تفسير قوله تعالى : " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ

(١) تفسير البيضاوى مع حاشية الكازرونى ١٣٥/٢ ، ١٣٦

(٢) حاشية الكازرونى على تفسير البيضاوى ١٣٦/٢ ، ١٣٧

وَكُنَّا نُزِيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفْتَهُلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ " . (١)

قال البيضاوى : (نصب لهم من دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوههم إلى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم أأست بربكم قالوا بلى) فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الأشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله " أن تقولوا يوم القيامة " أى كراهة أن تقولوا : " إننا كنا عن هذا غافلين " . لم ننبه عليه بدليل . . وقيل لما خلق الله آدم أخرجه من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والمنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضى الله تعالى عنه . وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح (٢)

وقال الكازرونى : (اعلم أن معنى كلامه أن قوله تعالى " وأشهدهم " واقع على طريقة التمثيل ، لكن العلامة الطيى قال : ذهب أهل التأويل إلى أن المراد بالاشهاد ما ركب الله فيهم من العقول ، وآتاهم من البصائر ، وكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررههم ، وقال لهم أأست بربكم وكأنهم قالوا بلى ، فذهبوا فى معناه إلى أنه تمثيل وتصوير للمعنى ، وهذا الذى ذهبوا إليه فى تأويل حديث عمر تأويل مستقيم لولا مخالفة حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو ما رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفه ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها ، فنشرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قائلاً أأست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة

(١) سورة الاعراف الآيات ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) تفسير البيضاوى بحاشية الكازرونى ٣ / ٣٤ .

انا كنا عن هذا غافلين وهذا الحديث مخرج في كتاب النسائي^(١) لا يحتمل من التأويل ما يحتمله حديث عمر لظهور المراد منه ، أقول لأن قوله صلى الله عليه وسلم ثم كلمهم قائلاً بإيراد التكليم والقول كالصرح في أن الاشهاد هو التكليم والقول والجواب أيضا القول الحقيقي وإلا لما كان لا يراد التكليم وإيراده بالقول كبير وجه ، ثم قال أى العلامة الطيبي . ان الأحاديث الثلاثة الواردة في هذا الباب متعاضدة متوافقة ، الأول حديث عمر رضى الله عنه قال : سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَعْنَى الْآيَةِ فَقَالَ : إِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ نَرِيَّةً فَقَالَ : خَلَقْتَ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ نَرِيَّةً فَقَالَ : خَلَقْتَ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ يَعْمَلُونَ .^(٢) الثانى حديث أبى هريرة وهو أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من نريته إلى يوم القيامة .^(٣)

الحديث الثالث حديث ابن عباس . وهو ما ذكرناه وإذا تقرر هذا فالواجب على المفسر المحقق ألا يفسر كلام الله المجيد برأيه إذا وجد من جانب السلف الصالح نقلاً معتمداً فكيف بالنص القاطع من حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم فإن الصحابي رضى الله عنه لما سأله صلى الله عليه وسلم عما أشكل

(١) مسند أحمد ٢٧٢/١

(٢) سنن أبى داود كتاب السنة باب فى القدر ٥٢٩/٢

(٣) أخرجه الترمذى فى التفسير وقال حديث حسن صحيح . صحيح الترمذى

عليه من معنى الآية أن الاشهاد هل هو حقيقة أولاً، والاخراج والمقاولة بقوله ألسنت بربكم قالوا بلى انما هو على المتعارف أم على الاستعارة / فلما أجابه صلى الله عليه وسلم بما عرف منه ما أراد ه سكت انتهى كلامه / وهو صريح في أنه يجب حمل الآية على المعنى الحقيقي دون التمثيل . كما حمله القاضى وغيره تبعاً للزمخشري / وتوضيح كلام الطيبي أنه لو لم نحمل الأحاديث على الحقيقة لم يكن لجوابه صلى الله عليه وسلم فى سؤال الصحابى فائدة ، إذ الصحابى حمل الكلام على المعنى الحقيقى ويكون المراد من الحديث غيره على التقدير المذكور . ثم إن ههنا سوءاً لا أورد ه بعضهم وهو أنه اذا كان اقرار الذرية بما ذكر وقت الاخراج من الظهور ان كان عمن اضطرار حيث كوشفت بحقيقة ما شاهدوه عين اليقين / فلهم أن يقولوا . يوم القيامة شهدنا يومئذ فلما زال عنا علم الضرورة وولكلنا الى آرائنا كان منا من أصاب ومنا من أخطأ / وان كان عن استدلال ولكنهم عصموا عنه من الخطأ ، فلهم أن يقولوا يوم القيامة أيدنا يوم الاقرار بتوفيق الله وعصمته وحرمانهما من بعد ولو مددنا بهما أيضاً لكانت شهادتنا فى كل حين كشهادتنا فى اليوم الأول بعد تبين أن الميثاق ما ركب الله فيهم من العقول وآتاهم من البصائر لأنها هى الحجة القاطعة المانعة لهم من قولهم انا كنا عن هذا غافلين . وأجاب العلامة الطيبي عن قوله انهم يقولون شهدنا يومئذ الخ بأنكم ما وكلتم الى آرائكم بل أرسلنا رسلاً تترى لتوقظكم من سنة الغفلة . وأما الجواب عن قوله فلهم أن يقولوا يوم القيامة أيدنا يوم الاقرار الخ فهو أن هذا مشترك الالزام لأنه إذا قيل لهم الم نمحكم العقول والبصائر ؟

فلهم أن يقولوا فإذا حرما اللطف والتوفيق فأى فائدة لنا فى العقل والبصيرة؟
أقول بقى ههنا إشكال وهو أنه إذا حمل الآية على المعنى الحقيقى كما قاله
الطيبى، والحال أن الله تعالى علم بأن الذرية عالمون بأنه تعالى ربهم
إن لولم يعلموا لم يكن للسؤال عنهم معنى ولم يكن لجوابهم أيضا وجه،
ولما تقرر أنه تعالى ربهم وعلم الله تعالى أنهم عالمون فما فائدة هذا
السؤال؟ والجواب يمكن أن يقال الفائدة اظهار كمال القدرة لمن حضر
ذلك المشهد من الملائكة وغيرهم من خلق الله تعالى فانه لا يخفى أن اخراج
ذرية آدم الى يوم القيامة مرة واحدة كالذر والسؤال عنهم عما ذكر وجوابهم
بما ذكروا من غرائب القدرة التى بهرت عقول أولى الأبصار، أو يقال الفائدة
اطلاع من حضر ذلك المكان حتى يشهد عليهم يوم القيامة هذا ما خطر على
خاطر القاصر والله ورسوله أعلم . فإن قيل كيف التوفيق بين الآية والحديث ،
فان الآية دللت على اخراج الذرية من ظهور بنى آدم ، والحديث على اخراج
الذرية من ظهر آدم ؟ فجوابه أن المراد من بنى آدم آدم وذريته لكسب
غلب اخراج الذرارى من أصلاب أولاده نسلاً بعد نسل حينئذ على ذرارى
نفسه ويعضده ما رواه الواحدى عن الكسائى أنه قال : لم يذكر ظهر آدم
وانما خرجوا جميعاً عن ظهره لأن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من
بعض على نحو ما هو المشاهد من الآباء واستغنى عن ذكر ظهر آدم لم علم
أنهم كلهم أولاده فأخرجوا عن ظهره .

ويمكن أن يقال المراد من اخراج الذرية من ظهر آدم اخراجها من ظهره
أعم من أن يكون بلا واسطة أو بواسطة واحدة أو وسائط قليلة أو كثيرة ، ولما

كان من أخرج من ظهر آدم بلا واسطة قليلا ، ورد القرآن ناظراً إلى الغالب الذي كان ما سواه كالعدم فان ما ظهر من آدم بلا واسطة بالنسبة إلى ما خرج من ظهور ذريته كالعدم فقال تعالى : وإن أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم اهـ (١)

هكذا لم يوافق الكازرونى البيضاوى فى صرف الآيات عن ظاهرها وتأويل الأحاديث عن مدلولها لتوافق مذهب المتكلمين ، وإنما عارضه الكازرونى بالحجة القاطعة واستشهد فى ذلك بالنصوص من الكتاب والسنة غير أن جل اعتماده فى ذلك قول الطيبى صاحب الحاشية على الكشف .
خامسا : فى مجال الحديث :

وأما فى مجال الحديث فان الكازرونى يعرض عنها ولا يتعرض للأحاديث التى ذكرها البيضاوى كسواء أكانت صحيحة أو ضعيفة أو موضوعة ، وعند ما يأتى الكازرونى للأحاديث الموضوعة التى أتى بها البيضاوى فى آخر السور يقف تعليقه قبلها ثم ينتقل إلى السورة التى بعدها كأنه لم يمر عليها بخلاف الشهاب الخفاجى الذى تتبعها حديثاً حديثاً بالحكم عليها .

(١) حاشية الكازرونى على البيضاوى ٣/٣٣ - ٣٤

حاشية محي الدين زادة

أما حاشية الشيخ محي الدين شيخ زادة فإنها أطول من حاشية الكازروني وأقصر من حاشية الشهاب الخفاجي، فهي وسط بينهما، والشيخ زاده علق على كلام البيضاوي وشرحه شرحاً وافياً وخاصة في جانب اللغة والاعراب فوضح غامضه وفكّ طلاسمه، وأسوة بما مضى من التعليق على الحواشي نذكر كل فن على حده ونقول :

أولاً : في مجال اللغة :

والبيضاوي لتمكنه من اللغة وطول باعه فيها فانه يأتي بالمعانسي اللغوية موجزة فيأتي الشيخ زادة ليشرح المعنى ويوضحه ويبين المراد منه وإذا استشهد البيضاوي ببيت من شعر فان الشيخ زاده يوضح المراد منه ويشرح كلماته ويبين معناها مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى :

” أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ” (١)

قال البيضاوي : (. . . والصَّيْبُ فيعمل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللحساب قال الشَّماخ :

واسحم > انِ صاد ق الرعد صَيَّب

وفي الآية يحتملها وتذكيره لأنه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبَّق آخذٌ بآفاق السماء كلها فإن كل أفق منها يُسَمَّى سماءً كما أن كل طبقة منها سماء وقال :

(١) سورة البقرة آية ١٩ .

ومن بعد أرض بيننا وسما

أمدّ به ما في الصيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتكثير ،

وقيل المراد بالمسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية (١) .

وقال الشيخ زادة : (قوله والصيّب فيعمل من صاب يصوب إذا نزل وأصله صيوب فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء . ويقال لكل واحد من المطر والسحاب صيّب لوجود معنى النزول فيهما ، وأورد البيت استشهاداً به على إطلاق الصيّب على السحاب وأوله :

عفا آية نسج الجنوب مع الصبا واسحم دانٍ صادق الرعد صيّب
قوله عفا أي درس ومحا والآي جمع آية ، وهي العلامة وضمير آية راجع إلى منزل الحبيبية ، ونسج الجنوب والصبا هبوبهما ، والجنوب ريح تهب عن يمين من يتوجه إلى المشرق ، والصبا ريح تهب من جانب المشرق . شبه اختلافهما بنسج الحائك فجعل إحداهما بمنزلة السدى والآخر بمنزلة اللحم . واسحم أي وسحاب أسود > دانٍ أي قريب من الأرض . صادق الرعد أي ليس خداعاً بل كان ممطراً أي هطال متتابع المطر وهذه الأوصاف ظاهرة الثبوت للسحاب دون المطر . بل الدنو وصدق الرعد كأنهما نعتان فيه ، والصيّب لكونه من صيغ الصفة المشبعة أبلغ من الصائب فيدل على الثبات والاستمرار والصائب إنما يدل على الحدوث . قوله وفي الآية يحتملها :

(١) تفسير البيضاوى مع حاشية الشيخ زادة ١٦٥/١

أى أن لفظ الصَّيْب الذى ورد فى الآية يحتمل أن يراد به المطر والسحاب
الا أن قوله بعد هذه الآية أريد به نوع من المطر شديد يدل على رجحان
حملة على المطر حيث أورد ه على صورة القطع بارادته (١).

هكذا يستطرد الشيخ زادة فى شرحه لعبارة البيضاوى وينتقل
إلى شرح الشاهد من الشعر ويعمد إلى الميزان الصرفى لبعض الكلمات
حتى ينسى القارىء مدلول الآية .

وقد يبالغ الشيخ زاده فى شرح العبارة ويدلل على شرحه بالمنطق ثم يستدرك
على البيضاوى فى استشهاده بالشعر ويصحح الخطأ غير أن القارىء ينوه
فى هذه المباحث . ففى تعليقه على بقية كلام البيضاوى فى الآية قال :

(قوله وتعريف السماء : يعنى أن قوله من السماء ذكر مع أن الصَّيْب لا يكون
إلا من السماء ليتوصل بذكره الى تعريفه المفيد للاستفراق والمبالغة فإنَّ اللام
الكائنة لتعريف الجنس عند افتقاء قرينة تحمل على الاستفراق فتفيد أن الصَّيْب
لا يختص بسماء ولولم تذكر السماء أو ذكرت منكراً لم تحصل هذه الفائدة
لجواز أن يكون الصَّيْب من بعض السماء فقط فلما ذكرت معرفة علم أن الغمام
مطبق بمعنى أن مطره أصاب جميع الأرض فإنَّ تطبيق الغيم والغمام عبارة عن
شمول المطر النازل لأقطار الأرض ، فإنَّ قيل اللام الاستقرائية الداخلة على
اسم الجنس إنما تفيد شمول افراد ما دخلت هى عليه لا شمول أجزائه فما وجه
قوله "عرف السماء" ليدل على أن الغيم مطبق وأن الصَّيْب نازل من الآفاق كلها ؟

(١) حاشية الشيخ زاده على البيضاوى ١/١٦٥ .

قلنا أشار المصنف رحمه الله تعالى إلى جوابه بقوله "فإن كل أفق منها
يسمى سماء"، يعنى أنه يسمى سماء مجازاً كما أن كل طبقة منها تسمى
سماء حقيقة واستدل عليه بقوله :

فأؤه لذكرها إذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض بيننا وسماء
والرواية الصحيحة أوه بسكون الواو وكسر الهاء وربما قلبوا الواو الفاء وقالوا
آه من كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء وقالوا : آوه من كذا .
وعلى التقدير كلها هي كلمة توجع تستعمل مع اللام أى توجعت لذكر
الحبيبة ومن بعدها بحيث وقع بيني وبينها قطعة أرض وقطعة سماء تقابل
تلك القطعة من الأرض ، فالمراد بالأرض بعضها وبالسماء بعضها فلذلك
نكرها ليدل على الفردية ولو عرفهما لدل على أن جميع قطع الأرض وآفاق
السماء حال بينه وبينها وذلك غير متصور ، ولما صح إطلاق السماء على
كل ناحية وافق منها جئى بها فى الآية معرفة باللام الاستفراكية ليفيد
العموم ويدل على أن الصيب نازل من جميع آفاق السماء ولو نكرت لاحتمل
نزوله من بعض الآفاق دون بعض (١) .

هكذا ينقلب التفسير إلى مباحث لغوية وجدلية فكان يكفي فسى
الآية أن تشرح كلمة الصيب ويبين المراد منها ثم يوضح فائدة ذكر التشبيه
الوارد فى الآية والعبرة منه بدلاً من الاستطراد فى شرح العبارات اللغوية
التي مجالها كتب اللغة .

(١) حاشية الشيخ زاده على البيضاوى ١/١٦٥ .

ثانيا : في مجال النحو :

وفي مجال النحو ناقش الشيخ زادة عبارة البيضاوى ووجهها ووضع الغامض منها غير أنه يسهب كثيراً في ذلك لما أسهب في اللغة . ففي تفسير قوله تعالى : " وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ . . . الآية " . (١)

قال البيضاوى : (وما يتلى عليكم في الكتاب عطفٌ على اسم الله أو ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسنداً إلى الله تعالى ، وإلى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره أغناسي زيد وعطاءه . أو استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على أن ما يتلى عليكم مبتدأ ، وفي الكتاب خبره ، والمراد به اللوح المحفوظ ، ويجوز أن ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم ، أو يخفف على القسم كأنه قيل أقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ، ولا يجوز عطفه على المجرور في " فيهن " لاختلاله لفظاً ومعنى . في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف على الموصول على ما قبله أى يتلى عليكم في شأنهن ، وإلا فبدل من " فيهن " ، أو صلة أخرى " ليفتيكم " على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد ، وهذه الاضافة بمعنى من لأنها اضافة الشيء إلى جنسه) . (٢)

(١) سورة النساء الآية ١٢٢

(٢) حاشية الشيخ زادة على البيضاوى ٢٣ / ٢

وقال الشيخ زادة : (قوله وساغ للفصل أى جاز العطف على
الضمير المرفوع المتصل من غير تأكيد ، بمنفصل للفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه بالمفعول والجار والمجرور مع أن الفصل باحداهما كافٍ /
كأنه قيل يفتيكم الله وكلامه كما يقال أعجبنى زيد وكرمه وأغنانى زيد وعطاؤه /
فان المسند إليه بالحقيقة شىء واحد فى الجميع وهو المعطوف عليه إلا
أنه عطف عليه شىء من الأحوال الدالة على أن الفصل انما قام بذلك
الفاعل باعتبار اتصافه بتلك الحالة . قوله أو استئناف معترض أى بين
البدل والمبدل منه فإن قوله فى يتامى النساء بدل من فيهن وفائدة
الاخبار بأن المتلو الذى هو من القرآن مثبت فى اللوح تعظيم المتلو
ورفع شأنه كقوله تعالى " وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم " . قوله لا اختلاله
لفظا ومعنى . أما من حيث اللفظ فلأنه عطف على المضمير المجرور من غير
اعادة الجار وهو رأى الكوفيين ، وأما من حيث المعنى فلأن قوله " فيهن " ^{معناه}
معناه فى حقهن ، فلو كان ما يتلى معطوفا عليه لكان المعنى يفتيكم
فى حق توريت النساء وفى حق ما يتلى عليكم وليس بسديد . قوله صلة يتلى ؟
كما أن فى الكتاب متعلق به أيضا فان قيل كيف يجوز تعلق خبر فى جر
بلفظ واحد ، ومعنى واحد بعامل واحد ؟ فالجواب ان معناهما مختلف
لأن الأولى للظرفية على بابها والثانية بمعنى الباء السببية كما تقول جئتكم
فى يوم الجمعة فى أمر زيد . " قوله والا فبدل " ، أى وان لم يعطف الموصول
على ما قبله جعل مبتدأ وفى الكتاب خبره ، يكون قوله فى يتامى النساء
بدلا من فيهن بدل البعض من الكل باعادة الخافض على تقدير أن يكون

الخافض في الموضعين بمعنى واحد وهو الظرفية أو يكون صلة أخرى ليفتيكم على تقدير أن تكون الأولى للظرفية والثانية بمعنى باء السببية كيلا يتعلق حرفاً جرّاً بلفظ واحدٍ ومعنى واحد بعامل واحد (١)

تبين مما مضى أن تعليق الشيخ زادة على عبارة البيضاوى مجرد توضيح وشرح للمعنى وهذا محمداً عظيمة للشيخ زادة لأن عبارة البيضاوى بالفعل تحتاج الى شرح لأنها في غاية الاختصار بل هي رموز لا يعرفها إلا أهل الشأن في هذا الفن ، فحين قال البيضاوى : وساغ للفصل يقف القارئ حائراً في ارجاع الضائر لمعرفة المعنى وربما لا يدرك المعنى فتأتى عبارة الشيخ زادة موضحة مراد البيضاوى ومزيلة ذلك الغموض فقال جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير تأكيد بمنفصل للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، والشيخ زادة في توضيحه مشعر بأنه لا يعتمد على شرح سابق أو حاشية لغيره كما يفعل الكازرونى الذى كان يعتمد اعتماداً كلياً على حواشى الكشاف .

ثالثاً : في مجال الفقه والأصول :

وأما في مجال الفقه فإن الشيخ زادة لا يتدخل في الأحكام الفقهية التى يستتبطها البيضاوى من النصوص ولكن يشرح ما استتبطه البيضاوى من غير تأييد ولا اعتراض ففي قوله تعالى : " فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ " (٢).

(١) حاشية محي الدين شيخ زادة على البيضاوى ٧٣/٢

(٢) سورة المائدة آية ٤٢ .

قال البيضاوى : (تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تحاكموا إليه - يعنى أهل الكتاب - بين الحكم والاعراض . ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان إلى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعى والأصح وجوبه إذا كان المترافعان أو أحدهما ذمياً ، لأننا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست فى أهل الذمة وعند أبى حنيفة يجب مطلقاً (١) .

وقال محى الدين شيخ زادة : (قوله ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان إلى القاضى لم يجب عليه الحكم ، لأن الله تعالى خير النبى صلى الله عليه وسلم فى الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه إن شاء حكم وإن شاء ترك . فلو وجب على القاضى أن يحكم بينهم بحكم الاسلام لزم أن يكون هذا التخير منسوخاً بقوله تعالى : " وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ " (٢) .

وفى قوله تعالى فى سورة براءة : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا " (٣) .

دلت الآية إلى ثلاثة مسائل مسألتان فقهيّتان ومسألة أصولية .

فالمسألتان الفقهيّتان إحداهما : فى نجاسة المشركين هل النجاسة عالقة بهم أم النجاسة أعيانهم ؟ . والثانية فى حكم دخولهم المسجد الحرام .

وأما السألة الأصولية فهى هل الكفار مخاطبون بالفروع أم لا ؟

(١) تفسير البيضاوى بحاشية الشيخ زادة ١١٤ / ٢

(٢) سورة المائدة آية ٩٤

(٣) حاشية محى الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوى ١١٤ / ٢

(٤) سورة براءة آية ٢٨

ففى حكم نجاسة المشركين قال البيضاوى : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ لَّخَبَثٍ بَاطِنِهِمْ ، أَوْ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَجْتَنَّبَ عَنْهُمْ كَمَا يَجْتَنَّبُ عَنِ الْأَنْجَاسِ ،
أَوْ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَطَهَّرُونَ وَلَا يَتَجَنَّبُونَ عَنِ النِّجَاسَاتِ فَهُمْ مَلَابِسُونَ لَهَا غَالِباً ،
وفيه دليل على أَنَّ ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب) (١) .

وقال الشيخ زادة بعد توضيح المعانى اللغوية : (قوله أو لأنه
يجب أن يجتنب عنهم ، يعنى أن التركيب من قبيل زيد أسد من باب التشبيه
البليغ كأنه قيل انهم بمنزلة الشئ النجس العين فى وجوب الاجتناب عنهم
وهو قريب من قول صاحب الكشاف ، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة
فى وصفهم بها . قوله أو لأنهم لا يتطهرون . أى من الجنابة والحدوث
ولا يتجنبون من النجاسات العينية فكانوا ذوى نجاسات حكمية وحقيقية فحكم
عليهم بأنهم نجس بمعنى ذوى نجس فى أعضائهم الظاهرة كما أن المعنى
على الوجه الثانى كون الكلام محمولاً على التشبيه والمبالغة والحاصل أن
جمهور الفقهاء اتفقوا على أن الكفر لا يؤثر فى نجاسة بدن الكافر نجاسة
حقيقية وإنما يؤثر فى نجاسة باطنه ، فكان صفة الكفر القائم بهم بمنزلة النجاسة
الملتصقة بالشئ ومنهم من يقول فى تأويل الآية إِنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَتَطَهَّرُوا مِنْ
الْجَنَابَةِ وَالْحَدَثِ وَلَا مِنْ سَائِرِ النِّجَاسَاتِ الَّتِي تُصِيبُ أَجْسَادَهُمْ كَانُوا ذَوِي
نَجَسٍ فَحُكِمَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ نَجَسٌ لِّذَلِكَ . ومنهم من يقول معنى الآية انهم

(١) تفسير البيضاوى مع حاشية محى الدين شيخ زاده ٣٢٧/٢ .

(١)

بمنزلة الأعيان النجسة في وجوب الاجتناب عنهم .

وفي المسألة الثانية وهي في حكم دخول المشركين المسجد الحرام قال البيضاوى : (قيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقاً وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى ، وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع) (٢) .

وأما محي الدين شيخ زادة فقد أطنب في المسألة وتعرض إلى

تحديد موضع المسجد الحرام وذكر الخلاف فيه وسرد الأقوال فقال :

(قيل المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد ، وقيل جميع الحرم وهو الأقرب لقوله تعالى : " وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ " (٣) وذلك لأن موضع التجارات ليس هو عين المسجد ، فلو كان المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع وإنما يخافون العيلة إذا منعوا من حضور الأسواق والمواسم ويؤكد هذا قوله تعالى " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " (٤) مع أنهم أجمعوا على أنه إنما رفع الرسول عليه الصلاة والسلام من بيت أم هانئ ويؤكد قوله عليه الصلاة والسلام : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب (٥) . وهي من أقصى عدن أبين

(١) حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوى ٣٢٧/٢

(٢) تفسير البيضاوى مع حاشية الشيخ زادة ٣٢٨/٢

(٣) سورة التوبة آية ٢٨

(٤) سورة الاسراء آية ١

(٥) مسند أحمد ٢٧٥/٦

إلى ريف العراق طولاً . ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام عرضاً . وأعلم أن جملة بلاد الاسلام فى حق الكفر ثلاثة أقسام :
القسم الأول الحرم فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذمياً كان أو مستأمناً
لظاهر هذه الآية ، وإن جاء رسول من دار الكفر إلى الإمام والإمام فى الحرم لا يأذن له فى دخوله بل يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم ،
وان دخل مشرك فى الحرم متوارياً فمريض فيه أخرجه مريضاً . وان مات
ودفن ولم نعلم نبشناه وأخرجنا عظامه إذا أمكن . هذا مذهب الإمام
الشافعى رضى الله عنه . وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم وانما
يمنع من الحج والعمرة . والقسم الثانى من بلاد الإسلام الحجاز فيجوز
للكافر دخولها بالإذن ولكن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام لما روى عن عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
لئن عشت إلى قابل لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا
أدع فيها إلا مسلماً^(١) ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى فقال
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عسر
فى خلافته وأجل لمن يقدم منهم تاجراً ثلاثاً . والقسم الثالث ، سائر
بلاد الإسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان ولكن لا يدخل المساجد
إلا بإذن المسلم^(٢) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد ٩٢/١٢

(٢) حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوى ٣٢٨/٢

وأما المسألة الثالثة وهي هل الكفار مخاطبون بالفروع فقد أعرض عنها الشيخ زادة حيث أورد ها البيضاوى واستدل بهذه الآية ففى مخاطبة الكفار بالفروع وأنهم مأمورون بها كأمرنا بها . والمسألة خلافية فمن العلماء من قال أن الكفار مخاطبون بالفروع كالبيضاوى ومن وافقه ومنهم من قال أنهم مخاطبون بالاسلام أولا فإذا فعلوه خوطبوا بالفروع وان لم يستجيبوا للاسلام فلا خطاب لهم بشىء إذ لا عمل ينفع بغير اسلام .

وفى مجال الأصول قد يعترض الشيخ زادة أحيانا على البيضاوى ويرد قوله ، والبيضاوى يتبنى مذهب الشافعية فى الأصول القائل بجواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ، جاء ذلك فى تفسير قوله تعالى :
" إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ " (١)
قال البيضاوى : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يحتمل الأوثان وابليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبير : قد خصمتك ورب الكعبة اليس لليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله " إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ " الآية " وعلى هذا يعم الخطاب ويكون (ما) مؤولا بمن أو بما يعمله ويدل عليه ما روى أن ابن

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠١

الزبعرى قال هذا شىء لالهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيان للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب (١).

وقال الشيخ زادة : (قوله بيان للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب. الأول على تقدير أن يكون المقصود من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان تناول الحكم لغير أهل الحسنى من العقلاء . والثانى على تقدير أن يكون المقصود تخصيص ما تعبدون بغير أهل الحسنى مع كونه فى نفسه يعم أهل الحسنى وغيرهم وعلى التقديرين يكون قوله تعالى ؛ "ان الذين سبقت لهم منا الحسنى" من قبيل بيان التفسير ومثل هذا البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة الى العمل بالاتفاق ، لأنه تكليف ما لا يطاق ، وأما جواز تأخيره عن وقت الخطاب ، فهو مختلف فيه بين الحنفية والشافعية ، جوزه الشافعية استدلالاً بهذه الآية ووجه الاستدلال ما أشار به المصنف من أنه تعالى أنزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أى تحصبون فيها وترمون وتأخر عنه نزول قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو بيان لما نزل قبله بيان تجوز أو بيان تخصيص حتى جرى بين ابن الزبعرى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى ، وأجاب الحنفية عن هذا الاستدلال بأن قوله وما تعبدون لم يتناول عيسى عليه الصلاة والسلام وعزيراً والملائكة حقيقة لأن (ما) لغير العقلاء الا ترى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له ما أجهلك بلغة قومك يا غلام

(١) تفسير البيضاوى مع حاشية محى الدين شيخ زادة ٣٦٦/٣

أما علمت أن (ما) لما لا يعقل فيكون قوله تعالى "ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى" على هذا بيان تقرير وبيان التقرير يصح متراخياً وسؤال ابن
الزبيرى وارد على طريق التعنت بناءً على أنه جعل ما مستعملة بمعنى
من مجازاً أو حمله على التغليب فسأل بناءً على ظنه الفاسد ثم انسه
عليه الصلاة والسلام أجابه بقوله ما أجهلك فقد رد عليه بأن (ما) لما لا
يعقل فلا يرد ما أوردته على الآية من النقص بالملائكة ونحوهم وان صح
أنه عليه الصلاة والسلام أجاب بأن قال انهم ما عبدوا ما ذكرته من أهل
الحسنى وانما عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فهو جواب بطريق
التسليم أى لو سلم أن قوله تعالى ما تعبدون يتناول العقلاء الفضلاء
لكن لا نسلم أنهم عبدوا أولئك المكرمين فى الحقيقة بل عبدوا الشياطين
الذين أمروا بذلك والتعبير عنهم بلفظ (ما) ليس مبنياً على حمله على المعنى
المجازى بل مبنى على عد هم أى على عد الشياطين فى عداد الأصنام
الجامدة التى تبعد بمراحل عن العقل والتمييز وكذا قوله عليه الصلاة والسلام
"بل لكل من عبد من دون الله إن صح ذلك عنه مبنى على التسليم أيضاً
والحاصل أن المراد بقوله ما تعبدون الشياطين وعلى التقديرين لم يكن
قوله وما تعبدون مستعملاً فى العقلاء مجازاً ولا متناولاً لأهل الحسنى
حتى يقال قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان للتجوز
أو التخصيص تأخر عن الخطاب كما قاله الشافعية بل ليس لك إلا بيان
تقرير يصح متراخياً عن الخطاب ، فليس فى الآية ما يدل على جواز تأخير
البيان عن وقت الخطاب على جميع الروايات فليتأمل فان المقام

(١)
محل التفات).

رابعاً : في مجال العقيدة :

وفي مجال العقيدة نجد الشيخ زادة يوافق البيضاوي في كثير من التحقيقات وخاصة في ما يتعلق بتأويل آيات الصفات وصرفها عن ظاهرها إلا أنه يترك ذلك ويرجع عنه ويعود إلى الأصل الصافي من الكتاب والسنة فيثبته ويقول به ويعتمده . ففي تفسير قوله تعالى :
" وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ " (٢) حين قال البيضاوي فيها : (تصوير لعظمته وتشيل مجرد كقوله تعالى : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ " (٣) ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه الخ) (٤).

قال الشيخ زادة : (قوله تصوير لعظمته - تقريره أنه تعالى خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم كما جعل الكعبة بيتاً له يطوق الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم ، وأمر الناس بزيادته كما يزور الناس بيوت ملوكهم ، وذكر في الحجر الأسود أنه يمين الله تعالى في أرضه ثم جعله موضعاً للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملوكهم ، وكذلك ما ذكر في محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء

(١) حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٣/٣٦٩ ، ٣٧٠

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) سورة الزمر آية ٦٧

(٤) تفسير البيضاوي مع حاشية محي الدين شيخ زادة ١/٥٦٩

ووضع الميزان وعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشاً فقال " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ^(١) " ثم أثبت لنفسه كرسيّاً فقال " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ^(٢) " والحاصل أن كل ما كان ما جاء من الألفاظ الموهمة للتشبيه في العرش والكرسى فقد ورد مثلها بل أقوى منها في الكعبة والطواف وتقبيل الحجر ، ولما توافقت الأمة ههنا على أن المقصود تعريف عظمة الله تعالى وكبريائه ، مع القطع بأنه تعالى منزّه عن أن يكون في الكعبة كما توهمه تلك الألفاظ ، فكذا الكلام في العرش والكرسى . قال الإمام هذا تأويل متين إلا أن فيه ترك الظاهر بغير دليل وهذا لا يجوز والمعتد هو قول من قال أن الكرسي جسم عظيم يسع السموات والأرض ، والقائلون بهذا القول اختلفوا فقال الحسن الكرسي هو نفس العرش لأن السرير قد يوصف بأنه عرش ، وبأنه كرسي ، لكون كل منهما بحيث يصح التمكن عليه ، وقال بعضهم بل الكرسي غير العرش . ثم اختلفوا فمنهم من قال أنه دون العرش وفوق السماء السابعة وقال آخرون أنه تحت الأرض وهو المنقول عند السدي . وقد جاء في الأخبار الصحيحة أن الكرسي جسم عظيم تحت العرش وفيسوق السماء السابعة . ولا امتناع من القول به فوجب القول به (٣) .

فالعجب كل العجب للشيخ زادة يذكر الحديث ويصححه ويقول به بل يوجب القول به ويأتي في أول الكلام بالتأويل الذي يخالف الحديث الصحيح .

(١) سورة طه آية ٥

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ١/٦٩٥

فإذا آمن الإنسان بما ورد في الحديث فما هو الداعي لايراد التأويل
المخالف للحديث فكان ينبغي له أن يورد الحديث في البداية
ويرد به قول البيضاوي لأنه نص صريح بدلاً من الخوض في هذا التأويل
الباطل .

خامسا : في مجال الحديث :

وأما في مجال الحديث فقد أعرض الشيخ زادة عن مناقشة
الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي أتى بها البيضاوي في أواخر السور
فتركها الشيخ زادة وكأنه لم يراها فكان الأجدر به أن يبين الموضوع
منها والضعيف لأن عدم ذكر الحكم عليها يفهم منه أنه يرتضيها ويوافق
عليها لأنه لو لم يرتضيها لتعرض لها وذكر ضعفها وموضوعها كما كان
يعترض على المسائل التي لا يوافق عليها، فمثلاً في أسباب النزول لجم
يوافق على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن . قال البيضاوي
فيها : (المدثر أي المدثر وهو لا بس الدثار روى أنه عليه الصلاة
والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالى فلم أر شيئاً
فنظرت فونقيى فإذا هو على العرش بين السماء والأرض يعنى الملك
الذى ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال
يا أيها المدثر^(١) ولذلك قيل هي أول سورة نزلت^(٢) .

(١) أخرجه البخارى كتاب بدء الوحي . صحيح البخارى بشرح فتح الباري

(٢) تفسير البيضاوي بحاشية محي الدين شيخ زادة ٥٦٨/٤ .

وقال محي الدين شيخ زادة : (قال صاحب الكشف : وهذه الرواية لا تدل على أنها أول سورة نزلت والظاهر أنها (اقرأ) الى قوله تعالى ما لم يعلم للأحاديث الصحاح في ذلك ولأنها كانت في حراء وهذه بعد الهبوط ولقوله عليه الصلاة والسلام لست بقارىء فانه لا يتصور إلا اذا أنزل ذلك أولاً ولأن الامتناع عنه معصية والوجه أن يـراد بالسورة في قول من قال انها أول سورة نزلت السورة كاملة) (١)

هذا تعليق مختصر على بعض حواشي البيضاوى يكون مثالا لمنهج أصحاب الحواشى . ولم يكن التعليق شاملاً لكل الفنون والمسائل التى ناقش فيها أصحاب الحواشى البيضاوى، ولكن اكتفينا بذكر أهمها ليكون نموذجاً عن منهجهم فى التعليق على عبارة البيضاوى والله وراء القصد وهو يهتدى السبيل .

.....

(١) حاشية محي الدين زادة على تفسير البيضاوى ٥٦٨ / ٤

(الخاتمة)

أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث

سلك المفسرون في تفسير القرآن الكريم مسلكين . مسلك السترم أصحابه في تفسيرهم للآيات الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ويسمى التفسير بالمأثور . ومسلك سار فيه أصحابه في تفسيرهم للآيات على المعاني اللغوية وما دلت إليه الآية من الأحكام داخل إطار الشرع وعبر عنه السيوطي بقوله : (التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع)^(١) ويسمى بالتفسير بالرأى . ولكن أصحاب المسلك الثاني وهم أهل التفسير بالرأى لم يسلم الكثير منهم من اتباع بعض الفرق الضالة والمذاهب الهدامة فأدخلوا في تفسيرهم أشياء تخالف منهج السلف .

والبيضاوي من أصحاب المسلك الثاني وهم أهل التفسير بالرأى وتفسيره من بين التفسير التي دخلتها أفكار أهل البدع والاهواء غير أن له فوائد علمية قيمة . وأستطيع أن أخص أهم النتائج التي توصلت إليها في دراسة تفسير البيضاوي في نقاط فأقول :

- ١ - جمع البيضاوي أصول العلوم كالفقه وأصوله ، واللغة وفروعها ، والتفسير والمنطق ، وعلم الكلام والتاريخ وغيرها ، فأودع في تفسيره كثيراً من هذه العلوم أضفت على تفسيره قيمة علمية جيدة .

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢/٢٢٩

- ٢ - امتاز تفسير البيضاوى بالدقة والاختصار ، فعباراتهِ موجزة للغاية، غير أنها جامعة لكثير من الحقائق العلمية فلو بسطت أو شرحت لكان التفسير مطولاً وكبيراً .
- ٣ - غلب علم الكلام على البيضاوى الأمر الذى أثر فى عقيدته فناصر الأشاعرة وتأثر بالمعتزلة وخاصة الزمخشري فتبعه فى كثير من الآراء . وانتهج أسلوب التأويل فخرج بكثير من الآيات من معناها إلى معنى يوافق عقائد المتكلمين ، لذا يجب الحذر عند قراءته والرجوع إلى أقوال السلف فى المتشابه من الآيات .
- ٤ - تعامل البيضاوى مع الأحاديث فى تفسيره ، خلا عن ذكر السند أو الإشارة إلى درجة الحديث بالصحة أو الضعف ، لذا نجد التفسير قد جمع الحديث الصحيح والحسن والضعيف والموضوع ولم يتخرج من ذكر الحديث الضعيف والموضوع وخاصة فى أواخر السور فى ذكر فضائلها . لذا يجب التنبيه عند قراءته بالرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور والاكتفاء بما أورده من أثر فى فضائل السور .
- ٥ - اشتهر تفسير البيضاوى واهتم العلماء به وتولوه بالشرح والتحشية والتعليق حتى فاقت هذه الحواشى على المائة .

- ٦ - لم يحظ تفسير البيضاوى بطباعة جيدة سواء أكان التفسير مجرداً أو مع أى حاشية من الحواشى . فانى اقترح أن يطبع هذا التفسير طباعة جيدة مجرداً مرة وعليه بعض الحواشى وراى اقترح أن تكون حاشية الشرح لها قيباً من فائدة عظيمة وأن يراعى فى ذلك تجريد ه من الأحاديث الموضوعية فى أواخر السور .
- والله وراء القصد وهو يهتدى السبيل .

* * * *

✱

الفهرس
.....

- ١ - فهرس الآيات
- ٢ - فهرس الأحاديث
- ٣ - فهرس المراجع
- ٤ - فهرس الموضوعات

.....

*

فهرس الآيات

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|------------|---|
| ٦٧ | ٥ | سورة الفاتحة اياك نعبد و اياك نستعين سورة البقرة |
| ٨٧ | ٨ | ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين |
| ٣٨٠ | ١٩ | أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين |
| ٦٨ | ٢٠ | يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه ورإذا أظلم عليهم قاموا |
| ٢٠٠ | ٢٣ | وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبنا فأتوا بسورة من مثله |
| ٢٤٦ | ٢٤ | فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين |
| ٣١٧ | ٢٦ | يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين |
| ٧٢ | ٣٠ | وان قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة |
| ٣٢٦ | ٣٥، ٣٦، ٣٧ | وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة |
| ٤٥٦ | ٣٩ | والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . |
| ٣١٩ | ٤٨ | واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعاة . |
| ١٣٥ | ٦٧ | ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة |
| ٢٩٣ | من ٦٧ - ٧٣ | وان قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . |

| الآية | رقمها | رقم الصفحة |
|--|-----------|------------|
| بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئة فأولئك أصحاب النار فيها خالدون | ٨١ | ٣٠٢ |
| وان أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون إلا الله | ٨٣ | ٨٦ |
| قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك . | ٩٧ | ١٦٥ ، ١٣٠ |
| واتبعوا ما تتلوا الشياطين الى قوله لو كانوا يعلمون | ١٠٢ | ١٤١ |
| ما ننسخ من آية أو ننسها نأتي بخير منها أو مثلاً | ١٠٦ ، ١٨١ | ١٧٤ |
| فأينما تولوا فثم وجه الله | ١١٥ | ١٥٤ |
| قل أنتم أعلم أم الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله | ١٤٠ | ٩٩ |
| قول وجهك شطر المسجد الحرام | ١٤٤ | ٣٠٣ |
| إن الصفا والمروة من شعائر الله | ١٥٨ | ١٥٤ |
| ولو يرى الذين ظلموا إزرون العذاب أن القوة لله جميعاً | ١٦٥ | ١٢٦ |
| وان تقولوا على الله ما لا تعلمون | ١٦٩ | ٢٦٠ |
| يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم | ١٧٢ ، ١٧٣ | ٧٨ |
| وأتى المال على حبه ذوى القربى والسام والمأكلى... | ١٧٧ | ١٩٣ |
| يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص من القتلى | ١٧٨ | ١٨٨ |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|-------|---|
| ١٩٠ | ١٨٠ | كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين |
| ١٨٤ | ١٨٤ | وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين |
| ٢٦٩ | ١٨٥ | فمن شهد منكم الشهر فليصمه |
| ١٥٩٠ ٢٠٨ | ١٨٧ | وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وأتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله |
| ٢٧٦ | ١٩٦ | فان أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام |
| ٤٥٦ | ١٩٨ | وانكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه |
| ٣٦١ | ٢٠٣ | يسألونك ماذا أنفقوا قل ما أنفقتم من خير فوالوالدين والأقربين |
| ١٩٢ | ٢١٥ | ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة. |
| ٢١٥ | ٢١٧ | والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء |
| ٥١٠ ٢٠٩ | ٢٢٨ | حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى |
| ٤٦ | ٢٣٨ | والكافرون هم الظالمون |
| ٢١٤ | ٢٥٤ | وسع كرسيه السموات والأرض |
| ٣٢٠ ٣٩٤ | ٢٥٥ | |
| ٣٩٥ ٩٤ | | |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|---------|---|
| ٢١٩ | ٢٦٧ | سورة البقرة ولا تيمسوا الخبيث منه تنفقون |
| ٣٩٦ ٢٧٨ | ٢٧٣ | للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض |
| ٨٥ | ٢٧٤ | الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلاهم أجراً عند ربهم |
| ٢٣٢ | ٢٧٥ | الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس |
| ٢٠٨ ، ٢١٥ | ٢٨٢ | والله بكل شيء عليم |
| | | سورة آل عمران |
| ٩٢ ، ٩١ | ٧ | هو الذي أنزل عليك الكتاب |
| ٤٣ | ٩ | ان الله لا يخلف الميعاد |
| ٣٠٨ | ١٥ | قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتفقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار |
| ٢٨٥ ، ٨٤ | ٢٦ | قل اللهم مالك الملك |
| | | ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين |
| ٢٩٠ | ٣٣ | ان قالت امرأة عمران ربى انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً |
| ٢٥١ | ٣٦ ، ٣٥ | فتقبل منى |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|-------|--|
| | | سورة آل عمران |
| ٥٠ | ٤٦ | وانى أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم |
| ٢٠٨ | ٩٧ | ولله على الناس حج البيت |
| ٣١١ | ١٤٠ | ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله |
| ٢٠٨ | ١٧٣ | الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم |
| ٥١ | ١٨٠ | ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم |
| ١٥٣ | ١٨٨ | لا تحسبن الذين يفرحون بما أنفوا ويحبون أن يحمدوا |
| ٧١٠ ٧٠ | ١٩٣ | بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ربنا اننا سمعنا منادياً ينادى الايمان آذنا آمنوا بربكم فأمنّا . |
| | | سورة النساء |
| ٢٧٢ | ١ | واتقوا الله الذى تسألون به والأرحام |
| ٣٠٨ | ٤ | فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً |
| ٤٠ | ٥ | ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً |
| ٢١٥ | ٦ | فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم . |
| ٢١٨ | ٢٣ | وربائبكم اللاتى فى حجوركم |
| ٢٠٨ | ٢٣ | حرمت عليكم أمهاتكم |
| ٢٠٨ ، ١٥٦ | ٢٤ | والمحصنات من النساء |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|-------|---|
| | | سورة النساء |
| ٣٠٩ | ٣٥ | وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهله |
| ٤٢ | ٤١ | فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شريداً . |
| ١٣ | ٤٣ | فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا |
| ١٩٦ | ٤٨ | ان الله لا يغفر ان يشرك به |
| ٢٠٨ | ٥٤ | ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتيناهم ابراهيم الكتاب والحكمة واثيناهم ملكاً عظيماً |
| ٥٨ | ٥٦ | بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب |
| ٩٣ | ٥٩ | فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول |
| ٧٢ | ٦٤ | وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله |
| ٢٦١ | ٨٣ | واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به |
| ١٩٦ | ٩٣ | ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم |
| ٨٠ | ١١٥ | ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما نولى ونصله جهنم |
| ٣٨٤٠ ١٠٨ | ١٢٧ | ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|---------|---|
| | | سورة المائدة |
| ٣٦٩ | ١ | يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود |
| ٣٦٣، ١٩٥ | ٢ | لا تخلوا شعائر الله |
| ٣٧٣ | ٣ | اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي |
| ١٣ | ٨ | فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه : |
| | | واتل عليهم نبأ ابني آدم الى قوله تعالى فأصبح من النادمين |
| ١٤٥ | ٢٧ - ٣١ | |
| ٨٥ | ٣٨ | والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما |
| ٣٨٦، ١٩٤ | ٤٢ | فان جاءوك فاحكم بينهم |
| ١٨٨ | ٤٥ | النفس بالنفس |
| ٣٨٧، ١٩٤ | ٤٩ | وان احكم بينهم بما أنزل الله |
| ٣٢٩ | ٥٥ | انما وليكم الله ورسوله |
| ١٥٣ | ٩٣ | ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا راذا ما اتقوا وآمنوا |
| ١٢٢ | ٩٥ | فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم |
| ٢١٥ | ١٠٦ | شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت بين الوصية إشنان ذوا عدل منكم |
| ١٢٢ | ١٠٧ | فان عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما |

| الآية | رقمها | رقم الصفحة |
|--|-----------|------------|
| سورة المائدة | | |
| وان تخلق من الطين كهيئة الطير بما اذن | ١١٠ | ١٢٢ |
| ان قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل نستطيع ريك ان ينزل علينا ما نلذ من السماء سورة الأنعام | ١١٢ - ١١٥ | ٢٩٤ |
| ولو أنزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلم يمسوه يابريهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً | ٧ | ٤٥ |
| | ٩ | ٧٣ |
| وان قال ابراهيم لأبيه آزر اتخذ أهناً ما الربة وما يشعركم أننا اذ جئت لا يؤمنون | ٧٤ | ٢٩٢ |
| | ١٠٩ | ١٣٥ |
| وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة | ١١٠ | ٣٧ |
| ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموءى وحشرنا عليهم كل شئ قبل ما كانوا ليؤمنوا إلا ان يشاء الله قل هلم شمعاءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا | ١١١ | ٣٢٢ |
| | ١٥٠ | ٨٨ |
| قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة سورة الأعراف | ١٤٥ | ١٥٥ |
| فلنسألن الذين أرسل اليهم | ٦ | ٤٢ |
| ما نهاكم ربكم عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين | ٢٠ | ٣٢٧ |
| وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين | ٢٣ | ٣٢٦ |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|---------|--|
| | | سورة الأعراف |
| ٣٣ | ٢٦ | يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً |
| ٧١ | ٤٣ | الحمد لله الذي هدانا لهذا |
| ١٢٦ | ٤٤ | ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار |
| ٩٣ | ٥٣ | هل ينظرون الا تأويله |
| ٩٨ ، ٩٥ | ٥٤ | ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض |
| ٣٧ | ١٠١ | فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل |
| ١٣١ | ١١١ | قالوا أرجه وأخاه |
| ٢٦٦ | ١٥٣ | ان ربك من بعدها لغفور رحيم |
| ٣٢ | ١٦٦ | فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين |
| | | واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم |
| ٣٧٤ | ١٧٣-١٧٢ | وأشهدهم على أنفسهم |
| ٢٢٣ ، ٢٢٥ | ١٧٩ | ولقد نرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس |
| | | سورة الأنفال |
| ٢٠٩ | ١٦ ، ١٥ | يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا |
| | | تولوهم الأدبار |
| ٣٤ | ٢٤ | يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول |

| الآية | رقمها | رقم الصفحة |
|--|--------|------------|
| سورة الأنفال | | |
| وأعلموا انما غنمتم من شىء فأن لله خمس | ٤١ | ١١٢ |
| يا أيها النبى | | |
| حرّض المؤمنين على القتال | ٦٥ | ٢٠٩، ١٨٥ |
| والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء | ٧٢ | ١٨٥ |
| رسا جروا | | |
| وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله | ٧٥ | ١٨٥ |
| ولو ترى اذا يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم | ٥٠ | ١٢٦ |
| وأدبارهم | | |
| وان جنحوا للسلم فاجنح لها | ٦١ | ٢٦٥ |
| ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين | ١٦، ٦٥ | ١٧٩، ١٧٨ |
| ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله | ٧٤ | ١٨٤ |
| والذين آدوا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا | | |
| سورة التوبة | | |
| فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم | ٥ | ١٤٥ |
| وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا نمة | ٨ | ٢٢٦ |
| انما المشركون نجس | ٢٨ | ٢١٩ |
| وان خفتم عيله فسوف يغنيكم الله من فضله | ٢٨ | ٣٨٢ |
| يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا | | |
| المسجد الحرام بعد عامهم هذا | ٢٨ | ٣٨٧ |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|-------|---|
| | | سورة التوبة |
| ٢٢٣ | ٣١ | وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا |
| ٣٦١ | ٤١ | انغروا خفافا وثقالا |
| ٣٨ | ٦٠ | انما الصدقات للفقراء والمساكين |
| ٣١٨ | ٦٧ | ان المنافقين هم الفاسقون |
| | | المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف |
| ٣٣ | ٧١ | وينهون عن المنكر |
| ٣٠٣ | ٧٧ | فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم |
| ٢٠٢ | ١٠٩ | أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرفا هار فانهار به وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم |
| ٢٨٢ | ١٢٢ | طائفة |
| ٣٥٦ | ١٢٨ | لقد جاءكم رسول من أنفسكم |
| | | سورة يونس |
| | | الم تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجا أن أوحينا |
| ٣٥٥ | ٢٠١ | الى رجل منهم |
| ٢٧٤ | ٢٣ | يا أيها الناس انما يخفيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا |
| ٢٠٠ | ٢٤ | انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء |
| ٢٠٢ | ٢٥ | والله يدعو الى دار السلام |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|-------|--|
| | | سورة يونس |
| ٢٠٠ | ٣٨ | أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله |
| ٢٠٨ | ٤٤ | ان الله لا يظلم الناس شيئا |
| ٤١ | ٤٧ | ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط |
| ١٨٦ | ٦٣ | الا وان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون |
| | | سورة هود |
| ١٩٩ | ١٣ | ام يقولون افتراه قل فأتونا بعشر سور مثله |
| ٣٢٦ | ١٨ | الا لعنة الله على الظالمين |
| ٣٥٩ | ٣٤ | ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم |
| ٢٦٧ | ٤٦ | قال يا نوح انه ليس من أهلك |
| ٧٤ | ٦١ | واستعمركم فيها |
| ٦٧ | ٦٩ | قالوا سلاما قال سلام |
| ٦١ | ٨٤ | انى أراكم بخير |
| ٢٦٨ | ١٠٣ | ذلك يوم مجموع له الناس |
| ٢٩٨ | ١١٢ | فاسقم كما أمرت |
| ٥٦ | ١١٤ | واقم الصلاة طرفى النهار |
| | | سورة يوسف |
| ٩٢ | ١٠٠ | يا آبت هذا تأويل رؤياى |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|-------|---|
| ١٧٥ | ٣٩ | سورة الرعد يٰمُجِـمُوا لِلّٰهِ مَا يَشِـئُ وَيُثَبِّتْ |
| ٤٣ | ٤٧ | سورة ابراهيم فَلَا تَحْسِبَنَّ اللّٰهَ مَخْلُوفًا رَّسُولُهُ |
| ٥٨ | ٤٨ | يَوْمَ تَبْدُلُ الْاَرْضَ غَيْرِ الْاَرْضِ سورة الحجر |
| ٤٥ | ١٤ | وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ |
| ٤٥ | ١٥ | لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا |
| ٢٥١ | ٣٩ | لَا غَوَيْنَهُمُ أَجْمَعِينَ |
| ١٣٤ | ٥٤ | قَالَ ابْشِرْ تَمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسْنَى الْكِبَرِ فِيمَ تَبْشُرُونَ |
| ١١١ ، ١١٠ | ٨ | سورة النحل وَالْخَيْلِ وَالنَّبْعَالِ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا |
| ٧٧ | ١٤ | وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ |
| ٣٢ | ٤٠ | إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ |
| ١٧٦ | ٤٤ | وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ |
| ٦٦ | ٥٣ | وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ |
| ٤٢ | ٨٩ | وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ |
| ٢٠٤ | ١١٢ | وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ |
| ٧٠ | ١٢٥ | ادْعِ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْكُنَّةِ |

| الآية | رقمها | رقم الصفحة |
|---|------------|------------|
| سورة الاسراء | | |
| سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً | ١ | ٣٨٩ |
| وقضينا الى بنى اسرائيل الى قوله وجعلنا جهنم | | |
| للكافرين حصيراً | من ٤ - ٨ | ١٣٩ |
| وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا | ١٥ | ٤١ |
| ولا تقف ما ليس لك به علم | ٣٦ | ٢٦٠ |
| قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل | ٨٨ | ٢٠٠ |
| هذا القرآن لا يأتون بمثله | | |
| وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا | | |
| الى قوله تعالى قل سبحان ربي كل كنت الا | | |
| بشرا رسولا . | من ٩٠ - ٩٢ | ٤٥ |
| قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن | ١١٠ | ٧٠ |
| قل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا | ١١١ | ٣٦٧ |
| سورة الكهف | | |
| يحلون فيها من أساور من ذهب | ٣١ | ٢٢٥ |
| وان قال موسى لفتاه الى قوله تعالى تستطيع معى صبرا | من ٦٠ - ٦٦ | ٥٤ |
| فوجد فيها جدارا | ٧٧ | ٣٠٥ |
| أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر | ٧٩ | ٣٨ |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|----------------|-----------|---|
| | | سورة مريم |
| ٢٠٦ | ٤ | قال رب انى وهن العظم منى |
| ٣٠٦ | ٤٦ | قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم |
| ٣٠٦ | ٦٩ | ثم لنزعن من كل شيعة أرهم أشد عند الرحمن عتياً |
| ٣٥٧ | ٧٢ | ثم تتجى الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثياً |
| ٣٢٠ | ٨٧ | لا يملكون الشفاعة إلا من أخذ عند الرحمن عهداً |
| | | سورة طه |
| ٢٥٧ | ٣ ، ٢ ، ١ | طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى |
| ٣٩٥ | ٥ | الرحمن على العرش استوى |
| ١٣٣ | ٣٢ | وَأَشْرَكَ فِي أَمْرِى |
| ٣٢١ | ١٠٩ | يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن و لقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً |
| ٣٢٧ | ١١٥ | وعصى آدم ربه فغوى |
| ٣٢٦ | ١٢١ | سورة الأنبياء |
| ٣٧١ | ١ | اقترب للناس حسابهم |
| ٣٢١ | ٢٨ | ولا يشفعون الا لمن ارتضى و هم من حسنة مشفقون |
| ٧٥ | ٧٩ ، ٧٨ | وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث |
| ٤٧ ، ٢٤٦ ، ٣٩١ | ٩٨ | انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم |

| الآية | رقمها | رقم الصفحة |
|---|---------|------------|
| ان الذين سبقوا لهم منا الحسنى أولئك هم المبرحون | ١٠١ | ٢١٣، ٣٩١ |
| واقتراب الوعد الحق | ٩٧ | ١٣٦ |
| سورة الحج | | |
| ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض | ١٨ | ١٧١ |
| هذان خصمان اختصموا فى ربهم | ١٩ | ١٧١، ١٦٩ |
| ولهم مقامع من حد يد | ٢١ | ٤٠ |
| ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات | ٢٣ | ١٧٢ |
| ويستعجلونك بالعذاب | ٤٧ | ٣٧١ |
| سورة المؤمنون | | |
| فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم | ١٠١ | ٢٢٠ |
| سورة النور | | |
| والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة | ٢ | ٨٥ |
| ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء | ٣٣ | ١٦٢ |
| فكاتبوهم ان علمتم فىهم خيرا | ٣٣ | ٦٠ |
| سورة الفرقان | | |
| يبذل الله سيئاتهم حسنات | ٧٠ | ٥٨ |
| ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق | ٧٠ - ٦٨ | ١٩٥ |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|--------|---|
| | | سورة النمل |
| ٢٣٤ | ٢٢ | فمكث غير بعيد فقال احطت بهم لم تأمل ثم به |
| ٢٧٢ | ٢١٠ ٢٠ | وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدد |
| | | سورة القصص |
| ٢٢٢ | ٨ | فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً |
| ٣٠١ | ٤٧ | ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلناك إلينا رسولاً ففزعنا آياتك |
| | | سورة العنكبوت |
| ٢٥٧ | ٤٢ | ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء |
| | | سورة الروم |
| ٣٠٢ | ١٠ | ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات الله |
| ١٣٧ | ٢٠ | ثم اذا أنتم بشر تنتشرون |
| ٢٧٠ | ٢٤ | ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً |
| ١٣٧ | ٣٦ | وان تصيبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون |
| | | سورة لقمان |
| ٣٢٤ | ١٤ | ووصينا الانسان بوالديه الى قوله تعالى |
| ٢٢٤ | ٣٢ | الى المصير |
| | | وان اغشيهم موج كالظلل دعوا الى فخصمهم له الدين |

| الآية | رقمها | رقم الصفحة |
|--|---------|------------|
| سورة الأحزاب | | |
| النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّظِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا | ٦ | ١٢٤ |
| يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة رضاعف لها العراب | ١٨ | ٨٨ |
| انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت | ٣٠ | ٢١٧ |
| وداعيا الى الله بانه | ٣٣ | ٣٣٢ |
| يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات الى حرله نكاحي سراة صحبة | ٤٦ | ٧٠ |
| يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم | ٤٩ | ٢٠٩ ، ٣١٢ |
| سورة سبأ | ٥٣ | ٢١١ |
| ولو ترى ان الظالمون موعوفون عند ربهم | ٣١ | ١٢٦ |
| سورة يس | | |
| والقمر قد رناه منازل | ٣٩ | ٢٩٥ |
| واليه ترجعون | ٨٣ | ٣٢٤ |
| سورة الصافات | | |
| احشروا الذين ظلموا وأزواجهم | ٢٢ ، ٢٣ | ٢١٣ |
| وأقبل بعضهم على بعض يتسألون | ٢٧ | ٢٢٠ |

| الآية | رقمها | رقم الصفحة |
|---|---------|---------------|
| سورة ص | | |
| لم يدعوا آياتهم | ٢٩ | ٢٦١ |
| أحببت حب الخير عن ذكر ربي | ٣٢ | ٦٠ |
| ولقد فتنا سليمان إلى قوله أنك أنت الوهاب | ٣٥ ، ٣٤ | ١٤٢ |
| سورة الزمر | | |
| لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأضلّف مما يخلق ما يشاء | ٤ | ٢٨٧ |
| اللهم فاطر السموات والأرض | ٤٦ | ٨٥ |
| لئن أشركت ليحبطن عملك | ٦٥ | ٢١٦ |
| وما قدروا الله حق قدره | ٦٧ | ٩٤ ، ٣٩٤ |
| وجيء بالنبيين والشهداء وقفن بينهم بالحق | ٦٩ | ٤١ |
| سورة غافر | | |
| الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم | ٧ | ٩٤ ، ٣٦٥ ، ١٢ |
| ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع | ١٨ | ٣٢١ |
| أنا لننصر رسلنا | ٥١ | ٤٣ |
| سورة الشورى | | |
| عليه توكلت واليه أنيب | ١٠ | ٣٢٤ |
| ليس كمثله شيء | ١١ | ٩٨ |
| والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون | ٣٩ | ٢٢١ ، ١٩٦ |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|-------|---|
| ١٩٧ | ٤٣ | ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور |
| ٣٢٤ | ٥٣ | الى الله تصير الأمور |
| | | سورة الزخرف |
| ٢٢٣ | ٩ | ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ ^{العزيز العليم} خلقهنَّ |
| ١٢٣ | ١٨ | أو من ينشأ في الحلية وهو من الخصام غير مبين |
| ٣٥٧ | ٣١ | وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم |
| ٢٢١ | ٧٥ | لا يفترونهم وهم فيه مبلسون |
| ٢٢١ | ٧٧ | ونادوا يا مالك ليَقِفْ عَلَيْنَا رَيْبَ |
| ٣٢٠ | ٨٦ | ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة |
| ٢٢٣ | ٨٧ | ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله |
| | | سورة الفتح |
| ١٣ | ١١ | يد الله فوق أيديهم |
| | | سورة محمد |
| ٣٣٢ | ١١ | ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا |
| | | سورة الحجرات |
| | | يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي . . |
| ١٦٢ | ٣ ، ٢ | الى قوله وأجر عظيم |

| الآية | رقمها | رقم الصفحة |
|--|-------|------------|
| وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما | ٩ | ٣١٧ ، ٣١٨ |
| بئس الاسم الفسوق بعد الايمان | ١١ | ٣١٨ |
| قالت الأعراب آمننا | ١٤ | ٢٢٣ |
| سورة ق | | |
| ونحن أقرب اليه من حبل الوريد | ١٦ | ٣٤ |
| سورة الذاريات | | |
| فعتوا عن أمر ربهم | ٤٤ | ٣٢ |
| وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون | ٥٦ | ٧٢ ، ٢٢٢ |
| سورة الطور | | |
| فليأتوا بحديث مثله | ٣٤ | ١٩٩ |
| سورة الرحمن | | |
| مرج البحرين يلتقيان | ١٩ | ٢٦٢ |
| يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان | ٢٢ | ٢٦٢ |
| كل من عليها فان | ٢٧ | ٩٣ |
| سورة الحديد | | |
| وليعلم الله من ينصره ورسله | ٢٥ | ٧٤ |
| وأنزلنا الحديد | ٢٥ | ٣٣ |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|-------|---|
| | | سورة المجادلة |
| ٧١ | ٣ | وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا |
| ١٨٧ | ١٢ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ خُطْبَتِكُمْ صِرَافَةً |
| ٢١٨ | ٣ | وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ |
| ٧١ | ٨ | ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ |
| ١٨٧ | ١٣ | أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتُ |
| ٤٣ | ٢١ | كُتِبَ لِلَّهِ لِأَتْلَبِينَ أَنَا وَرَسُولِي |
| ٧٤ | ٢٢ | أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ |
| | | سورة الحشر |
| ٣٠٠ | ١٤ | بِأَسْهَمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٍ |
| | | سورة الصف |
| ٣٧ | ٥ | فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ |
| | | سورة الجمعة |
| ١٥٩ | ١١ | وَأَنْ رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا |
| | | سورة المنافقين |
| ٣٠٨ | ١٠ | فَأَصَدِّقُوا وَأَكْنُ مِنَ الصَّالِحِينَ |
| | | سورة الطلاق |
| ٥٠ | ١ | فَطَلَّقُوهُنَّ لَعَدَّتُهُنَّ |
| ٢١٥ | ٢ | وَأَشْهَدُوا نَدْوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ |

| رقم الصفحة | رقمها | الآية |
|------------|------------|--|
| | | سورة الطلاق |
| ٢٠٩ | ٤ | وأولات الأحمال أجلهن آن يضعن حملهن |
| ١٥٤ | ٤ | واللائى يعسن من المحيض ان ارتبهن فعدنهن أمرأة آشر |
| | | سورة التحريم |
| ٢٤٨، ١٥٧ | ١ | يا أيها النبی لم تحرم ما أحل الله لك |
| ٢١٧ | ١٠ | ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط |
| | | سورة الملك |
| ٩٤ | ١ | تبارك الذى بيده الملك |
| | | سورة المعارج |
| ٣٧١ | ٧ و ٦ | إنهم يرونه بعيدا ونراه قريباً |
| ٧١ | ١٧ | تدعو من أدبر وتولى |
| | | سورة المزمل |
| ١٧٩ | ١، ٢، ٣، ٤ | يا أيها المزمل . . . الى قوله ورتل القرآن ترتيلاً |
| ١٧٩ | ٢٠ | علم أن سيكون منكم مريض |
| | | سورة القيامة |
| ٣٢٣ | ٦٢ | الى ربك يومئذ المستقر |
| ٨٢ | ١٧ | ثم انا علينا بيانه |
| ٣٢٣ | ٢٢ | وجوه يومئذ ناضرة |
| ٣٣٤ | ٣٠ | الى ربك يومئذ المساق |

| الآية | رقمها | رقم الصفحة |
|---------------------------------|-------|------------|
| سورة الانسان | | |
| عاليهم ثياب سندس خضر | ٢١ | ٢٢٥ |
| سورة عم | | |
| يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا | ١٨ | ٥٥ |
| سورة الفجر | | |
| وجاء ربك والملك صفا صفا | ٢٣ | ٩٤ |
| سورة الزلزله | | |
| بأن ربك أوحى لها | ٥ | ٧١ |
| سورة العاديات | | |
| انه لحب الخير لشديد | ٨ | ٦٠ |
| سورة الكافرون | | |
| لكم د ينكم ولى د يسن | ٦ | ٢٨٦ |

فهرس الحديث

| رقم الصفحة | الحديث |
|------------|---|
| ٢١٠ - ٢١١ | اجتنبوا السبع الموبقات |
| ٣٢٧ | أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأقل فالأقل |
| ١١١ | أصبنا حمرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ١٥٩ | أقبلت غير ونحن نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم |
| ١١٥ | أقرأني جبريل على حرف |
| ٢٤٤ | ألا أخبرك بسورة لم ينزل في الانجيل والتوراة والقرآن مثلها . |
| ٣٩ | اللهم أحييني مسكينا وأمتني مسكينا |
| ٢٦١ | اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل |
| ٣٢٠ | أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون |
| ١٠٧ | ان الصلاة أول ما فرضت ركعتين |
| ١٩٠ | ان الله أعطى كل ذي حق حقه |
| ١٠٦ | ان الله فرض الصلاة على لسان نبيكم |
| ١٦٤ | أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت ابن قيس |
| ١٠٣ | ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر في الصلاة وينم |
| ١٦٧، ١٦٦ | ان حبرا من أحبار اليهود من فذك |
| ٥٧، ٥٦ | أن رجلا أصاب من امرأة قبله |
| ١٥٦ | أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بعث جيشا |
| ٢٤٣ | أنزل على سورة الأنعام جملة واحدة |

| رقم الصفحة | الحديث |
|------------|--|
| ١٨٠ ، ١٧٩ | انها نسخت البارحة |
| ١١٦ ، ١١٥ | ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف |
| ٤٧ | أيتهن الصلاة الوسطى |
| | بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ملك قال : أبشر بنورين أوتيتهما |
| ٢٤٤ | لم يؤتتهما نبي قبلك |
| ٥٧ | جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أصبحت حدا |
| ٧٦ | جرح العجماء جبار |
| ٦٦ ، ٦٥ | الحمد رأس الشكر |
| ١٠٤ | خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة رمضان |
| ٣٣٣ | خرج ذات غدوة وعليه مرط من شعر أسود |
| ٥٢ | دع الصلاة أيام اقراذك |
| ٥٥ ، ٥٤ | روى أن موسى عليه السلام خطب الناس |
| ١٦٦ ، ١٦٥ | سمع عبد الله بن سلام بقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| | سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن |
| ٤٦ | شغلونا عن الصلاة الوسطى |
| ١٠٢ | صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وعثمان |
| ١٠٥ | صلاة الجمعة ركعتان |
| ١٠٥ | صلاة السفر ركعتان |

| رقم الصفحة | الحديث |
|------------|--|
| ٤٧ | الصلاة الوسطى صلاة الصبح |
| ٤٨ | الصلاة الوسطى صلاة الظهر |
| ٥٠ | صلاة الوسطى صلاة العصر |
| ٤٨ | الصلاة الوسطى هي الظهر |
| ٥٢ | طلاق الأمة تطليقتان |
| ٧٥ | على أهل الأموال حفظها بالنهار |
| ١٠٧ | عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى صلاة السافر يمتن |
| ١٠٠ | فاتحة الكتاب سبع آيات |
| ١٠٥ | فرض الله الصلاة |
| ١٠٥ | فرضت الصلاة ركعتين ركعتين |
| ١١٠ | نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر |
| ١٠٠ | قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة |
| ١١٢ | قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى |
| ١٦٣ - ١٦٤ | كاد الخيران أن يهلكا |
| ١٦٠ | كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما |
| ١٩١ | كان المال للولد |
| ١٥٨ ، ١٥٩ | كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلوى |

| الحد يـــــــث | رقم الصفحة |
|---|------------|
| كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر بالهجرة | ٤٨ |
| كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات | ١٧٥ |
| كان لعمر بن الخطاب أرض بأعلى المدينة | ١٦٧ ، ١٦٨ |
| كنا جلوسا عند زيد بن ثابت | ٤٨ |
| كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالى فلم أر شيئا | ٣٩٦ |
| كلامى لا ينسخ القرآن | ١٧٦ |
| لأطوفن الليلة على سبعين امرأة | ١٤٤ |
| لئن عشت الى قابل لأخرجن اليهود والنصارى | ٣٩٠ |
| لما خلق الله آدم مسح ظهره | ٣٧٦ |
| ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله | ٥١ |
| ما من مولود يولد الا والشيطان يمسسه | ٥١ |
| مره فليراجعها ثم ليمسكها | ٥٣ |
| من باع عبدا وله مال | ٤٠ |
| من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ | ٢٦١ |
| من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن | ١٠١ |

| رقم الصفحة | الحديث |
|------------|--|
| ٢٦٠ | من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار |
| ٢٤٥ | من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليله كفتاه |
| ٢٤٣ | من قرأ سورة الدخان في ليلة جمعه |
| ٢٤٣ | من قرأ سورة الكهف من آخرها |
| ٢٧٣ | من كان حالفا فليحلف بالله |
| ٢٧٦ | من كسر أو عرج فقد حلّ فعليه الحج من قبل |
| ٣٣١ | من كنت مولا ه. فعلى مولا ه |
| ٣٢٨ | هذان حرام على ذكور أمتي حل لاناثها |
| ٣٢٥ | هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيره صحوا |
| ٢٧٦ | واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى |
| ٢٤٤ | وجبت قلت : ما وجبت قال انجبه |
| ٨٢ | لا تجتمع أمتي على ضلالة |
| ١٤٩ | لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم |
| ١٧٦ | لا وصية لوارث |
| ٣٨٩ | لا يجتمع دينان في جزيرة العرب . |

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- ١ - اتحاف الراوى فى تخريج أحاديث البيضاوى ، لابن همام الدمشقى ، شريط مصور بمكتبة . .
- ٢ - اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ، للشيخ أحمد البنا ، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفى بمصر ، بدون .
- ٣ - الاتقان فى علوم القرآن / لجلال الدين السيوطى ، مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٤ - أحكام القرآن للجصاص (أبو بكر أحمد بن على) ، مطبعة دار الكتاب ببيروت . (بدون) .
- ٥ - أحكام القرآن لابن العربى (أبو بكر محمد بن عبد الله) تحقيق الأستاذ على محمد البيجاوى / طبعة ثانية / مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة - ١٣٨٧ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٦ - أسباب النزول (للواحدى) لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٧ - أصول الدين (للبغدادى) ، لأبى منصور عبد القادر بن طاهر التميمى البغدادى ، مطبعة الدولة باستانبول ، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .

- ٨ - أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م
- ٩ - اعراب القرآن (للنحاس) لأبى جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ، تحقيق د . زهير غازى زاهد ، مطبعة العمانى بغداد . ١٩٨٠م
- ١٠ - اعراب القرآن (للزجاج) ، لأبى اسحاق ابراهيم بن السرى بن سهل النحوى المشهور بالزجاج ، مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م
- ١١ - الأعلام ، لخير الدين الزركلى ، الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
- ١٢ - أمثال القرآن ، لشمس الدين محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى الحنبلى المعروف بابن القيم الجوزية ، تحقيق ناصر بن سعد الرشيد ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
- ١٣ - الناسخ والمنسوخ لأبى القاسم هبة الله بن سلامه أبى نصر ، مطبوع بهامش أسباب النزول للواحدى ، مطبعة عالم الكتب ، بيروت ، بدون .
- ١٤ - الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير السكندرى المالكى ، مطبوع بهامش الكشاف ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، بدون .
- ١٥ - الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، لأبى محمد مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار القيسى ، تحقيق أحمد حسن فرحات ، الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧١م

- ١٦ - ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
لاسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم ، مطبعة مكتبة المثنى بغداد ،
بدون .
- ١٧ - البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الفرناطي ،
مطبعة دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١٨ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني
الحنفي ، مطبعة الامام ١٣ شارع محمد كريم بالقلعة بالقاهرة ، بدون .
- ١٩ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن
محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بابن رشد الحفيد ،
مطبعة دار الفكر ، بدون .
- ٢٠ - البداية والنهاية ، لاسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، مطبعة
مكتبة المعارف ببيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .
- ٢١ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، لعبدالفتاح القاضي ، مطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٢٢ - البرهان في أصول الفقه ، لامام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف
الجويني ، تحقيق د . عبدالعزيز الديب ، مطابع الدوحة الحديثة ١٣٩٩ هـ .
- ٢٣ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن
السيوطي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

- ٢٤ - تاريخ التمدن الاسلامى ، لجرى زيدان ، مطابع الهلال ١٩٥٨م .
- ٢٥ - التاريخ الكبير ، للحافظ أبى عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعفى البخارى ، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
- ٢٦ - التبيان فى اعراب القرآن ، لأبى البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- ٢٧ - التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطسى ، مطبعة حسان القاهرة ، بدون .
- ٢٨ - تفسير ابن كثير ، لعماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، بدون .
- ٢٩ - تفسير أبى السعود ، لقاضى القضاة أبى السعود بن محمد العمادى الحنفى ، مطبعة السعادة ، بدون .
- ٣٠ - تفسير البغوى لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء ، مطبوع بهامش تفسير الخازن ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- ٣١ - تفسير البيضاوى ، لناصر الدين عبد الله بن عمر القاضى البيضاوى ، مطبعة المشهد الحسينى بمصر ، بدون .
- ٣٢ - تفسير التبيان ، لأبى جعفر محمد بن الحسن بن على بن الحسن الطوسى ، مطبعة النعمان النجف الأشرف ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

- ٣٣ - تفسير الخازن ، لعلاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٣٤ - تفسير الراغب الأصفهاني ، لأبي القاسم الراغب الأصفهاني ، مخطوط
مصور من مكتبة أيا صوفيا بتركيا تحت رقم ٢١٢ .
- ٣٥ - تفسير الزمخشري ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٣٦ - تفسير النسفي ، لعبد الله بن أحمد النسفي ، مطبعة دار احياء الكتب
العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ٣٧ - تفسير الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمود محمد
شاكر وأحمد محمد شاكر .
- ٣٨ - تفسير القاسمي ، لمحمد جمال الدين القاسمي ، مطبعة دار الفكر بيروت ،
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٣٩ - تفسير القرطبي ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مطبعة
دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- ٤٠ - التفسير القيم ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم
الجوزية ، مطبعة لجنة التراث العربي بيروت لبنان .
- ٤١ - التفسير الكبير ، للإمام أبي بكر فخر الدين الرازي ، المطبعة البهية المصرية ،
١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

- ٤٢ - التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي ، مطبعة السعادة
الطبعة الثانية ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ٤٣ - التفسير ورجاله ، لمحمد الفاضل بن عاشور ، مطبعة دار الكتب الشرقية
تونس .
- ٤٤ - تهذيب التهذيب ، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ، مطبعة دار
المعارف النظامية بالهند ، ١٣٢٥ هـ .
- ٤٥ - حاشية الشريف الجرجاني على الكشاف ، لعلي بن محمد بن علي السيد
زين الدين بن الحسن الحسيني الجرجاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بعصر ، بدون .
- ٤٦ - حاشية الكازروني ، لأبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني ،
مؤسسة شعبان بيروت .
- ٤٧ - حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي ، للشيخ أحمد بن محمد
ابن عمر الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي ، دار صادر بيروت ،
بدون .
- ٤٨ - حاشية زادة ، لمحي الدين شيخ زاده ، مطبعة المكتبة الاسلامية ، بدون .
- ٤٩ - حجة القراءات ، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق سعيد
الأفغاني ، مطبعة مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ -
١٩٧٩ م .

- ٥٠ - الحجة في القراءات السبع ، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بسن
خالوية بن حمدان ، تحقيق د . عبدالعال سالم مكرم ، مطبعة دار الشروق ،
الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ٥١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (لأبي نعيم) أحمد بن عبدالله الأصبهاني ،
مطبعة السعادة مصر ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ٥٢ - دائرة المعارف الاسلامية ، مطبعة تمران بوذر حميرى ، بدون .
- ٥٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبدالرحمن جلال الدين السيوطى ، مطبعة
دار الفكر لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٥٤ - روح البيان ، لاسماعيل حقي البرسوى ، مطبعة دار الفكر ، بدون .
- ٥٥ - روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب
الدين محمود الألوسى ، مطبعة دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٥٦ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، للميرزا محمد باقر الموسوى
الخوانسارى الأصبهاني ، تحقيق أسد الله اسماعيليان مطبعة مهر
استوار قم طهرالى ١٣٩١ هـ .
- ٥٧ - زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزى القرشى
البغدادى ، مطبعة المكتب الاسلامى للطباعة والنشر الطبعة الأولى ،
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

- ٥٨ - السبعة في القراءات ، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد
التميمي البغدادي ، مطبعة دار المعارف القاهرة ، الطبعة الثانية ،
١٤٠٠ هـ .
- ٥٩ - سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ، تحقيق
محمد مصطفى الأعظمي ، مطبعة شركة الطباعة العربية السعودية ، الطبعة
الأولى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٦٠ - سنن أبي داود بشرح عون المعبود ، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني ،
مطبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، بدون .
- ٦١ - سنن الترمذي بشرح عارضة الأحوذى ، للحافظ أبي عيش محمد بن عيسى
السلمي ، مطبعة دار العلم للجميع ، بدون .
- ٦٢ - سنن الدارقطني ، لعلى بن عمر الدارقطني ، المطبعة العربية ملتان
باكستان ، بدون .
- ٦٣ - سنن الدارمي ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن
عبد الصمد التميمي السمرقندي الدارمي ، مطبعة دار الفكر القاهرة ، بدون .
- ٦٤ - السنن الكبرى (للبيهقي) مع الجوهر النقي لأبي بكر أحمد بن الحسين بن
على البيهقي ، مطبعة دار الفكر ، بدون ، ومطبعة مجلس دائرة المعارف
العثمانية بحيدرآباد الدكن .

- ٦٥ - سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي حاشية السندی ، لأبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ادارة محمد محمد عبد اللطيف .
- ٦٦ - شد الأزار وحط الأوزار ، لمعين الدين أبو القاسم ، مطبعة طهران ، نسخة دار الكتب ، بدون .
- ٦٧ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ، مطبعة المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
- ٦٨ = شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يونس ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثامنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٦٩ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضى ابى الفضل عياض اليحصبى ، مطبعة المكتبة التجارية الكبرى ، بيروت .
- ٧٠ - الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية لاسماعيل بن حماد الجوهسرى تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، مطبعة دار العلم للملايين بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٧١ - صحيح ابن خزيمة ، لأبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمى النيسابورى ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمى ، مطبعة المكتب الاسلامى بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- ٧٢ - صحيح البخارى بحاشية السندى ، مطبعة ومكتبة أحمد بن سعيد بن نبهان وأولاده ، سرايا ، اندونيسيا ، بدون .
- ٧٣ - صحيح البخارى بشرح فتح البارى لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٧٤ - صحيح مسلم بشرح الندوى ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، مطبعة دار احياء التراث العربى بيروت ، ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م .
- ٧٥ - طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، المطبعة الحسينية المصرية ، بدون .
- ٧٦ - طبقات الشافعية (للأسنوى) ، جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى ، تحقيق عبد الله الجبور ، مطبعة الارشاد بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٧٧ - طبقات الفقهاء ، لأبى اسحاق الشيرازى ، مطبعة المكتبة العربية ببغداد ، ١٣٥٦ هـ -
- ٧٨ - عمل اليوم والليلة (لابن السنى) ، أحمد بن محمد بن السنى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٧٩ - عيون التواريخ لمحمد بن شاكر بن أحمد المعروف بابن شاكر الكتبي ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٧٦ .

- ٨٠ - الغاية القصوى، في دراية الفتوى ، للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوى ،
تحقيق على محى الدين على القره داغى ، مطبعة دار الاصلاح للطبع
والنشر والتوزيع .
- ٨١ - فتح البارى شرح صحيح البخارى ، لشهاب الدين أبى الفضل العسقلانى
المعروف بابن حجر ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ،
١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٨٢ - الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ، لعبد الله مصطفى المراغى ، مطبعة
محمد أمين رمس وشركاه ، بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٨٣ - فتح المغيـث شرح ألفية الحديث ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوى ،
تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة الثانية ، المكتبة السلفية بالمدينة
المنورة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٨٤ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، لعلى بن أحمد بن حزم الظاهرى
الأندلسى ، مطبعة مكتبة المثنى بفداد ، بدون .
- ٨٥ - فهرس مخطوطات جامعة أم القرى .
- ٨٦ - فهرس مخطوطات جامعة الامام محمد بن سعود .
- ٨٧ - فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكى .
- ٨٨ - القراءة الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، لعبد الفتاح القاضى ، مطبعة
دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه ، بدون .

- ٨٩ - الكامل فى اللغة والأدب ، لأبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ،
مطبعة مكتبة المعارف بيروت .
- ٩٠ - كتاب سيويه ، لأبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام
هارون ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ٩١ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لمصطفى عبد الله الشهير بحاجى
خليفة ، مطبعة وكالة المعارف ، ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م .
- ٩٢ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبى محمد مكى ابن أبى
طالب القيسى تحقيق د . محى الدين رمضان ، مجمع اللغة العربية بدمشق ،
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٩٣ - لسان الميزان ، لأحمد بن على بن حجر العسقلانى ، مطبعة مجلس دائرة
المعارف النظامية ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٢٩ هـ .
- ٩٤ - لسان العرب (لابن منظور) ، لجمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ،
طبعة مصورة عن طبعة بولا ق .
- ٩٥ - لطائف الاشارات لفنون القراءات ، للامام شهاب الدين القسطلانى ،
بتحقيق عام السيد عثمان ود . عبد الصبور شاهين ، مطبعة القاهرة ،
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٩٦ - مجمع البيان فى تفسير القرآن ، لأبى على بن الحسن الطبرسى ، مطبعة
مكتبة الحياة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .

- ٩٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ،
مطبعة دار الكتاب بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ .
- ٩٨ - مجموع الفتاوى ، لشيخ الاسلام أحمد بن تقي الدين بن تيمية ، جمع
وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مطبعة مكتبة المعارف الرباط
المغرب .
- ٩٩ - المحصول في علم أصول الفقه ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين
الرازي ، دراسة وتحقيق الدكتور فياض العلواني ، طبع جامعة الامام محمد
ابن سعود الاسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ١٠٠ - مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، مطبعة دار التراث
العربي للطباعة والنشر ، بدون .
- ١٠١ - مختصر سنن أبي داود ، للحافظ المنذري ، تحقيق محمد حامد الفقي ،
مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- ١٠٢ - المدونة الكبرى ، لإمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي رواية سحنون
ابن سعد التنوخي عن عبد الرحمن بن القاسم القلقلي ، مطبعة دار السعادة
بمصر ١٣٢٣ هـ .
- ١٠٣ - مرآة الجنان وغيره اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لعبد الله بن
أسعد اليافعي ، مطبعة مؤسسة الأعلى للمطبوعات ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

- ١٠٤ - المستدرك على الصحيحين في الحديث ، لأبي عبد الله محمد المعروف بالحاكم النيسابوري مع تلخيص المستدرك لشمس الدين الذهبي ، مطبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٠٥ - المستقصى لابن حامد محمد بن محمد الغزالي ، المطبعة الأميرية ببغداد ، الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ .
- ١٠٦ - مصنف عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مطبعة دار القلم بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ١٠٧ - معاني الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمه الأزدي الحجري المصري الطحاوي ، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ١٠٨ - معاني القرآن (للأخفش) لأوسط سعيد بن سعد الأخفش الأوسط ، تحقيق فايز فارس ، طبع الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر والورق - الكويت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ١٠٩ - معاني القرآن (للفراء) ، ليحيى بن زياد الفراء ، تحقيق محمد علي النجار وعبد الفتاح اسماعيل شلبي ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م.
- ١١٠ - معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي ، تصحيح وترتيب محمد أمين الخفاجي ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م.

- ١١١ - المعجم الصغير (للطبراني) لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ، دار النصر القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ١١٢ - المغنى ، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، تحقيق محمد عبد الوهاب فايد ، مطابع سجل العرب بدون .
- ١١٣ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لأحمد بن مصطفى الشهير لطاش كبرى زاده ، مطبعة الاستقلال الكبرى .
- ١١٤ - مفردات غريب القرآن ، للحسن بن محمد الراغب الاصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ١١٥ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري بتحقيق محمد محي الدين عبد المكتب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
- ١١٦ - منهاج الوصول الى علم الأصول ، للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي ، مطبوع مع شرحه نهاية السؤل ، المطبعة السلفية ومكتبتها بدون .
- ١١٧ - المذهب في فقه الامام الشافعي لأبي اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٤٣ هـ .

- ١١٨ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق محمد علي البجاوي ، مطبعة عيسى البابسي الحلبي وشركاه ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- ١١٩ - النسخ والمنسوخ ، لأبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي نصر مطبوع مع أسباب النزول للواحدى ، مطبعة عالم الكتب بيروت .
- ١٢٠ - النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجوزي ، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- ١٢١ - نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ، جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ .
- ١٢٢ - نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، لأبي عبد الله محمد الحكيم الترمذي ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
- ١٢٣ - نواسخ القرآن (لابن الجوزي) ، لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجوزي ، تحقيق محمد أشرف علي المباري ، المجلس العلمي احياء التراث الاسلامي بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ١٢٤ - هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، لاسماعيل باشا البغدادي ، دار الفكر ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٢٥ - همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطى ، تحقيق
عبد السلام هارون الأستاذ والدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث
العلمية ، الكويت ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٥ م.

١٢٦ - الوجيز فى فقه الشافعى لمحمد بن محمد الفزالى ، شركة طبع الكتب
العربية ، القاهرة ١٣١٧ هـ .

*

فهرس الموضوعات

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|---|
| ١ - ح | المقدمه |
| ١ | تمهيد |
| ١ | عصر البيضاوى الناحية السياسية والاجتماعية والصحية |
| ٦ | <u>الباب الأول : البيضاوى</u> |
| ٧ | الفصل الأول - حياته ونشأته |
| ٨ | نسبه ونسبته |
| ١٠ | مولده ونشأته |
| ١٢ | عقيدته ومذهبه |
| ١٤ | وفاته |
| ١٥ | الفصل الثانى - شيوخه وتلاميذه |
| ١٦ | المبحث الأول - شيوخه |
| ٢١ | المبحث الثانى - تلاميذه |
| ٢٤ | الفصل الثالث - آثاره ومؤلفاته |
| ٣١ | <u>الباب الثانى : تفسيره</u> |
| ٣١ | الفصل الأول - مصادره |
| ٣٢ | مصادره من القرآن الكريم |
| ٤٦ | مصادره من السنة |

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|------------|
| مصادره من أقوال الصحابة والتابعين | ٥٨ |
| مصادره من كتب التفسير | ٦٥ |
| مصادره من كتب الفقهاء | ٧٥ |
| مصادره من كتب الأصول | ٨٠ |
| مصادره من كتب اللغة | ٨٤ |
| الفصل الثاني - منهجه في التفسير | ٩٠ |
| المبحث الأول - موقفه من آيات الصفات | ٩١ |
| المبحث الثاني - موقفه من آيات الأحكام | ١٠٠ |
| المبحث الثالث - موقفه من القراءات | ١١٥ |
| تمهيد في تاريخ القراءات | ١١٥ |
| موقفه من الأحرف المتروكة | ١٢٤ |
| توجيهه للقراءات | ١٢٦ |
| موقفه من القراءات التي أظعن فيها النحاة | ١٣١ |
| المبحث الرابع - موقفه من الاسرائيليات | ١٣٩ |
| الفصل الثالث - علوم القرآن في تفسيره | ١٥٠ |
| المبحث الأول - أسباب النزول | ١٥٢ |
| المبحث الثاني - الناسخ والمنسوخ | ١٧٤ |
| المبحث الثالث - الأعجاز البياني في تفسيره | ١٩٩ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
|--|------------|
| المبحث الرابع - العام والخاص | ٢٠٨ |
| المبحث الخامس - المطلق والمقيد | ٢١٥ |
| المبحث السادس - موهم الاختلاف | ٢٢٠ |
| <u>الباب الثالث :</u> البيضاوى وتفسيره فى الميزان | ٢٢٧ |
| الفصل الأول - آراء العلماء فيه والمآخذ عليه | ٢٢٨ |
| المبحث الأول - آراء العلماء فيه | ٢٢٩ |
| المبحث الثانى - المآخذ التى أخذت عليه | ٢٣٩ |
| الوضع فى التفسير | ٢٤٠ |
| متابعته للزمخشري | ٢٤٦ |
| استطراده فى النحو والصرف | ٢٥٦ |
| الفصل الثانى - منزلته بين كتب التفسير بالرأى | ٢٥٩ |
| المبحث الأول - معنى التفسير بالرأى وحكمه | ٢٦٠ |
| المبحث الثانى - جمعه لفنون تفرقت فى كتب التفسير بالرأى | ٢٦٣ |
| المبحث الثالث - تأثره بمن قبله | ٢٩٨ |
| المبحث الرابع - من تأثر به بعده | ٣٠٥ |
| الفصل الثالث - ميزة تفسيره وقيمه العلمية | ٣١٥ |
| المبحث الأول - تفسيره للسنة وردة على الفرق الضالة | ٣١٦ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
|--|------------|
| البحث الثاني - التعليقات والحواشي عليه | ٣٣٥ |
| - الكلام على حاشية الشهاب | ٣٥٥ |
| - الكلام على حاشية الكازروني | ٣٦٩ |
| - الكلام على حاشية محي الدين شيخ زاده | ٣٨٠ |
| الخاتمة | ٣٩٨ |
| الفهارس : | ٤٠١ |
| فهرس الآيات | ٤٢٥ - ٤٠٢ |
| فهرس الأحاديث | ٤٣٠ - ٤٢٦ |
| فهرس المراجع | ٤٤٧ - ٤٣١ |
| فهرس الموضوعات | ٤٥١ - ٤٤٨ |
| ***** | |
| ***** | |
| ***** | |
| * | |